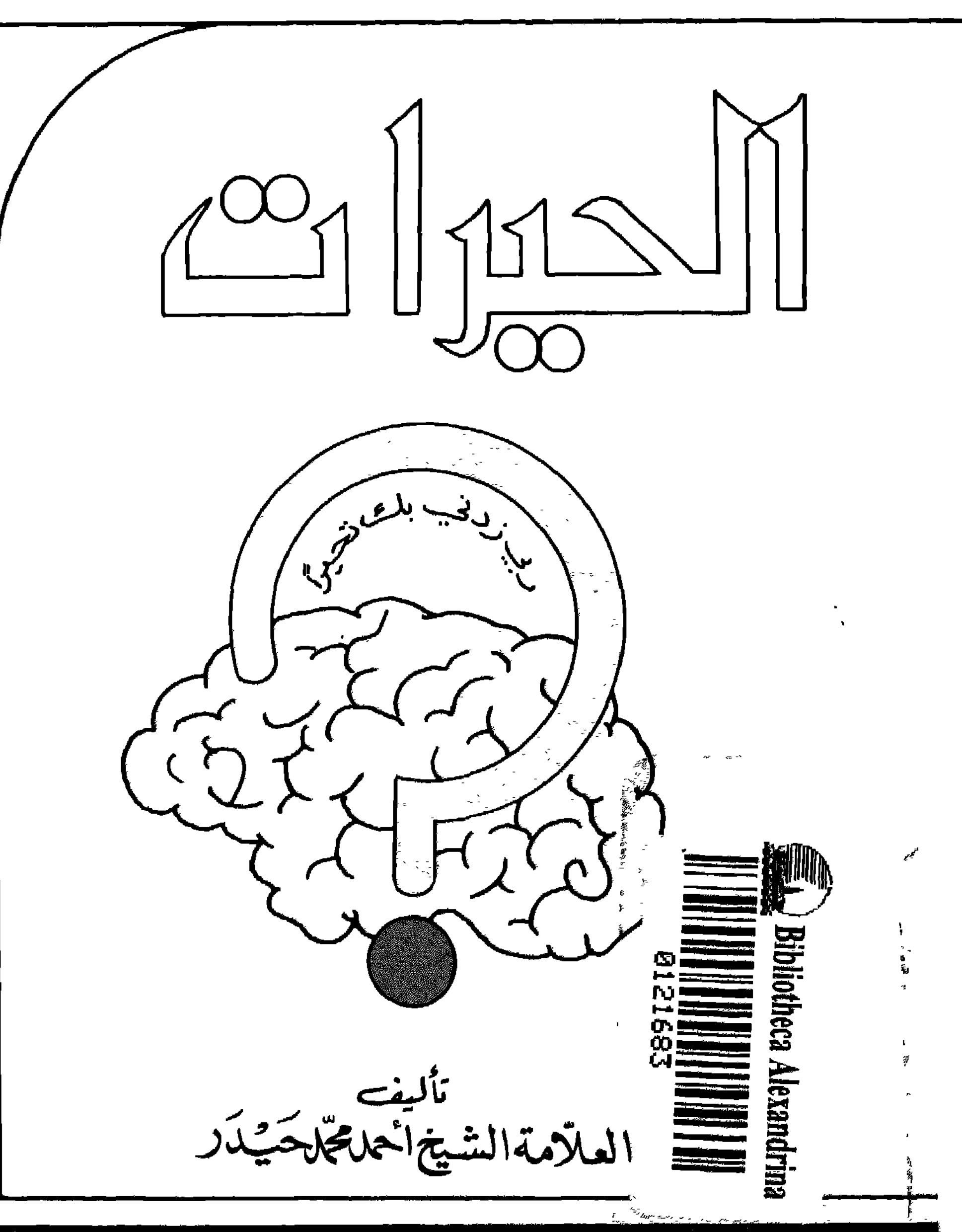
الحيرات



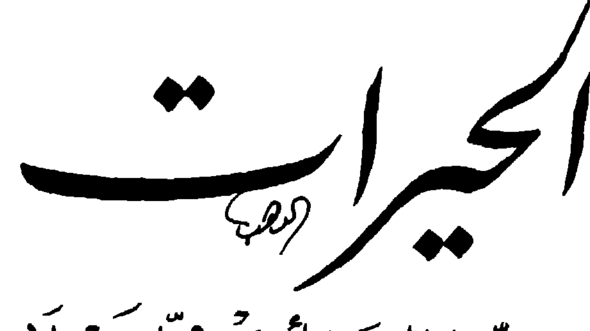
تأليف

العلامة الشيخ أحمد محمّد حيدر



الحيرات

للعلامة الشيخ أحمد محمد حيدر



للعلّامة الشيخ أحمد محمّد حيدر

تحقيق

لجنة إحياء تراث

العلّامة الشيخ أحمد محمّد حيدر

الساحل السوري

الجمعة ٢٥ كانون الثاني ١٩٩١

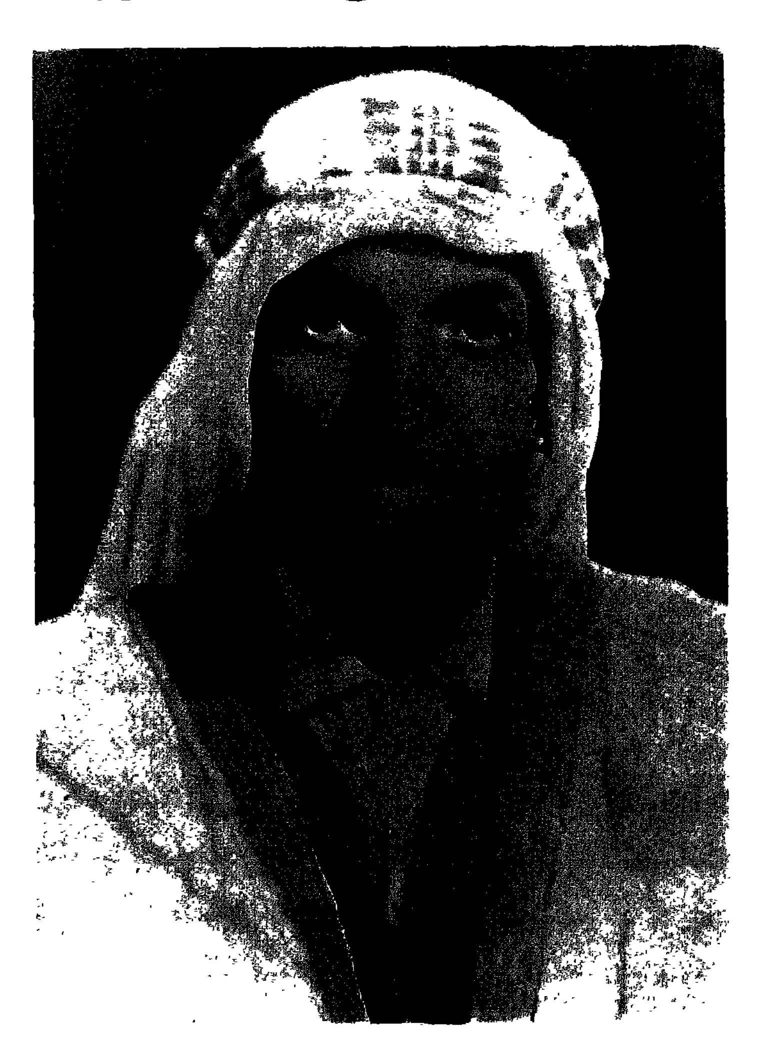
دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع
طرابلس لبنان : ص.ب ٥٧ ـ تلكس
هاتف : ٤٣١٩٥٢ (٠٦) ـ ٤٤١٢٨٢ (٠٦) ـ ٦٠٢٦١٤ (٠٦)

الإهداء

إلىٰ الحائر الذي أغمضَ عينيهِ ليرىٰ الله
ونفضَ ما علقَ بجناحيهِ من غبارِ المادة..
ليصبغهما بألقٍ من نور.
وفتح قلبَهُ ليضمَّ الكونَ إليه
ثم توسَّدَ قريراً حجرَ أمِّه
لترفَّ عليهِ ملائكةُ الرحمةِ
فتزفَّهُ إلىٰ فردوسِ أبيه
حيثُ.. الخلودُ...
والحبُّ...
والجمالُ.

المغفور له

العلامة الشيخ أحمد محمد حيدر



هذه صورتي وما كنتُ أهوى بعدَ موتي هذا البقاء الفاني
يا جناحيَّ مِنْ ولاً وحنينٍ عجِّلا بي للعالَمِ الروحاني
تلكَ أمنيَّتي وما خدعةُ العالَمِ إلاَّ تعلَّة الديدانِ

٤/١١/١٩٧١ م أحمد محمد حيدر



«عتبة الحيرات»

لله بلاءُ الحيران، ما بقيت حيرةٌ، بعيدُ مرامُها، عمٍ قرارُها. والحيراتُ جَمَّةٌ.

والحيارىٰ نحلتان. نحلة متشوّفة الى العلم، مثقلة بثمار المعرفة، متشحة برداء التواضع ونحلة مترهلة مولعة بالارتخاء، متسربلة بمسوح التيه والخيلاء وهيهات ما بين النحلتين. اذ لكلِّ نحلةٍ طريق يقودها عبرَ مفاوز وانفاق كلٌّ منها يؤدي الى جهة، تقع العين فيها على ما يأخذ بمجامع الحواس، ويملك مشاعر الالباب. وأولُ الطريقِ خطوة، ولكنَّ أعوصَ الخطا أولادها، لانها معقد العزم، ومبدأ القصد. والعزم والقصد صنوان. وما عزمنا عليه هو نبش كنز الحيران. والقصد سبر كنه الحيرات، وحيث يكون الحائر تكون الحيرة. ومعدن الحائر يدل على ما يحار منه. إذ شبيه الشيء منجذب اليه ولئلا يتكاءد الفهم ويتعثر الأم. يجب علينا اعداد العدة وانتقاء الوسيلة التي بواسطتها يمكننا بلوغ الغاية، ونوال الحاجة. ووسيلتنا للفهم والتعبير الكلمة ولما كان لكل كلمة مبنـى ومعنـى، فقـد اختلـف علماء الكلام. ودارت فيما بينهـم المهـاتـرات والمناظرات الكلامية، الأمر الذي أدى بهم الى الفرقة فانقسموا فريقين، فريق اعلن تمسكه الصريح بحرفية الكلمة، وفريق أبىٰ عليه عقله أن يقف عند حدود الأشكال اللفظية...

أو أن تغلّه قيود الحروف. وانما تعدّاها ليأخذ بدقيق المعاني، ولطائف التأويلات. معتمدا على ان لكلٍّ كلام ظهراً وبطناً، فظاهره القيد وباطنه الإطلاق، والكلمة مؤنث لفظي، مذكر معنوي. وهي خلق الله القابل للتجسيد. والفيض من غير حصر ولا انتهاء.

ولو أن كلمات الله هي ما دوّن من حروف منطوق بها، أو لغات متعارف عليها بين بني البشر فقط. لما كان ثمة مبرر لأن ينفد ماء البحار، وما تنوء من ثقله الاشجار قبل أن تنفد تلك الكلمات، ولهذا ميَّز علماء آخرون ما بين الكلام الانساني الذي صرحوا بانه عرض، والكلام الالهي الذي قالوا انه صوت مسموع يحدثه الله ثم قالوا: إن للكلام الإلهي جهتين. جهة فعل الكون الأصلي «كن» الذي خلق الله به العالم، وجهة أفعال الكون اللاحقة التي أوجد الله بها المخلوقات الجزئية، وكما أنَّ للكلام الالهي جهتين، فإنَّ للكلام الانساني مثل تلك الخصائص أيضاً.

أسوق على سبيل الذكر لا الحصر بعض الألفاظ الدالة على مسمَّيات عدة مختلفة الأغراض والمهام. منها لفظة «مولى» تقال للسيد والعبد، و«وراء» تحتمل القدّام والخلف، و«غير» ويقصد بها الضدّ والاستثناء، و«دون» وتتضمن معنى، فوق تحت ـ وأقل ـ وأمام. وكذلك الحيرة.

فهي من حار وتحيَّر واستحار. اذا نظر الى الشيء فغشي عليه، ولم يهتد الى سبيله فهو «حَيرٌ وحائر وحيران» وتحيَّر الماء دار واجتمع، وتحيَّر المكان بالماء امتلأ. وتحيَّر السحاب لم يتجه جهة، واصبحت الأرض حيرة أي مخضرة، ويوم الحيرة أي القيامة، وتحيَّر الشبابُ «تمَّ» آخذاً من الجسد كل مأخذ، والى هذا أشار عمر بن أبي ربيعة:

أبـرزوهـــا مثـلَ المَهـــاةِ تهادى   بينَ خمس كـــواعــــبٍ اتــــرابِ

وهــي مكنــونــةٌ تحيَّــر منهَــا   في أديمِ الخديـنِ مـاءُ الشبـابِ

وجاء على لسان النبوة: «ربي زدني بك تحيراً» وقال سيِّدُ البلاغة والفصاحة الإمامُ علي «ع»: من تفكر بالله ورجع بنفي فذلك المعطل، ومن رجع بصورة فذلك المجسم ومن رجع بحيرة فذلك الموحد «فيتضح لنا من هذا أن الحيرة هي قرينة اللقن[1] الفطن وعليه فقد اصطلح الصوفيون على ان الحيرة ترد على قلوب العارفين عند تأملهم وحضورهم وتفكرهم فهي بديهة تحجبهم عن التأمل والتفكير، فقال الواسطي: «حيرة البديهة أجلّ من سكون التولي عن الحيرة». وفي النصوص في مصطلحات التصوف: الحيرة حيرتان، حيرة الجاهل وحيرة العالم، فحيرة الجاهل هي تخبُّطه في معمّياتِ هذا الوجود، أمَّا حيرة العالم فهي خاصة بالراسخين في العلم.

وعلى هدي ما استنرنا به من متون اللغة والشعر وقول النبي «ﷺ» وبلاغة علي «ع» وما اصطلح عليه أهل التصوف، يمكننا القول أن للحيرة وجهين، وجهاً يصدر عنه العلم والإيمان، ووجهاً يرتسم عليه الشك والبهتان.

والحيرات التي نحن بصدد سبر غورها الآن ليست من النوع الذي يغري العقل بالكسل ويدعو الى تثبيط العزائم، بل هي من النوع الذي يهيب بالباحث الىٰ إيقاظ الهمة، وشحذ العقل، وتنبيه الحواس، وبذا يتأتىٰ له أن يرجع من هذه الحيرات متوهِّجَ العقلِ واسع المعرفة، راسخ الايمان.

ولا خوف عليه بعدئذ من أن يخالط يقينه الشوب[2]، أو أن يحجبه الرَّينُ[3]، أو تغرب عنه رؤى الحقيقة. سواء القى به الترحال الىٰ حنادس

---

(١) اللّقِنُ: السريعُ الفهم.
(٢) الشوبُ: الخلطُ.
(٣) الرَّين: الدَّنَسُ.

الليالي أم أودى به الى بحار الأنوار. وإنه لأمر جد بديهي أن يصاب المبحر بالدوار ساعة لا ترى عيناه الا زرقة البحر والسماء. بيد أن الهدف الذي هو ساع اليه لا يغيب عن بصيرته. وتلك حال من يحدق في وجه الشمس ساعة الصحو وحمّارة القيظ، ثم يعود لينظر أمامه فلا يتبين موطئ قدميه. ويحضرني في هذا المقام ما هتف به طيّار أمريكي حينما كان يهم باللحاق بجرم طائر: انني الآن أدور في هالة من النور. وعلى لسان الصحيفة كان ذلك آخر ما قاله.

أمر يحار فيه المرء وهو لم ير غير المحسوس، فما الذي تؤول اليه حال من يحاول تخطي المحسوس بعقله ليسبر كنه الوجود، ويمتطي سبحات النور الإلهي ؟!...

هذا ما نتوخاه من قراءة الحيرات.. ومعرفة الحائر المستنير أحمد محمد حيدر.

نشأته:

ولد الحبر العارف أحمد سنة ١٨٨٨ لأبوين ذخرهما من متاع الدنيا سداد عيشهما وزادهما كفاف يومهما. فرضع لبان الفضيلة، وتهدهد على سرير المحبة وهكذا ترعرع في كنف بيت محصوله الرضى وغلته القناعة، فنشأ نشأة طلقة وتربى تربية سمحة في رحاب « حلة عارا » القرية الذروة المشرئبة برأسها إلى النجوم، المدلة بسفوحها على المدينة الناعمة برذاذ الموْج.. الساجية على صخور الشطآن « جبلة » فكان له من بيته وبيئته شموخ النسر وإباء إبن الأيهم « جبلة » وزهادة ابن الأدهم « إبراهيم » وحري بمن حبته الحياة منذ يفاعه ونعومة أظافره، هذه الشمائل، أن يتعقب العلم ـ الفضيلة الأسمى ـ لتجتمع له الأركان الأربعة التي يرتكز عليها هرم الشخصية الإنسانية الموطد. وهكذا

إنصرف أحمد بكليته إلى تحصيل المعرفة، ومع أنه لم يتلق تعليمًا أكاديميًا ولم يقدر له أن ينعم بأجواء المعاهد والجامعات، فقد ظفر بما لم يظفر به المترفون الموفدون الى مختلف العواصم والبلدان، وعونه على ذلك إدراكه أن أولئك العلماء والرجالات الذين ملأوا الدنيا وما زالت اصداؤهم ملء سمع الزمان، لم تبل سراويلهم مقاعد الدرس، ولم يتقيدوا بمناهج البحث.

وإذا ما ذهب خيال الناقد إلى أن مثل هذه المحصلة من المعارف والعلوم قلما تتأتى إلا لمن توفرت لديه ثروة الانفاق على الحط والترحال، فلا عجب لأن أحمد رحل بعقله، وتغلغل بروحه إلى ما وراء حدود مكانه وزمانه، ثم مشى بدائه، وتخطى مساق نفسه فكانت له مع كل جلسة في أحضان الطبيعة أملية ومع كل كتاب رحلة ومع كل مؤلف مناظرة، يتردد في خلده هتاف وحي النبوة: إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم حتى تسنى له أن يتسنم صياصي المعرفة ويأخذ بنواصي العلم، وينهل مصاص الحقيقة.

شخصيته:

ربما تعشق الاذن أحيانًا قبل العين، ولكنَّ عشقَ العين هو الذي ينسرب الى حبة القلب ويلج بلا استئذان الى مستودع الهوى ليمتزج بتامور الفؤاد ويسري عبر كل العروق وغالبًا ما يحصل هذا منذ اللحظة الأولى، دون مقدمة أو برهان وقد لا يبدو للعين بادئ الأمر من سمات الجمال ما يجعلها تميل إلى ذلك الوجه أو تشيح عنه، فأين يكمن السر؟.. وما هي العلاقة بين المنظر والجوهر؟.. أو الصلة بين الشكل والمضمون وكم من زهرة زاهية الالوان، بهية الرواء، كريهة الرائحة..؟.. وكم من فاكهة حسنة المنظر، دانية القطوف مرة المذاق؟.. لا بد من سر كامن وراء المنظور، ينفرك من الشيء، أو يجذبك اليه، ولهذا قال الشاعر:

ما السِّرُّ في شكلِ الجسوم وحجمِها   السِّـــرُّ كُـــلُّ السِّـــرِّ في الأرواحِ

إذ لم يكن في هيئة العالم الظاهرية ما يدير الرأس دهشة واستغرابًا، وليس في زيِّهِ ما يلفت النظر عدا بساطته، فهو لا يرتدي قفطانًا من الحرير أو جبة مطرزة، ولا يَعتمد عكازًا مطعمًا بالأصداف أو يحمل سبحة مذهبة تغري الناظرَ بِلَصِّها إن ما يرتسم منه على مرآة العين وينطبع على صفحة القلب، صورة انسان مهيب الوقار، رقيق الاهاب، منتصب القامة، متئد المشية، واثق الخطوة، عيناه محدقتان خلف الأفاق، كأنهما مسمرتان على بوابة الأزل، تبغيان ثقب السماء، لتطلان على عرش الألوهة وكرسي الربوبية، يمضي الى غايته غير هيَّاب، ولا آبه بما قد يعترض سبيله، مضيَّ الواثق من نوال الغاية، المطمئن الى سلامة الاتجاه واستقامة الطريق، فلا كبوة ولا عثار.

عصره:

شهد القرن الذي عاشه الشيخ وكان شاهدًا عليه أحداثًا لم يشهد مثلها ما سبقه من القرون، ففي عصره دبَّ الوهن إلى جسد الدولة العثمانية المترامية الأطراف الرازحة بثقلها على وطن الشاعر الثائر والمفكر المتعطش الى الحرية. وتلا ذلك سقوط روسيا القيصرية، والمانيا الهتلرية، لتحل قوى جديدة وتبرز أحلاف وأحزاب لم تكن بيئة الشيخ بمنأى عن أخطارها ولم تنج من أمراضها. إذ ما كاد يتلاشى من الحدق شبح الترك، حتى أطل شبح الفرنجة. ولم يخرج الفرنسيون الا وقد ملأوا الجسد جراحًا ومزقوه أشلاءً. ثم ذروا الملح على الجرح، فزرعوا الضغائن، وأيقظوا الاحقاد، واصطنعوا الدويلات الطائفية، واشعلوا نار الفتنة المذهبية، ودغدغوا المشاعر القبلية والنعرات العشائرية، وكونوا أحزابًا سياسية، وحركات دينية، لم تزل آثارها أو بعضها الى اليوم، حتى لم تكد تخلو قرية واحدة من نزاع وصراع. عصر يهيمن عليه الصراع على السلطة ويسوده المتكالبون على الثروة. في خضم هذا الصراع ووسط تلك

الأحداث. كان الشيخ أحمد وحيدًا في خلوته، قابعًا بصمت في محراب تعبده يكابد أحزانه وهمومه، ويعالج حيراته، ويشكو ادواء مجتمعه وآفاته. لم تشغله الأهواء عن تحصيل العلم. ولم تثن عزمه الهموم عن مواصلة السير الى مستراح طموحه، وآفاق رؤاه. فلم ينتم الى جماعةٍ أو مِلَّةٍ ولم يحوهِ حزب، أو يسلم قياده الى سلطة أو سلطان.

آنذاك والكثرة الجاهلة منشغلة بالسفاسف والتُّرّهات، كانت القلّةُ المدركةُ العاقلة منصرفة الى الإبداع والاختراع حتى كان آخر ما انتهى اليه العصر. غزو السماء، واكتشافُ عالمِ الفضاء، وهبوط الانسان على سطح القمر، فانبهر الناس، وانقطع اللغو، وحينئذٍ نبَّهَ النيامَ ولامَسَ الأسماعَ هتاف أحمد حيدر وتطلعتْ الأنظارُ الىٰ ما بعد القمر.

أسلوبُهُ:

من أبرزِ ما في الحيراتِ كمؤلَّفٍ هو النمطُ البياني الذي تمَّ بهِ عرضُ الكتابِ فالأسلوبُ الذي اعتَمَدهُ المؤلِّفُ في سياقِ كتابهِ وسردِ حيراته علىٰ القارئ وحمله على المتابعةِ ومواصلةِ العرضِ حتىٰ نهايةِ الشريطِ، أسلوبٌ محيِّرٌ أيضًا. وكأن الشّيخَ تعمَّدهُ ليجيءَ منسجمًا مع الحيراتِ متآلفًا ومضمونَ الكتابِ.

أسلوبٌ لا يدع مجالًا للقارئ لإصدارِ حكمٍ مبرمٍ غيرِ قابلٍ للطعنِ فيه أتراه أمامَ حائرٍ أقحمَ نفسهُ في متاهاتٍ لا دراية لهُ بها من قبل؟ أم أنَّهُ حيالَ لبيبٍ حاذقٍ بضروبِ البيانِ، حاضرِ الحجةِ والبرهانِ، يريدُ إمتحانَهُ وترقيتهُ إلى مرتبتهِ ليستدرجَهُ إلى الموقعِ الذي يريدُه أن يدافعَ عنه!؟..

وبالرغمِ من هذا فالقارئ لا يستطيعُ أن يطرحَ الكتابَ غيظًا، أو يضيقَ به ذَرعًا ما لم يأتِ عَلى دِفَّتهِ الثانيةِ، لأنَّه مأخوذٌ بحسنِ الأداءِ، مشدودٌ إلى

تناغم الإلقاءِ من محدّثٍ متمكّنٍ ومعلّمٍ ذكيٍّ يتقرّبُ إلى مُريدِهِ بالرَمقةِ الحييّةِ والتحيّةِ الرقيقةِ، ليسألَهُ بتواضعٍ صادقٍ وأدبٍ جمٍّ، أينَ أصبحنا، وأينَ كُلٌّ منهما منَ الآخرِ؟.. ثم يبدأ فَيسامرُهُ طويلًا، ويحاورُهُ متأنيًا، وإذا جادَلَ فإنّما يجادلُ بالحسنى، حتّى يُخيَّلَ لجليسهِ، أنَّ الشيخَ في موقعِ السائلِ، وهو في موقعِ العالمِ المجيبِ. فيدركُ مصداقيةَ القول: ليسَ العظيم من يملي عليكَ ليشعركَ بعظمتِهِ، إنما العَظيمُ من تشعرُ بعظمتك وأنت إلى جوارِهِ.
ولكنَّ الذي لا بُدَّ منه هو تنبيهُ القارئ المستنيرِ لأنْ يعودَ بذاكرتِهِ زهاءَ أربعينَ عامًا لكي يكونَ بجوارِ العلّامةِ الشيخِ إبّانَ حيرتهِ، وأن يتذكّرَ أنَّ ما كانَهُ الأمسُ غيرَ ما هو عليه اليومُ، وغيرَ ما يَصيرُ إليهِ الغدُ. ويتبيَّن لهُ موقعُ الرجلِ العالمِ الذي نفتقرُ إلى مثلِهِ، والموحِّدِ الذي يصبو العقلُ إلى إقتفاءِ أثرِهِ، والشاخصةِ التي تدلُّنا إلى الإتجاهِ الصحيحِ الذي يجتمعُ فيهِ شملُنا، وتتوحَّدُ فيه كثرتُنا، لتصبحَ وحدةً قويةً متماسكةً، يتآخى فيها الخصومَ وتنمحي الأحقادُ، ويتآلفَ الأضدادُ.

فِكْرُهُ:

أصدقُ معبّرٍ عنْ ذاتِ الإنسانِ فكرُهُ، لِأنّهُ وليدُ تفاعلٍ روحيٍّ ماديٍّ، يحملُ خصائصَ الطاقةِ الحيويةِ المحتجبةِ بذاتِها الظاهرةِ من خلالِ تأثُّرِها وتأثيرِها في الأشياءِ الواقعةِ ضمنَ دائرةِ معارفِنا. ولذا فهوَ الشاهدُ العدلُ الذي لا يجوزُ تكذيبُهُ، بأيّةِ حالٍ. وكيفما وقَعنا عليهِ فهو ظلُّ صاحبهِ على نحوٍ ما، أو صورةٌ مجسمةٌ لما كانَ يعتملُ في أعماقِ سريرتهِ قبلَ تَجسيدِ هذا الفكرِ، سواءَ جاءَ عملًا كتابيًا.. أو عطاءً فنيًا.. أو إنجازًا علميًا.

وعملًا بهذهِ الأحكامِ التي يُقِرُّها العقلُ، يمكننا إستحضارُ أحمد محمد حيدر فكرًا ولكنْ ليسَ استحضارًا كليًّا دفعةً واحدةً، لأن كلَّ عمليّةِ خلقٍ تخضعُ لأسسٍ خلقيةٍ محدَّدةٍ وفقَ ما تقتضيهِ سُنَّةُ التطوُّرِ الكونيةِ، للتنسيق بينَ

قابليةِ المقبِلِ ، وقابليةِ المُستَقْبِلِ وليسَ مِنَ الحكمةِ في شيءٍ إحداثُ هَزَّةٍ فكريةٍ مزلزلةٍ ـ لكلِّ الأسسِ الفكريةِ السابقةِ التي ما زالَ الصَرحُ الإنساني الروحي قائمًا عليها وما زالتْ العقولُ البَشرية بغالبيتها غيرَ قادرةٍ، أو راغبةٍ في الخروجِ من أقفاصِ معتقداتها الضيقةِ المغلقةِ قبلَ أوانها ولكنَّ الرجفةَ آتية لا ريبَ فيها. ولعلَّ الرجفةَ أقلُّ صعقًا إذا ما واكبَها الإكتشافُ العِلمي وهيّأ النفوسَ لقبولِها وتحملِها. وربّما يأتي العلمُ بإنجازٍ جديدٍ يقفُ الإنسانُ حياله مبهورًا ليتبينَ له الرشدُ من الغي، يكونُ قد أطلَّ علينا العالِمُ الفرطُ(١) والمفكر النهدُ(٢) أحمد بينَ من خططوا لهذا الإنقلابِ العلمي وساهموا في بناءِ الصرحِ العلمي الحديثِ، وذلكَ لما ضمَّنه من فكرٍ ثَرٍّ لزهاء عشرين مؤلفٍ ينمُّ عن عبقريةٍ متأججةٍ وبصيرةٍ وقّادةٍ نفذتْ الى ما وراء «الحجبِ» الماديةِ واخترقت ما تعجز عن خرقه أشعة إكس وغاما وما تحت الحمراء. وحسبنا دليلًا ما نُشِرَ منْ مؤلفاتِه «ما بعد القمر، التكوين والتجلي، النغم القدسي، الحيرات». وما هو في طريق النشر «الهبطة» وما زلنا ننتظر تلك اليد السمراء التي تحمل مشعلَ الحقِّ والنورِ، وتزودُ عن حياض العلم والفضيلةِ، أن تمتد إليه لتخرجَهُ من مكمنِهِ، لتتغذىٰ بهِ العقولُ وتسقىٰ منهُ الأرْواحُ المحوَّمةُ فوقَ الصخورِ مرتقبةً أن تتفجَّر منها العيونُ، وتَجري الأنهارُ. لنوقفَ مدَّ الجهلِ وغزوَ الصحراءِ أو لنحيلها جنةً خضراءَ وارفةَ الظلالِ زاخرةً بالثمارِ ولكي يكونَ لنا فضلٌ في مشاركةِ تلكَ اليدِ، فإنَّني أهيبُ بمن توفرتْ لديهِ القدرةُ وحضرتْهُ الرغبةُ للتوجهِ إلىٰ طُوْرِ أحمد وحرمِ واديه المقدَّسِ، ولكنْ بعدَ خلعِ النِعالِ. فليصحبنا من يستطيعُ معنا صبرًا. ولئلا يتعثَّر الراغبُ، أو يؤوبَ اوبةَ الضالِ، أرىٰ عليهِ أن ينظرَ مليًّا إلىٰ الأفقِ الرحبِ الذي يدورُ في فلكهِ فكرُ العلَّامةِ الشيخِ، لنطلعهُ على الدائرةِ الأحدية.

(١) الفرطُ: العَلَمُ الذي يُهْتَدَىٰ بِهِ.
(٢) النهدُ: الشيءُ المرتفعُ.

وذلك بمقدارِ ما أتيحَ لنا من علمٍ أو ألهمناهُ من فهمٍ وأشارَ علينا بهِ استاذُنا الشيخُ وسدَّدَ أنظارَنا اليهِ وصوَّبَ خطانا شطرَ قبلتِهِ، إنها دائرةٌ محيطُها الإسلامُ، وفضاؤها الإيمانُ، ومركزُها الفناءُ. وقبلَ مشاهدةِ المركزِ، لا بدَّ من التّماسِّ بمحيطِها لنحدثَ ثقبًا ننفذ منه إلى فضائها.

الإسلام:

من سلِمَ إذا نجا ـ وسلَّم إذا حيَّا، والسلامةُ البراءةُ من العيوبِ، والسلامُ ضدُّ الحربِ وهو إسمٌ من أسماءِ الله تعالى، وتسالمتْ الخيلُ سايرَ بعضُها بعضًا. وعن النبي « ﷺ » المسلمُ من سلمَ الناسُ من لسانِهِ ويدِهِ. والإسلامُ الحنيفُ دينُ التوحيدِ الصحيحِ، دينُ أبينا إبراهيم الذي سمَّانا مسلمين. ودينُ جميعِ الأنبياءِ. لقوله تعالىٰ: « قال الحواريون نحن أنصارُ الله آمنا بالله وأشهدْ بأنا مسلمون ». وقولِهِ سبحانه: « أفغيرَ دينِ الله يبغون وله أسلم من في السمٰواتِ والأرض ». وكقولِهِ عز شأنُهُ: قولوا آمنَّا باللهِ وما أنزلَ علىٰ إبراهيم واسماعيلَ وإسحقَ ويعقوبَ والأسباطِ وما أوتي موسى وعيسىٰ والنبيّون من ربِّهم لا نفرقُ بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون ». « ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ».

نستدلُّ من هذا أن المسلمَ من أسلَمَ وجههُ لله، وعمـلَ بما أنـزلَ على النبيين، لا يفرقُ بين أحدٍ منهم، ولا يتعرض لأحدٍ من عيالِ الله بأذى، والخلقُ كلهم عيالُ الله. ولما كان الإسلامُ دينَ البشرية جمعاء فقد انضوى تحتَ لوائه كلُّ مُوحِّدٍ سواءً كانَ إبراهيميًا أو موسويًا او عيسويًا أو محمديًا، وعلى هذا يصح القول: أن من يبتغي غيرَ الإسلامِ دينًا فلنْ يقبلَ منه وهو في الآخرةِ من الخاسرين.

الإيمان:

منْ أَمِنَ وآمَنَ إذا وَثِقَ وَصَدَّقَ.

والأمنُ ضدُّ الخوفِ والأمانةُ ضد الخيانةِ وآمين إسمٌ من أسماء الله معناه استجب. قال سبحانه: قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمانُ قلوبَنَا. وعلىٰ هذا الأساسِ الراسخِ، المتين بنىٰ الشيخُ لُبناتِ رأيه، وأرسىٰ معتقدَهُ، فقالَ الايمانُ بعدَ الاسلام. والإيمانُ هو التصديقُ وقبولُ الشريعةِ وإظهارُ الخضوعِ والإمتثالُ للأوامرِ الإلهية فإن التزمَ المسلمُ بما نصّتْ عليهِ الشرائعُ السماوية ثمّ أضمرَ من التوحيدِ مثلَ ما أظهرَ فقدْ أدّى الأمانةَ التي حملَها الإنسانُ مختارًا وأبتْ حملَهَا السمٰواتُ والأرضُ.

وبتأديةِ المسلمِ الأمانةَ يرقىٰ الىٰ مملكةِ الإيمان ويكتبُ معَ المؤمنين، فينزلُ اللهُ سكينتَه علىٰ قلبهِ، ويشرحُ صدرَهُ، ويرفعُ عنه وزرَهُ، ويقرنُ عزتَهُ الى عزتِه «إن العزَّةَ لله ولرسولهِ وللمؤمنين» وعندَها يتيسَّرُ له الوصولُ ويؤذنُ له بالدخولِ الىٰ حظيرةِ الإيمان التي يديرُها ويصرِّفُها أميرُ كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ «عليٌّ بن أبي طالب».. عليه السلامُ.

الفناء:

فَنِيَ الشيءُ لغةً: عُدِمَ وفناءُ الدارِ ما اتسعَ منْ أمامِها وامتدَّ، والفناءُ عندَ المتصوفين إنعدامُ الشيء ومحوهُ، وفناءُ المحبِّ بعليٍّ هو انسلاخُه عن أناه وانعتاقه مِن قيودِ جسدِهِ، ليتقرَّب إلى القطبِ ويدورَ حولَه بغيةَ أن ينجذبَ إليه ويتَّحدَ به، ودونَ كلِّ خطوةٍ تجاوزُ عقبةٍ وفكُّ رقبةٍ، فالرحا تدورُ والطحنُ مستمرٌّ، والأنا تتلاشىٰ، ولكنْ كيفَ يتحققُ بلوغ المرامِ، ونوالُ الوطرِ للمثولِ بحضرةِ المحبوبِ والاتحادِ بهِ؟.. لقد اتضحَ لنا مِمّا تقدَّمَ عرضُهُ أنَّ الانسانَ عندما سلمَ الناسُ من شرّه وخلا من العيوبِ سمّي مسلمًا،

وأنّهُ متى اعتنقَ دينَ التوحيدِ الصحيحِ وصدَّقَ بهِ وامتثلَ لأوامرهِ.. سمّي مؤمنًا فما الذي يترتبُ عليه فعلُه، ويلزمُ بهِ نفسَهُ.. ليتَّحدَ بعليٍّ.. ويبلغَ مرتبةَ الفناءِ بالله سبحانَه وما هوَ السبيلُ إلى ذلك؟.. إنَّهُ الحبُّ ولا شكَّ، لأنهُ السُّلَّمُ الروحيُّ الذي نرقىٰ عليه إلى عالمِ الملكوت.

قال أبو ماضي:

قـــالَ قـــومٌ إنَّ المحبَّـــةَ إثمٌ ويحَ بعضِ النفـوسِ مـا أغبـاهـا
إنَّ نفسًـا لم يثمـرِ الحبُّ فيهـا هـيَ نفسٌ لم تَـدرِ مـا معنَـاهـا
أنا بالحبِّ قـد وصلـتُ إلى نفسي وبـالحبِّ قـدْ عـرفـتُ.. اللهَ

ولكنْ أيُّ حُبٍّ تراهُ يكونُ هذا؟!.. وقد عجزَ الشعراءُ عن وصفِهِ وتحديدِ ماهيتِه. قال شوقي:

يقولُ أناسٌ لو وصفتَ لنـا الهوى لعلَّ الذي لا يعرفُ الحبَّ يعـرفُ
فقلتُ لقـدْ ذقـتُ الهوى ثمَّ ذقتـه فواللهِ لا أدري الهوى كيفَ يوصفُ

بيدَ أنَّ أبا فراس رأى الحبَّ جسرًا يعبرُ عليه الحزنُ والبلى إلى القلبِ، وسبيلًا يسوقُ المرءَ إلى ساحةِ الردىٰ ليلقي بهِ الى المهالكِ، واقتحامِ الأهوالِ، ومنْ لا يحبُّ، يستبدُّ بهِ الخوفُ فيحجمُ عنِ التضحيةِ، ولكنْ ثمَّةَ سرٌّ لا يَبوحُ لنا بِهِ، لقولِهِ:

بَلى أنـا مشتـاقٌ وعنـدي لـوعـةٌ ولكـنَّ مثلي لا يـذاعُ لـه سرٌّ
ولولاكِ للآخرانِ ما كانَ مسلـكٌ الى القلبِ لكـنَّ الهوى للبلى جسرُ

فأيّ سرٍّ كتمَ؟.. وعمَّنْ؟. طالما الحُب هو المبدأ الفطري الذي انفطرَ عليه كلُّ ما في الوجودِ! وهذه قوافلُ العشَّاقِ ملءُ الآفاق. كلُّ عاشقٍ في طريقٍ ولا ضيرَ فللناسِ فيما يعشقونَ مذاهبُ وأغربُ هذه المذاهب ما ذهبَ اليه

مجنونُ بني عامر: فهو يأوي الى الخراب الذي هجرته ليلى ويتمرغ بالتراب الذي وطئته قدماها.. ثم يقبل الجدران ويريد أن يجعل من نفسه حمارًا ليحملَ عبدًا من عبيد أهلها وبهذا الخضوع والامتثال وإذلال النفس يتقرب إلى ليلى ويعبر لها عن حبه حيث يقول:

أمـــر على الديـــار ديـــار ليلى   أقبـــل ذا الجـــدار وذا الجـــدارا
ومـا حـــب الديـــار شغفـن قلبي   ولكـــن حـب مـن سكـن الديـارا
ولـــو عبـــد أتـــى مـــن آل ليلىٰ   ليركـبـــني لـصرت لـــه حمـــارا

الحب الذي يودي بصاحبه الى الجنون.. والخروج عن كل مألوف، حتى يضنيه الوجد، ويقعده الجوى فيهتف مستغيثًا، ولا من يخفّ لإنقاذه.. أو يهبُّ لنجدته ولا حبيبٌ يضمه إليه.. أو يصفُ له دواءه، يقول متبول آخر:

بكـل تـداوينـا فلم يشـف مـا بنـا   على أنَّ قربَ الدارِ خيرٌ من البعـدِ
ولكـنَّ قـربَ الدارِ ليسَ بنـافـعٍ   إذا كانَ منْ تهواهُ ليس بـذي ودِّ

تلك هي آفة الهوى والسر الذي لم يعلن لنا عنه أبو فراس، ترى كيف الشفاء من هذا البلاء أو ما لداء الهوى من دواء؟!..

يجيبنا على هذا السؤال طبيب الأطباء وسيد البلغاء علي بن أبي طالب بقوله:

دواؤك فيـــــك ولا تشعـــــر   وداؤك منـــــك وتستنكـــــر

إذًا فعلام يبحث الانسان عمن يتعلق به خارج ذاته؟!.. وفيه داؤه ودواؤه وعنده الحُبُّ والحِبُّ والحبيبُ. وهو السفر الإلهي المتضمن كل الأشياء؟.. إنه الكائن الذي استخلفه الله علىٰ ملكه وأحسن تصويره. بيد أنه انشغل في نزواته.. وانصرف الى ملذاته وشهواته. دون أن يتمعن في آية من

آيات الله ـ كالنحلة ـ التي هي دونه في الخلق حيث يجد في طرفيها الضدين ـ السم والعسل ـ فهلا نظر قليلًا إلى مرآة نفسه وتأمل بديع خلقه ليرىٰ في ذاته معجم الأسرار ومجمع الأضداد؟.. وأنه عالم مصغر عن العالم الكبير الذي لا حد له ولا نهاية؟.. جسمه الكون.. وقلبه المركز. والأوردة والشرايين قنوات ودروب متفرعة عنه ومؤدية اليه. تذهب عبرها الخلايا وتؤوب إليه بعد تأدية مهامها. ومرورها على أجهزةٍ ومصافٍ لتتخلّص ممّا علق بها من أدران ثم لتنسكب به سليمة نقية وهل تلك الخلايا والقطرات التي تحمل كل منها صفات الأخرىٰ. ويتشكل منها الدم كله سوىٰ المكونات التي تسبح جيئة وذهابًا.. في فضاء الجسد الكوني وأمدائه أم هل ما نستشعره من تآخي الين واليانغ في عالم الطبيعة غير مثال لتآلف الأنيموس والأنيما في النفس الانسانية الواحدة. وما هذه إلا مثال للهيولىٰ الكونية الأولى التي تكتنز الجمال والجلال في إنيّةِ الكمال[1].

تلك هي مشيئة الله التي لن نجد لها تبديلًا، فالانسان منذ إيجاده وهو يحمل نقيضه داخله، بدليل قوله سبحانه «خلقناكم من نفسٍ واحدة ثم جعلنا منها زوجها» وقوله: «جعلنا منها الذكر والأنثى.. إلى ما لا نهاية.. وذلك ليعرف الخالق».. ويتعارف الخلق بالكثرة والغربة تعارفهم بالوحدة والصحبة. ثم يشتاقون العود إلى أحضانه ويعملون للتسابق الىٰ رضوانه. ولهذا قضت الحكمة الإلهية بإيقاع التكليف على النفس الإنسانية وكما يحصل لأي منا عندما يكلف بأمر يشعر حياله بالتردد فهو بين مقدم ومحجم وكأنه بين قوتين

(١) الينّ: الإسم الذي أطلقه الفكر الصيني على المبدأ السالب في الطبيعة.
اليانغ: الإسم الذي أطلقه الفكر الصيني على المبدأ الموجب في الطبيعة.
وفي العلم الحديث أطلقت المدرسة اليونغية على الطاقة الموجبة في النفس البشرية اسم «الانيموس» وعلى السالب إسم «الأنيما» وعلى هذا فالأنيموس هو الرجل الكامن في كل امرأة.. والأنيما هي المرأة الطاقة الكامنة في كل رجل.

تتجاذبانه كل الى جهة فإذا ذهب لتأدية ما كُلِّفَ به وتعرض لمكروه برزت القوة التي كانت تريد له الا يفعل وقالت له أما نهيتك. وإذا ما حقق الإربة التي جاء في طلبها ظهرت القوة التي حدت به للإمتثال والقيام بالأمر لتقول له أما هذا ما أشرت عليك به؟.. ولهذا اصطلت الحرب بين القوتين وانتهت إلى فرقة الإلفين وعندما أخذتها الصعقة ولفحتها نار الفرقة أنحىٰ كل منهما باللائمة على شقة الآخر حتى تفاقمت البغضاء واستشرت العداوة وتناقلها الانسان ـ قتل ما اكفره ـ ليورثها بنيه. وهكذا منذ المضاجعة النرجسية[1] الأولىٰ تولدت الغيرة وظهرت الضدية. حتى راح كل من الشريكين يلقي على الآخر تبعة ما آلَ إليه أمرهما من فساد ولو اطلع كل منهما على حب الآخر له.. أو علم الغاية من ذلك الإيجاد على النحو الذي هما عليه لفر كل منهما للآخر وبادر إلى ضمه واحتوائه. إذ بذلك الإنشطار لبست الحياة ثوبها.. وأخذ مسارها. فتمثّل لها عدو من نفسها. وتجسّدت من طينة حبها عداوتها ونشبت الحرب التي لم يخمد أوارها. إلا أنها بالرغم من هذا، فهي حرب وقودها الغيرة وسلاحها الحب، ولئن بدا أن كلّا من المتحاربين، همه أن يقهر الآخر ويرغمه على الخضوع والإستسلام، والانقياد لأمره، فإن ذلك كله بدافع الحنين الكامن في حبة القلب.. والشوق المتأجج في باطن النفس الى التَّضامّ والإلتحام ليعودا إلىٰ ما كانا عليهِ معًا في البدء قبل الفراق وعلىٰ ضوء المعرفة التي أرشد اليها عليّ العشّاقَ الضّالين في متاهات العواطف. وبعد أن هدانا ومهد لنا الطريق الى الحب نسمع بعض المحبين الذين وعوا حقيقة الحب يقول:

(١) المضاجعة النرجسية: هي المضاجعة التي تمت في ذات آدم الذكر الذي يحتوي داخله علىٰ بذور الأنوثة الكامنة.
وتقابلها الصورة التي تمت في ذات العذراء الأنثى.
أي أنها تلاشي الحالة الأولىٰ الكاملة وتجاوزها إلىٰ وضع دينامي جديد.

أنا مـن أهـوىٰ ومـن أهـوىٰ أنـا نحن روحـان حَللنـا بـدنـا
فـإذا أبصرتنـا.. أبصرتـه وإذا أبصرتـه أبصرتنـا

أما العاشق «العاني» فإنه يعلن صراحة أن علي بن أبي طالب هو معلّمهُ وهاديه إلىٰ الحب الإلهي الأسمى. لقوله:

فخلني ويقيني في أبي حسـن فليس حكمك في شأن الهوى شـأني
وسمني وادعني في كـل منـزلـة بمسـلمٍ ويهـوديٍّ ونـصـراني

حب شمولي من نوع جديد اجتمعت فيه كل الأديان، مثلما اجتمعت كل الألوان في قرص نيوتن ليعطي حال دورانه لونًا واحدًا لا تقع العين فيه على تغاير أو تضاد ولا يطغىٰ لون على لون، فهي كلها هو حالَ سكونها، وهو هي كلها حال سيرها ودورانها ومتى أدرك الإنسان هذا يتبين له أن الكون كله على كثرة ما فيه من صور وأجسام ـ وحدة متوحدة في المطلق. فيأبىٰ أن ينقاد إلى حب جزء منه أو التعلق بشيء دون الآخر.

فيتلاشى منه الكره إذ ما من حاجة إليه طالما لا وجود لشر أو مكروه يصب عليه حقده فيتيقن لديه أن واجب الوجود لم يودع في هذا الوجود إلا الخير وما هو أهل للحب، وقد قدَّر لشهيدة الحب رابعة أن تنعم بهذا الكشف.. وتلذ بمقام الشهود لقولها:

أحبـك حبين حـبَّ الهوىٰ وحبّـا لأنـك أهـل لـذاكـا
فـأمـا الذي هـو حـبُّ الهوىٰ فشغلي بـذكـرك عَمَّـن سـواكـا
وأمـا الذي أنـت أهـل لـه فكشفـك لي الحجـب حتى أراكـا

إنها لا تعرف غير الحب، أو أنه لم يتبق عندها موضع لغير الحب، فهي لم تعد ترى غير الله فمن الذي تكره؟.. وعندما قيل لها: أما تكرهين الشيطان

يا رابعة؟.. أجابت.. إن حبي لله قد منعني عن الإشتغال بكراهية الشيطان. هوذا الحب بأبهى صوره وألطف معانيه، وأروع تجلياته. الحب الذي يحجب كل ما عداه، فلا يبقىٰ لمكروه ظل، ولا لشر أثر، ولا بقلب وسواس، أو بعقل هاجس، لقد ارتقىٰ الحب بصاحبه إلى جوار المحبوب ليصبح منه قاب قوسين أو أدنىٰ، فتحتضنه أشعة نور المحبوب ثم تجتذبه إلى قرصها الذي لا تقوىٰ علىٰ رؤيته وليس لنافيه مقال وبهذا يكون قد حصل على ما ندعوه من جهتنا بالموت وتحقق الفناء، أما من الجهة الأخرى فقد ظفر بالحياة وَحُقَّ له الخلود.

وعلى هدي النور الذي اهتدينا بأشعته، نسير مع الصراط الذي رسمه علي وهو نور صادر من نور وراجع إليه. إذ جاء في مسند الأمام أحمد أن النبي «ﷺ» قال: «كنت وعلي نوراً بين يدي الرحمن قبل أن يخلق عرشه بأربع عشرة سنة». كما جاء في كتاب الأربعين عن أنس بن مالك أن النبي «ﷺ» قال: «إنه اذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ يا علي، مرَّ أنت وشيعتك إلىٰ الجنة بغير حساب». فما همٌّ من يهتدي إلى هذا الصراط القويم، ويقتبس قبساً من ذاك الشعاع؟!.. أو كيف لمن يرغب الدخول إلىٰ الجنة بغير حساب، والعود بلا توقف ألّا يسلك هذا الطريق أو يغمض عينيه عن ذلك الألق الإلهي السّاطع؟!..

ومن الأحاديث التي لا يمكن دحضها ولا يجوز الشك بصدقها وصحة نسبها ما جاء في الأربعين عن عمران بن القطان عن وكيع عن مالك بن أنس عن الزهري عن أنس عن عمر بن الخطاب واللفظ لعائشة. قالت: كان أبو بكر يديم النظر الىٰ علي «ع» فقيل له في ذلك فقال: سمعت رسول الله «ﷺ» يقول: «النظر الىٰ علي عبادة».

وفي الإبانة عن إبن بطة، روى أبو صالح عن أبي هريرة قال: رأيت

معاذًا يديم النظر إلى وجه علي فقلت له: إنك تديم النظر اليه كأنك لم تره. قال: سمعت رسول الله «ﷺ» يقول: النظر الىٰ وجه علي عبادة. وفي رواية عمّار ومعاذ وعائشة عن النبي «ﷺ» قال: النظر إلىٰ علي عبادة وذكره عبادة ولا يقبل إيمان إلّا بولايته. والبراءة من أعدائه. وعن إبن عمر قال: قال النبي «ﷺ»: حب علي بن أبي طالب حسنة لا تضر معها سيئة.. وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة. وعن أنس أيضًا قال: قال رسول الله «ﷺ»: علي خليفة الله ووليه وحجته على جميع خلقه، طاعته مقرونة بطاعة الله وطاعتي، من عرفه عرفني، ومن أنكره أنكرني.

وفي صحيح مسلم وصحيح الترمذي عن النبي «ﷺ» قال: «حبُّ علي إيمان وبغضه نفاق». وفي مستدرك الحاكم، وصحيح مسلم، ومسند أحمد عن النبي «ﷺ» قال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وآل من والاه، وعاد من عاداه». والأحاديث جمة، نقتطف بعضًا منها، «من أحب عليًا فقد احبني - علي مع الحق والحق مع علي اللهم أدر الحق معه أنىٰ دار وقول الرسول «ﷺ» يوم مبارزة علي لعمرو بن ود، «اليوم برز الايمان كله للكفر كله». وإذا كان لسائل أن يسأل، لماذا لاقىٰ آل البيت ما لا قوه من عناء وبلاء فحسبه كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. «إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهلَ البيت ويطهركم تطهيرًا».

وبعد هذا كله وما هذا إلا غيض من فيض - هل ثمة حاجة لبرهان، أم حجة لمرتاب وقد مرَّ به أن عليًا هو الحق والنور والإيمان كله، وأن حبه هو الصراط المستقيم الى دار النعيم، انه لا محيد لعاقل مؤمن عالم عن حب علي، وأن لا مناص ولا خلاص لمن لا يعقل قلبه بركابه ويتعبد في محرابه؟!.. ولئن انبرىٰ قائل يقول: طالما أن الطرق إلى الله كثيرة متعددة متنوعة بتعدد الخلق وتنوعهم بدليل قوله سبحانه: «أينما توليتم فثم وجه الله، ولله المشرق

والمغرب» وبمحكم قضائه قضىٰ الا تعبدوا إلا إياه». فلِمَ التقيد بجهةٍ دون الأخرى؟.. ولماذا التدافع والإزدحام علىٰ طريق واحد؟!.. لوجد من يرد على قوله هذا بقوله له: أيها أشفىٰ لآفة العاشق وأروى لغلة الوامق؟.. لثم الصورة وضم الثوب، أم قبلة الثغر وعناق المحبوب..؟.. ولماذا السير على الطريق الموحش الملتوي، وما الحاجة الى وضع الشاخصة والحجارة؟.. وتلك هي المنارة؟.. وما دامت كل الجهات لله فلِمَ لا نتجه إلى الجهة الأسلم.. والحجة الواحدة التي هي القبلة..؟ ولِمَ لا نتتبع الخط المستقيم طالما هو الخط الأقرب إلىٰ الغاية المراد بلوغها؟...

ثم أمن يمشي مُكِبًّا على وجهه أهدى، أم من يمشي سويًا علىٰ صراط مستقيم؟.. وهل الناظر الىٰ وجه المرآة الصقيل المتأمل في الصورة التي أودع الله فيها شفيف سره وأكمل آياته، كالناظر إلى وجهها الظليل هربًا من رؤية ما فيه من قبح وعيوب..؟.. وهل تختفي عيوبه على عين عقله، أم تنمحي عاهاته من مرآة وجدانه.. إذا كان لديه عقل يعقل به ووجدان ينظر إليه؟!... ثم ماذا على الانسان أن يحب من أحبه الله ورسوله ويمتثل لأمره كيفما يشاء؟.. وهلّا كان لإبليس ان يخرج مذمومًا ويندم على ما بدر منه لو أنه سجد لآدم «ع» أما كان تخلّيهِ عن أناه وكبريائه، وسجوده لآدم طاعةً وعبادةً لله سبحانه؟!...وهل يخطرن في بال مؤمن أن السجود المشار إليه ليوسف من قبل أبويه متعارض مع طاعة الله، أم سجود لغيره..؟!.. مما لا شك فيه أن الأعمال بالنيات ولك إمرئ ما نوىٰ إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر. وإستنادًا الى أن كل عمل مسبوق بنية هو تبع لها، يمكننا القول: إنَّ النِّيَّةَ المضمرة إذا كانت متجهةً الى الله فإن العملَ الظاهرَ المتعلقَ بها هو إتجاه إلى الله وإمتثال لأمره وإن بدا لنا من جهتنا أنه توجه إلى صنم أو طاعة لسلطان. ولهذا كان النظر إلىٰ وجه علي عبادة لله وتوجهًا إلىٰ وجهه.

فانىٰ لمكابر بعد هذا الإيضاح أن يكون في حلٍّ من ولاية علي؟.. وهو الذي كان مع كل بني مذ خلق الله الأرض والسماء وأرسل الأنبياء، واسمه في التوراة والزبور والإنجيل والقرآن. وكيف يقبل إيمان تابع لعيسىٰ لا يحب «إيليا»؟.. أم تابع لموسىٰ لا يحب «بريا» وما من أمة خلت إلا وأرسل لها نذير وجاءها بشير. ومع كل نذير هاد ومع كل نبي وصي. ومن كذب الوصي فقد كذب النبي وكذب الله وويل يومئذ للمكذبين. فلنجعل الايمان زادًا والحق لباسًا ولنتجه إلىٰ النور ولا حرج علينا ولا جناح بعدئذ ولنمض إلى رحاب الحيرات.

كل ما في الحيرات لغز.. وليس لهذا اللغز الا مفتاح واحد هو العقل، فإذا ما نهدت الى هذا اللغز راغبًا حل عقد سحره وفك طلاسمه، فلا تنس مفتاحك، ولا تهمل جهازك فإنك لاْ تدري على شاطئ بحر نزلت، أم إلى جنة عدن دخلت، تشعر تارة أنك أمام بحر هياج زاخر بالجزر متلاطم الأمواج، فتنتابك الرعشة وأنت تلامس بجسدك الماء ويصفعك الموج، ثم لا تلبث أن تطمئن وقد تجاوزت الشاطئ الصاخب الى اللجة الهادئة لتجد أن الجزر المختلفة المتباعدة عند السطح متقاربة متصلة في الأعماق، كأصابع اليد الواحدة حال بسطها وانفراجها، ثم ترى علىٰ سفوح تلك الجزر اللؤلؤ والمرجان وعرائس البحر والحيتان. فليهزك الخوف، وتلفحك الدهشة، ويتبادر إلىٰ ذهنك السؤال لماذا الموحش إلى جوار المؤنس؟!.. عندئذ أدر المفتاح وأصغ الىٰ الجهاز لتسمع رأي راع نجديٍّ اسمه «دوقلة» ضمَّنَهُ وصفَ حبيبتهِ:

الوجهُ مثلُ الصبحِ مبيضٌّ والشعرُ مثلُ الليلِ مسودٌّ
ضِدّانِ لمّا استجمعَا حَسُنَا والضدُّ يظهرُ حُسنَهُ الضدُّ

فقد أرادت الحكمة الإلهية أن تجمع البياض والسواد وتجاور ما بين القبح

والجهال وأن توجد في العالم أشياء تبعث على الخوف، وأشياء تنبعث منها الروائح الكريهة. لئلا يلتبس علينا الأمر، ولنعرف الخير من الشر، ولكليهما فضل وأجر.

وعندما تتوق للرجوع إلى موطن الانسان، وتحن الى لقاء الخلان، تحملك أجنحة الشوق لتلقي بك على بوابة بستان، فيه من كلِ فاكهة زوجان، وحور وولدان وما أن تغدو مفعمًا بالسرور وتسقىٰ من كوثر الخمور، حتى يشنف سمعك الأذان وموسيقىٰ القرآن ويطربك تسبيح الأحبار والرهبان. فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان فبأيّ آلاء ربكما تكذبان؟..

ولكن قبل أن نتوغل بعيدًا ونمضي على الطريق عدوًا ووثبًا. ولئلا ننزلق أو يغيب عنا موطئ قدم أنبه إلى وجوب اجتياز الطريق خطوة فخطوة، فلا تبرح قدم مكانها قبل أن تكون الأخرى قد لامست الطريق وتثبتت عليه. لأن كل خطوة غير أختها، وكل واحدة تضعنا في موضع يقربنا من الغاية ويقودنا الى النهاية. فلا حاجة للرجوع إلى مكان كُنَّا قد انفصلنا عنه بوثبنا فوقه. ومن يبدأ متزنًا متبينًا موقع خطاه لا يقع. فمن أين البدء وكيف؟ هذا أول ما يخطر ببال من ينشد تحصيل المعرفة، ويتولد في ذهن من يتقصى الحقيقة، ويبغي اكتشاف سر الخليقة، ومعدن نواة الوجود.

وهذا أول ما يعرض له الشيخ ويصدر به معرض حيراته. فيوجز لنا ما أجمع عليه رأي الفلاسفة الإلهيين، والعلماء المؤمنين حول أصل المكونات، وبدء التكوين، انه السيد محمد «ﷺ» الذي كان نورًا بين يدي الله قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف سنة وهذا ما صرح به السيد المسيح «ع» لقوله: «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» وبعدما تبين الحق لمن كشف الله الغشاوة عن بصره. وأنزل سكينته على قلبه، وتيقن لديه أن لا فرق بين نبي ونبي أو رسول ورسول. يكون قد اهتدىٰ إلىٰ مبدأ الكون، وأصل الوجود.

وقد أورد جولد تسيهر عن الصوفيين قولهم: إن الخلاف بين الأنبياء لم يكن إلا في المظهر الخارجي، أما في الحقيقة فإنهم رسول واحد بعث الى العالمين في أزمنة مختلفة وفي مظاهر جسمانية متباينة. كي يعلن للناس ارادة الله، وينبئهم بمشيئته ولما كان السيد محمد « ﷺ » الكائن الأول الصادر عن واجب الوجود قبل التكوين فقد اقتضى أن يكون ذا جهتين، جهة متصلة بالله، وجهة متصلة بالكون والانسان لأن واجب الوجود تام. مكتف بذاته، غير مادي ولا معلول، لا شريك له، ولا ضد ولا ند، لا يوصف كشيء، وليس كمثله شيء. ولله دَرُّ القائل:

قيــلَ ذاتُ الالـــهِ نـــورٌ مبينٌ ... قلـتُ هــذا لكــنْ بغيرِ شهــودِ
قيـلَ غيـبٌ تقـولُ قلـتُ ولكـــن ... غيـبَ سرٍّ عـن فهـمِ غـرٍّ بليــدِ
قيـلَ مـاذا تقـولُ قلـتُ لهم نـورُ ... لأنسِ الترجيـــعِ والترديـــدِ

وطالما أن السيد محمد « ﷺ » هو الكائن الأول المنبثق عن العقل الكلي، فيجب أن يكون قادرًا على معرفة موجده وإدراك ذاته، ومن معرفته لموجده يستدل على أنه واحد بالعدد صادر عن الأحد. لكنه خلاقًا لمبدعه فهو متكثر من حيث إدراكه لذاته، لأنه يعقل ذاته من حيث كونه ممكنًا بذاته من جهة، وأنه واجب بمبدعه من جهة ثانية. حتى ننتهي إلى القول أنه « ﷺ » أول الخلق وخاتم الانبياء.

وفي بحث العلم والجهل يخلص الشيخ الى القول: أن العلم هو كل ما قاد الى الله سبحانه، وما قاد إلى سوى الله فهو الجهل وان كان مشابهًا للعلم. وايمانه هذا بالعلم هو ما نفَّر عنه كثرة الجهال وشذاذ الرجال، نفور الجياد عن السائس ما بين رافس وعابس، فصح فيهم قول القائل:

واذا المحسَّةُ بين خيـل قـرقعـت ... ثبـــت السليم وعنفـــص المعقـــور

وقد عموا وصموا عن قول أمير المؤمنين «ع»: بالعلم يطاع الله ويعبد، وبالعلم يعرف ويوحد بالعلم توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، والعلم إمام للعقل، والعقل تابعه يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء. وهكذا أعابوا عليه صرف ما يخزنون والجود بما يضنون فما قيمة علم لا يؤخذ منه ولا ينتفع به..؟.. فهم..

كالعيس في الصحـراء يقتلهـا الظمأ والماء فـوق ظهـورهـا محمول.

ولعمري أي فضل لمن يحمل علمًا لا ينفق منه ليزداد بالإنفاق؟.. أليس كالحمار يحمل فوق ظهره أسفارًا؟.. أو كما قال الشاعر:

إذا حُمِـلَ النضـارُ علي نيـاقٍ فأيُّ الفضلِ يحسبُ للنيـاقِ ؟!...

لقد أعرضوا عنه واجمين وتألّبوا عليه حاقدين، لم يثنهم قول الامام الباقر «ع» لو علم الناس كيف خلق الله الخلق لم يلم أحد أحدًا». ولم يعيروا أذنًا لما قاله أحد الموحدين إبن مطهر الحلي:

لو كنـتَ تعلمُ كـلَّ مـا علمَ الورى طرًا لكنـتَ صـديـقَ كـلِّ العـالمِ
لكن جهلتَ فصرتَ تحسبُ كلَّ من يهوىٰ بغيرِ هـواكَ ليسَ بعـالمِ

ثم هل بغير العلم تحل الرموز التي وردت في الكتب السماوية؟.. وتفهم القصص القرآنية التي تومئ إلى الشجرة، والكلب، والهدهد، والبقرة، وغير ذلك؟.. لنعرف أن الغاية منها التعليم والدلالة، وتسهيل الصعب وأن الوقوف عند ظاهر تلك القصص دون الغوص إلى باطنها يرينا الرسل والانبياء في بعض أعمالهم ومواقفهم قد فعلوا من الأخطاء ما يربأ الانسان السويُّ عن فعله، وينبو الذوق السليم عنه، وهذا ما لا يتفق ومهمة الرسل الذين جاؤوا لهداية البشر، وتخليصهم من الظلمات الى النور ومن الضلالة الىٰ الهدى. وبالعلم

يمكننا التفريق بين البشر والانبياء ومعرفة كيف أسرى الله برسوله ليلًا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى والسفر بينهما يتطلب أشهرًا وزادًا كثيرًا. وبمنظار العلم نرى أن المصلوب على الخشبة ليس كلمة الله التي ألقاها الى مريم. وهذا ينقلنا الى الظاهر والباطن كيف يلتقيان وإلام يذهب التوأمان..؟!.. يقول الامام الصادق «ع»: لا إيمان بظاهر الا بباطن، ولا بباطن الا بظاهر..» إنه قول لا مراء فيه، وقد تلمس العلم الانساني طريقه نحو هذا اليقين، وخطا أول خطوة باتجاهه بعد أن ظل مصطلح الذرة منذ عهد آفو غاردو وغاليله وحتى ما بعد منتصف القرن العشرين وزمن مكتشف الذرة «نيلزبور» يعزى الى مكون يستحيل تقسيمه وهو «آتوم» الجوهر الفرد الذي لا يتجزأ. ولكن الكهردينامية الكونية أثبتت أن إجتياز «٢٠٠» كم مئتي كيلومتر صعودًا في الفضاء يحمل الانسان الى حيز تحولت فيه الذرة من مصافّ الرعيَّةِ إلى مصافِ الملوك أي أنها تحولت من مادة حسية إلى طاقة معنوية وبهذا تحررت من قيد العبودية وارتقت الى فلك الأحرار ومقام الملوك.

والذين أوتوا علم الظاهر والباطن. قبل آفوغاردو وغاليله ونيلزبور بمئات السنين هم أهل بيت النبوة «ع» لقول النبي «ﷺ» إنهم عترتي خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي وقد قال الإمام زين العابدين «ع» قبل اكتشاف الذرة وتسمية البروتون، والنترون، والميزون في أحد أدعيته: يا من تعلم وزن النور والهواء وجاء عن الإمام الصادق «ع» أنه قال: قرأت عن جدي علي «ع» أن في الأرض معدنًا فرّارًا وجسمًا براقًا. إذا مزجا دمرا كل شيء. وأخذ الشاعر هذا المعنى فقال:

خُــذِ الفــرّارَ والطلقــا وشيئًــا يشبــه البرقــا
اذا مــازجتــه سحقًــا ملكــت الغــرب والشرقــا

وعلى هدي هذا العلم الذي أوتوه من الله وحدثوا به عما كان وعما سيكون، يمكننا النظر الى بقية المواضيع التي حار فيها الشيخ أنهم هم الأعراف، وتكلمهم في البطون، إنهم أول التكوين، احياؤهم الموتى، معاجزهم، المعراج ـ رد الشمس ـ انطاق الجماد عدم معرفتهم ـ أنهم أسماء الله.. وصفاته، اسرار الرحم ـ بيعة الغدير ـ انهم باطن التكليف ـ الولاية، الرؤية، وما لم يذكره.. وبالرجوع الى كتاب الله، والاستعانة بأقوال رسول الله، وما جاء عن أهل البيت وآراء أئمة الفقه وجمهور الفلاسفة وما وصل اليه العلماء مقرونًا بقول الامام الصادق «ع». «أنَّ لنا منزلةً عند بارينا اذا أعطاناها كنا كهو، وإن سلبنا اياها كنا نحن كما نحن وكان هو كما هو». ومرفقًا بقول رسول الله «ﷺ»: «إذا أحب الله عبدًا كان سمعه وبصره ويده» و«عبدي أطعني أجعلك مثلي» فإننا لا نملك إلا التسليم، بأن الله إذا أراد أمرًا كان مقضيًا واذا أضفى شيئًا من قدرته وأجرى بعضًا من علمه على أي من خلقه الذي لا يشغله إلا التفكير به والتعبد له، فعل العبد فعل ربه، فيتصرف بالمكان والزمان وما دونها لأن كل شيء مسخر له وموجود لأجله، ولئن كان ما عرضناه من معاجز وقدر يفوق مداركنا وطاقات عقولنا فما ذاك إلا لأننا ما أوتينا من العلم الا قليلًا.. وبهذا النذر اليسير من العلم لا يستطيع العقل البشري إدراك السر الكبير بسبب ما يعتور العقل من نقص وعجز ومن جرّاء مخالطته للمادة وما علق به من شوائب، وما يراوده من عواطف وبالرغم من هذا فإن العقل لا يرفض المعجزة، ولا ينكر حدوثها، لا بل يقرها، ويعترف بتفوقها عليه لأنها لا تتناقض معه وان وقف عاجزًا سادرًا حيالها. فكم من الخوارق الكونية والرياضات البدنية والروحية، تجري على مسمع منا ومرأى؟.. لا يجد العقل تحليلًا علميًا لها أو مسوّغًا منطقيًا يفسر حدوثها وهل غاب عنا أن ما كنا نستنكره بالأمس، أصبح أمرًا مسلّمًا به اليوم، وأن التحدث به مثير للضحك وما لم يزل اليوم موضع

بحث وتأمل وجدال سيصبح غداً أمراً بديهياً. لأن العلم لا يقف، ولا يوقف، وسيظل العقل يعدو وراءه. كل هذا دليل على أننا ما زلنا نحبو، وأننا عاجزون بما لدينا من قدرات مادية، وطاقات عقلية عن اللحاق بالموكب الروحي الذي قد مكّن الله منه محبَّه، بما أفاض عليه من قدرته وأسلم قياده لعبده الفاعل بأمره، وأطلع عليه وصيَّه بما مَنَّ عليه من علمه وخصه من مشيئته. حتى راح يغبطه الأنبياء، ويباركه المرسلون. ناهيك عما ذهب اليه المغالون بين فريقين، في كل منهما الفقهاء والبسطاء، منهم من غالىٰ في كرهه وشططه حتى ملأ الحقد صدره وأكل الغيظ قلبه، ومنهم من غالى في حبه حتى أعماه الحب وأضله، والله تعالى شأنه ليس قابلاً للتحديد، متصف بالحكمة، متفرد بالقدرة، مختص بالأحدية يميزه عن سائر موجوداته استقلال ذاته، التي هي علة وجوده ولما كان هو الأحد الصمد السرمد، الكامل بجماله وجلاله، فإنه لا يتجلى كاملًا الا لنفسه ولا يظهر لنا إلا ظهوراً يتناسب ومقدار طاقتنا لمواجهة هذا التجلي وما تتحمل عقولنا من سطوع نوره واذا كان الغلاة قد ذهب بهم الغلو الىٰ ما لا يقبله عقل، ولا يطيقه سمع، ولا يتحمله جنان، فإننا نعوذ بالله من حقد أولئك وجهل هؤلاء ونبرأ اليه من كل قول لا يليق بمقام وحدانيته، وعظمة الوهيته وسمو مجده وسعة رحمته، وكثرة الآئه، وتفرد أحديته ثم ماذا علينا أن نلتمس للجاهل عذراً؟.. وندعو الله أن يتوب عليه ليؤوب إلى رشده وينتهي من جهالته، ويرعوي عن غيِّهِ وحقده، طالما أن خروجه من الظلمة، لا ينقص نصيبنا من النعمة، ولا يضيق علينا الرحمة، فرحمة الله وسعت كل شيء وحاشا لرحمته أن تضيق بخلقه، وتعالى عن أن يبخل برزقه.

المقارنة بين عيسى ومحمد «ع»

المقارنة لغة: من قَرَنَ وأَقْرَنَ، وقَرَن بين الحج والعمرة قرانًا، جمع جمعًا. وأقرن رمى بسهمين معًا. وهو على قرني، أي على سني وعمري فهو قرين، والقرين الصاحب الملازم. وعلى هذا فالمقارنة هي المصاحبة، قال الشاعر:

عنِ المرء لا تسألْ وسَلْ عن قرينـهِ   فكـلُّ قـريـنٍ بـالمقـارنِ يقتـدي

ونعم القرينان «عيسى ومحمد» لا يفصلهما فاصل ولن يباعد بينهما جاهل. قال السيد المسيح «ع»: ما جئت لأنقض، وقال محمد «ص»: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فكلاهما مبعوث من عند الله، ليؤدي الأمانة ويبلغ الرسالة ولئن كان علماء الشريعة ومن تبعهم قد أساءوا فهم الشريعتين وعمدوا الى تحريف الرسالتين فإن الحقيقة تأبى أن تنكتم، ولا يقدر على طمسها أو محوها المراؤون والجاحدون وهي لا تغيب وان عميت عنها الأبصار، أو تعامت عن نورها القلوب.

فكما جاء محمد بالسيف، جاء المسيح حاملًا سيفه، لقوله: ما جئت لالقي سلامًا بل سيفًا متى ١٠/٣٤ وكما جاء المسيح بالمعجزة جاء محمد. ومثلما قال محمد: أنه رسول رب العالمين قال عيسى: كل شيء قد دفع الي من أبي لوقا ١٠/٢١. وقال: «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا» يـوحنـا «٥». وكقول محمد في الخمرة قول عيسى: الخمر مستهزئة المسكر عجاج ومن يترنح بها ليس بحكيم» أمثال ٢٠/١ وقد أوصى يوحنا الّا يشرب خمرًا ولا مسكرًا. وحذر إمرأة «متوح» ونطق بالويل على كل من يسقي صاحبه خمرًا ومسكرًا. أما الخمر غير المختمرة التي قدَّمها إلى المدعوين إلى العرس، فكانت شرابًا صحيًا منعشًا، وليس المسيح بالذي يناقض تعاليمه. وهو الذي يعلمنا أن نقهر طبيعتنا الدنيا. وحياته كلها كانت مثالًا يحتذى في إنكار الذات وتحطيم الشهوة. وتحمل أقسى ما يمكن أن يتحمله انسان. أما الخنزير الذي حرَّمه

القرآن. فلا بدَّ لكلٍّ من قرأ تعاليمَ السَّيِّدِ المسيح، أنه اطلع على قصة دخـول الشياطين بالخنازير وغرق الخنازير بالبحيرة وأما عن الزنا والطلاق وتعدد الزوجات في الشريعتين فلا فرق ولا خلاف، إذا نحن أعملنا العقل وأمعنا النظر فالدعوة المحمدية التي أباحت من النساء مثنى وثلاث ورباع، أباحت ذلك ولكن بشروط وقيود ولأسباب لها أحكامها ومبرراتها. ثم إذا تأملنا جيدًا ما اشترطته الشريعة لتأكد لنا أن الله لم يدعُ للزواج بأكثر من واحدة، لقوله سبحانه: « وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » وهو عالم سبحانه أن العدل ليس من صفة الإنسان. لقوله: « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » النساء ٢٩ بيد أن جلَّ رجال الشريعة تعاموا عن هذا وعملوا وفق أهوائهم وما ملكت نزواتهم وإلى مثل هؤلاء المنحرفين عن جادة الحق. هتف المسيح: « الويل لكم يا علماء الشريعة تحملون الناس أحمالًا باهظة، وأنتم لا تمسون هذه الأحمال بإحدى أصابعكم. الويل لكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم هم الذين قتلوهم، وأنتم الشهود، الويل لكم يا علماء الشريعة، قد استوليتم على مفتاح المعرفة، ولا أنتم دخلتم، ولا الذين أرادوا الدخول تركتوهم يدخلون « لوقا ».

فأي تقريع أشد إيلامًا للنفوس وأقسى وقعًا على الشعور من هذا؟.. لو كانوا يعقلون؟.. ولكنهم لا يحسون، ولا يعقلون، ولا يشعرون.

ولئن كانت الرسالة المحمدية قد أجازت الطلاق. فلقد بغضته. وليست التعاليم العيسوية أقل شأنًا في جوازه ورفضه. وإذ توهم البعض أن الطلاق غير جائز إلا بسبب فاحشة الزنا آخذًا بقول السيد المسيح، من طلق إمرأته الا بسبب الزنا وتزوج بأخرى فقد زنى. والذي يتزوج بمطلقة يزني « فإن كل عمل يناقض كلام الله هو زنا. بدليل قول المسيح: « سمعتم أنه قيل لا تزن، أما أنا فأقول لكم: من نظر الى امرأة فاشتهاها فقد زنى بها في قلبه، فإذا دعتك عينك اليمنىٰ إلى الخطيئة فاقلعها والقها عنك فلأن تفقد عضوًا من أعضائك خير من أن يلقىٰ جسدك كله في جهنم « متى ٥ ».

أفليس قلع الأعين عند عيسىٰ كقطع الأيدي والأرجل عند محمد. ولو أنزل هذا العقاب بعلماء الشريعة ففقئت أعينهم وبترت أيديهم وأرجلهم. لما رأينا إلا قليلًا منهم خارج بيوتهم ولكان هذا خيرًا على الملّتين؟!..

فهل ثمة مفارقة بين الرسولين، أو مخالفة بين الدعوتين وتعاليم الرسالتين؟!.. والطريق واضح والحق بازغ، والعلم منقذ لمن عمل به وتوجه إليه. ولكن لا فائدة منه إذا ألقي به أمام الخنازير، والويل لمن ينشر بذار العلم في رؤوس فارغة ففيم المعاندة والمكابرة والمباعدة؟.. والدين واحد والانبياء واحد. وكما يقول رالف امرسون: الرجال الأفاضل من كل دين يدينون بدين واحد. هكذا.. وعود على بدء.. ترانا قد انتهينا إلى ما بدأ به العلامة الشيخ سفره الخليق بالحفظ عن ظهر قلب. حيث استهله بالكلمة التي كان بها الخلق، الكلمة التي القاها على آدم، وبشر بها مريم، وأوحىٰ بها الى محمد. فتعالوا إلى كلمة سواء، والكلمة واحدة، والمعرفة واحدة، وكلنا من نفس واحدة، تلكم هي صرخة الحق التي ردد أحد صداها وأوضح معناها، وأهاب بنا أن نبلغها أقصى مداها. لتتحد الأديان ويتآخى الضدان، فما أحوجنا اليوم إلىٰ ذلك الانسان. الذي حقّ لمثلِهِ القول:

وما أنا إلّا المسكُ في أرضِ غيرِكم أضـوعُ.. وأمـا بينكـم فـأضيـعُ

إلا أنه مضى ولسانُ حالِهِ يُرَدِّدُ:

بني عمّنـا إنّـا كـأفنـان دَوْحَـةٍ فلا تتركوا أنْ يُجْتَـوَى فنـنٌ منّـا
إذا مـا أخٌ خلّـىٰ أخـاهُ لآكـلٍ بدا بـأخيـهِ الأكـلَ.. ثمَّ بـهِ ثنّـا

* * *



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العلي العظيم. مضى عليَّ حينٌ مِن الدهرِ، وأنا أتطلعُ إلى ما حواليَّ، وفيما حواليّ، تطلّعَ المستطلِعِ، وكلما أرسلْتُ عقلي رائدًا، وبصَري مكتشِفًا، رجعا إليَّ واجمِين[1] حزينَين، شَعْبٌ[2] مِن خيرةِ الشعوبِ إيمانًا[3]، وأرساها تدينًا، وأمتنِها عقيدةً وأحسنِها أخلاقًا بالذي حدّدَهُ علماءُ الأخلاقِ، وإلى هذا فدينُه خيرُ الأديان[4]، لا بل

(١) الواجم: الذي أسكته الهم وعلته الكآبة (لسان العرب)

(٢) الشعب: أكبر من القبيلة، وفي التنزيل: «وجعلناكم شعوبًا وقبائل» قال ابن عباس: الشعوبُ الجُمّاعُ والقبائل: البطون. والشعب: ما تشعب من قبائل العرب والعجم، والجمّاع: أخلاط من الناس وكل ما تجمع وانضمّ بعضُه إلى بعض «لسان العرب».

(٣) مِن خيرة الشعوب إيمانًا... الخ: لأنه يوالي محمدًا ﷺ وعليا (ع) ومَن والاهما حقَّ الولاء فاقتدى بهما وأطاعهما، وسلك طريقهما، واهتدى بهديهما كان خيرَ الناس مِن أي شعب كان وفي أي مكان وجِدَ وإلا فلا. قال علي (ع): إن ولي محمد ﷺ مَن أطاع الله وإن بعُدَت لُحمته وعدو محمدٍ ﷺ مَن عصى الله وإن قربت قرابته. وقال تعالى (إنّ أولى الناس بإبراهيم للّذين اتّبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) ـ آل عمران/ ٦٨/.

(٤) ودينه خير الأديان لأنه الإسلام والإسلام في لغة القرآن ليس اسمًا لدين خاص، وإنما هو اسم للدين المشترَك الذي هتف به كل الأنبياء، وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء؛ يقول نوح لقومه: «وأمِرتُ أن أكونَ مِن المسلمين» يونس /٧٢/ ويوصي يعقوب بنيه «فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون» سورة البقرة /١٣٢/ ويقول موسى «يا قومي إن كنتم آمنتم بالله فعليه =

هو كلٌّ الأديان بلبابها ومجموعُها بحقائقها، وهو كما تراه مجتمَعُ الضغائن والأحقادِ ومطرَح التباينِ والتباغضِ، أمرٌ غريبٌ، وسرٌّ عجيبٌ، داءٌ فتاكٌ ولا دواء، وبلايا ولا استرزاء[1]، جرَّها على الشعبِ أمناءُ دينِهِ، ورجالُ معتقدِه، فرّقوهُ ليجتمعَ حولَهم، ومزّقوهُ ليرتفعَ جاهُهم، ونزلُوا به ليرتفعوا، وحقّروا أمرَهُ ليمجَّدوا. فسبحانَ اللهِ، ولا إلهَ إلا اللهُ، وما لهذا الجيلِ الصاعدِ والنشءِ الحديثِ بعدَ أنْ تُثقِّفَ عقلُهُ، وقُوِّمَ أوَدُهُ[2]، لا يرُمُّ[3] مهدَّمَهُ ويصلحُ فاسدَه، وما بالُهُ مختلِف النزعاتِ متفرقَ الأهواءِ، لا يسيرُ منهمُ اثنانِ على طريقٍ، ولا يجمعُهم رأيٌ، بل لكلٍّ منهم مطرَحُ نظرٍ، ومسرَحُ فكرٍ، وتجوالُ خيالٍ، وليسَ هذا هو المقصود مِن تأليفِ عجالتي هذه بل المقصودُ منها أنني مِن أولِ حياتي العلميةِ صَبَتْ نفسي إلى فنِّ الآدابِ أقتطفُ أزاهيرَه الغضةَ، وأستجلي صوَرَه الفتانَةَ، حتى لاحَ لي مِن خلالِ ثغرِهِ وبدالي مِن ثنايا طياتِهِ لوائحُ الفلسفةِ الإلهيةِ، وتنسَّمْتُ منه النفحاتِ القدسيةَ فهفَتْ ميولي إليها، وتعلقتْ أفكاري بها، حتى كدْتُ أنْ أتركَ لها كلَّ فنٍّ

= توكلوا إن كنتم مسلمين» يونس /٨٤/ ويقول الحواريون لعيسى «آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون» آل عمران /٥٢/ هذا هو الإسلام بمعناه الحقيقي أي أنه التوجه إلى الله رب العالمين في خضوعٍ خالص لا يشوبه شرك لذا حصر الدين به فقالَ «إنّ الدين عندَ الله الإسلام» آل عمران /١٩/ وقال ومن يبتغِ غير الإسلام دينًا فلن يُقبل منه» آل عمران /٨٥/.

وقال رسول الله ﷺ: «المسلم مَن سلم الناس مِن لسانه ويده». وقال علي (ع): «لأنسبن الإسلام نسبةً لم ينسبها أحد قبلي، ولا ينسبها أحد بعدي»: الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل، والمؤمن مَن أخذ دينه عن ربه، إن المؤمن يعرف إيمانه مِن عمله والكافر يعرف كفره بإنكاره».

(١) الاسترزاء: يقال ما رزأ فلانًا شيئًا أي ما أصاب من ماله شيئا ولا نقص من «لسان العرب».

(٢) الأوَد: الاعوجاج.

(٣) الرمّ: إصلاح الشيء الذي فسد بعضه، رممتُ الشيء: أصلحته.

مِن فنونِ العلمِ، وضَربٍ من ضروبِ الحكمةِ[1] فحصَّلْتُ مِنها ولكن تحصيلاً لا يشفي عِلةً، ولا ينقعُ غُلةً[2] والذي كرهتُهُ مِنَ العلومِ حتى مقتُّهُ مقتًا وكِدْتُ أن انبذَه نبذًا، هو غلوُّ المجتهدينَ بمحسوسِ الشرعِ دونَ معقولِهِ، وتحجُّرُ عقولِهم عندَ ألفاظِهِ دونَ معانيهِ، ولكنَّ الكتبَ التي مزَجَتِ المحسوسَ بالمعقولِ والألفاظَ بالمعاني، وأبانتْ ما وراءَ الأوامرِ الشرعيةِ، مِنَ الآراءِ الذهبيةِ، فتلكَ التي أعشقُها وأحبُّها، وأفتتنُ بها، وأمجِّدُها، ومعاذَ اللهِ، ثم معاذَ اللهِ، أن أحسبَني علمًا يُقتدَى به، أو دليلاً يقتَفَى أثرُه، لا واللهِ، ثم لا واللهِ، فأنا أقلُّ مِن ذلك وأصغرُ، ولكن هنالك أمورٌ حِرْتُ فيها فنقلتُها، وضِعْتُ فيما بينَها فأثبتُّها، لأكونَ مِن الشبابِ المثقفِ على بصيرةٍ، وأصبحَ منها على بينةٍ جمعتُها من كتب الفريقين: السنةِ والشيعةِ، مؤثِرًا الإيجازَ على التطويلِ والاقتضابَ على الإسهابِ، وكلُّ ما بها فهو منَ الحديثِ الشريفِ، وبعضٌ مِنْ كلماتِ الأئمةِ، ولا أحسبَهُم يطالبونني بالعنعنةِ، ولا الإسنادِ، فإنني لم أوردْ فيها خبرًا واحدًا إلا ويدعمُه الإسنادُ الصحيحُ، ويعضدُه التواترُ[3] الحقُّ، فخرج كلُّ بابٍ منها بحيرةٍ[4] مدهشةٍ كنتُ أعرفها قبلَ

---

(١) الحكمة: هي العلم في الأمور، ووضع الأشياء في مواضيعها، وكل كلام وافق الحق فهو حكمة، وسيأتي شرح مفصل لها.

(٢) لا ينقع غلة: لا يروي عطشًا. الغلة: بضم الغين العطش الشديد.

(٣) الشيء المتواتر: هو الخبر الثابت على ألسنة قوم لا يُتصوَّر تواطؤهم على الكذب لكثرتهم أو لعدالتهم كالحكم بأن النبي ﷺ ادعى النبوة وأظهر المعجزة على يده. سُمّي «التواتر» بذلك لأنه لا يقع دفعةً بل على التعاقب والتوالي. انظر كتاب التعريفات ـ تأليف الشريف علي بن محمد الجرجاني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ طبعة أولى ـ ١٩٨٣، ص٩١-٩٢.

(٤) الحَيرة: حيرتان: حيرةُ شكٍّ وجهل وضلالة، وحيرة دهشة وإكبار وعلم وعرفان وهي المقصودة هنا. قال النبي ﷺ «اللهم زدني فيك تحيرًا» أي علمًا، فإنه كلما زادَه الحقّ علمًا به زاده ذلك العلم حيرةً. وقالَ أمير المؤمنين عليٌّ (ع): «مَن تفكر بالله ورجع بصورةٍ فذلك المجسِّم، ومن تفكر بالله ورجع بنفي فذلك المعطل، ومن تفكر بالله ورجع بحيرة فذلك الموحد» إنّ مفهوم الحيرة الذي يتبادر إلى الذهن هو إبهام يُستَشفُّ منه ضلال، =

جمعِها وأعلمُها قبلَ تتبعِها مِن إحياءِ الأمواتِ، وعلمِ المغيباتِ، وإنزالِ الغيثِ، وقلبِ الماهياتِ[1] وما أشبَه، وإني أعطيكَ الآنَ لونًا مِن ألوانِها، وأنموذجًا مِن محتوياتِها ليس هو أغربها، بل أسهلها وقعًا، وألينها محاولةً، وهو: [إذا بلغَ المرءُ وآمنَ بمحمدٍ سمِّيَ مسلمًا، ويكون بمنزلةِ مَنْ ضلَّ في بيداءَ كثيرةِ السباعِ فيها قُطّاعُ طُرُقٍ مِنَ الأهويةِ النفسيةِ، وهو معَ ذلك غافل عن ضلالتِهِ فينبهه الرسولُ عن غفلتِه، وأنه بين سباعٍ مؤذيةٍ وقطاعِ طرقٍ، فيلتمسُ منه الدلالةَ على الطريقِ المنجيةِ، فيقولُ: إنما أنا منذرٌ[2] مِنَ المخاوفِ وللطريقِ هادٍ[3]، يهدي إليه، بمثلِ قولِهِ ﷺ: «مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»[4] فإذا أُرشِدَ إلى الطريقِ وقبِلَ الإرشادَ، وأعطى العهودَ على ذلك، فذلك هو الإيمانُ بعدَ الإسلامِ، فيسيرُ في الطريقِ بينَ السباعِ المؤذيةِ

= ولكن ابن عربي وضع الحيرة لا في مصاف العلم، بل هي فرط علم، فمِن فرط العلم حار الحائر، ولذلك كان التعريف «إنها غرقٌ في بحار العلم. ولتقريب مفهوم الحيرة نعطي مثلا من قبيل التجوز: إذا نظرنا إلى أسفلَ من مكان مرتفعٍ نشعر بدوار كذلك الحيرة دوار عقلي نتج عن محاولة تتبع التجليات الإلهية على اتساعها، فاتساع التجلي علمٌ ولكنه أدى بالخلق إلى «الدوار» أي الحيرة وبذلك تكون الغاية التي يصل إليها العالم بالله والعارف لوجه الحق في كل تجلٍّ هو هذه الحيرة، فالاتساع للفكر والعقل هو كالعمق للنظر. انظر المعجم الصوفي ـ للدكتور سعاد الحكيم ـ أستاذة التصوف في الجامعة اللبنانية ـ دار ندرة للطباعة والنشر ط١، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ص٣٥٩.

(١) الماهيات: ماهية الشيء ما به الشيء هو هو وتطلق غالبًا على الأمر المتعقل مثل المتعقل من الإنسان وهو الحيوان الناطق مع قطع النظر عن الوجود الخارجي. والأمر المتعقل من حيث أنه مقول في جواب ما هو يسمى ماهية انظر كتاب التعريفات مصدر سابق ص١٩٥.

(٢) المنذر رسول الله ﷺ.

(٣) الهادي أمير المؤمنين علي (ع) لقول الرسول ﷺ لما نزل قوله تعالى «إنما أنت منذر ولكل قوم هاد»: (أنا المنذر وعلي الهادي وبك يا علي يهتدي المهتدون). انظر ينابيع المودة: تأليف الشيخ سليمان الحسيني البلخي القندوزي، ج١، منشورات مكتبة العرفان ط٢ الباب السادس والعشرون ص٩٧-٩٨.

(٤) ينابيع المودة ـ مصدر سابق الباب السابع ص٥٣، والباب الرابع ص٣١-٣٢-٣٣ وص٢٩-٣٠.

وقطاعِ الطرقِ، فيدافعُ وسلاحُهُ إنذارُ المنذِرِ وهدايةُ الهادي ثم يصل إلى ذاتِ الطريق الذي هو علي بن أبي طالب[١].

وحينئذٍ تحصلُ له الراحةُ والأمنُ، ولا يبقى معه إلا خوفُ القلبِ المسمَّى بالهيبةِ[٢] ومتى بلغَ السالكُ[٣] إلى هنا فني عن نسبةِ الأفعالِ إلى نفسه[٤] ويرى أفعالَه وأفعالَ غيرِه من علي، وإذا ارتفع حتى رأى الصفات[٥] جميعَها مِن علي حصَل على اتحادٍ ما، وإذا سار إلى أن لا يرى نفسَه، ويغيبُ في حضورِهِ عندَ عليٍّ عنْ نفسِهِ، ارتفعتِ الاثنينية بينَه وبينَ علي، وحصَلَ على رتبةِ الفناءِ الذاتي][٦]. هذا نموذَجٌ عما في هذا الكتابِ، وبه من الحيرة والدهشةِ ما به،

---

(١) علي بن أبي طالب: هو ذات الطريق الموصلة إلى الله لقول الرسول ﷺ فيه: «علي مني كنفسي طاعته طاعتي ومعصيته معصيتي» وقوله: «أنا من علي وعلي مني لحمه لحمي ودمه دمي وهو مني بمنزلة هارون من موسى» وقوله: «علي قسيم الجنة والنار»، وقوله: «علي مع الحق والحق مع علي لا يفترقان» انظر ينابيع المودة مصدر سابق، ج١، الباب السابع، ص٥٣.

فمن كان كمحمد ﷺ أو من محمد هكذا فحبه وطاعته وموالاته كما أمر الله هي الطريق الواسعة المؤدية إلى الأمان والاطمئنان، وليس علي وحده طريقا إلى الله، بل كل عبد مطيع لله بصدق وإخلاص هو طريق إليه تعالى بمقدار صدقه في طاعته، وعلي عليه السلام أوسع هذه الطرق وأقربها إلى الله عز وجل. اللجنة.

(٢) الهيبة: وجود تعظيم في القلب يمنع من النظر إلى غير المحبوب. انظر مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب. تأليف عبد الرحمن بن محمد الأنصاري المعروف بابن الدباغ. تحقيق هـ. ريتر. دار صادر، بيروت، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م، ص٧٩.

(٣) السالك هو الذي مشى على المقامات بحالة لا يعلمه أي ما يرِد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب. انظر التصوف الاسلامي في الأدب والأخلاق ـ تأليف الدكتور زكي مبارك، ج١، ط٢، دار الكتاب العربي بمصر، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ص٦٩-٧٠.

(٤) (٥) (٦): المحبوب الأول عند الصوفيين في الإسلام هو الحقيقة المحمدية والمحبوب هنا هو علي بن أبي طالب عليه السلام وهو رمز وكناية والمرموز إليه الذات الإلهية، والرمز غير المرموز إليه والكناية غير المكنى عنه، وقد كنى ورمز الصوفيون لمحبوبهم الذي هو الله بأشياء حسية كالخمرة والشمسُ والبدر ولبنى وسعدى وليلى... الخ، قال المكزون: =

ولذلك أرجو مَن وقفَ على عجالتي هذه أن يتصفحَها متدبرًا، ويطالعَها متأنيًا، حتى يُحيط بظواهرِها وخوافيها وغوامضِها وبَواديها، فإنَّ اللهَ لم يخلق خلقَه عبثًا، ولم يكونهم سدًى، بل خلقهم ليعرفوه وكلفَهم ليشتاقوه، ومعرفةُ اللهِ سبحانَهُ لا تكونُ إلا بالتدريج بمعرفة الأسبابِ والمسبباتِ، حتى تُطوى عن السالكِ حجبُ الممكنات[1]، فالصلاةُ والصيامُ ـ ونعمّا هي ـ ليست هي

= لبــانتنــا هــواك ومــا لبيني سـوى اسم بــه عنــه كنينــا

والفناء حالة وجدانية عالية لا يغني في تحليلها منهج العقل لأنّ طريقها الذوق والوجدان والممارسة. والفناءات كثيرة ويجمعها ثلاثة: فناء الأفعال، فناء الصفات وفناء الذات. فإذا أحب السالك محبوبه الذي هو علي هنا إلى درجة بحيث يفقد الشعور بفعله الخاص وبفعل غيره ويرى أن جميع أفعاله ما هي إلا آثار المحبوب الذي هو سببها وعلتها الوحيدة ولكنه لا يفقد شعوره بوجوده وصفاته هذه الحالة تسمى فناء الأفعال وهي أدنى أنواع الفناء فإذا ارتقى السالك وازداد تعلقه بالحبيب بحيث لا يرى لنفسه صفة ويشعر أن جميع ما يتصف به من سمع وبصر وعقل وحياة وكلام ليس له منها شيء بل هي مستفادة ومستعارة من المحبوب منه بدت وإليه تعود، كالماء من البحر وإلى البحر أنى وجد. هذه الحالة تسمى فناء الصفات، وفيها يبقى للسالك شعور بنفسه ووجود فقط، وإذا زال شعور العبد بشخصيته وفني وجوده بوجود من يحب فلا يرى موجودًا له وجود حقيقي إلا حبيبه ويصبح هو وحبيبه شيئًا واحدًا وترتفع الاثنينية بينهما، ومما اتفق عليه أن الرسول ﷺ كان يقول في سجوده: «أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» فقوله: أعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكأنه لم يرَ إلا الله وأفعاله فاستعاذ بفعله من فعله، ثم اقترب ففني عن مشاهدة الأفعال وترقى إلى مصادر الأفعال وهي الصفات فقال أعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان، ثم رأى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترب ورقي من مقام مشاهدة الصفات إلى مشاهدة الذات فقال أعوذ بك منك، وهو فرار منه إليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه رأى نفسه فارًا منه إليه ففني عن مشاهدة نفسه فقال: أنت كما أثنيت على نفسك» ★

★ انظر المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء. تأليف المولى محسن الكاشاني منشورات مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ لبنان ـ ج٧، ط٢، ص١٢٥.

(١) كل مخلوق سواء أكان ينتسب إلى العالم المادي أو العالم الروحاني هو بمثابة حجاب يحول بين النفس وبين النفوذ إلى سر الحقائق الإلهية. ابن عربي ـ حياته ومذهبه تأليف أسين بلاثيوس ـ ترجمه عن الإسبانية عبد الرحمن بدوي ـ دار القلم ـ بيروت، ١٩٧٩، =

الغايةَ الحقَ والقولَ الصدقَ، بل لكلٍّ منها فرضٌ مفروضٌ وسنةٌ مسنونةٌ دائمةٌ لا انقطاعَ لها، ولا تحوُّلَ عنها، فإنَّ كلَّ ذلك كالوسيلةِ إلى غايةٍ معلومةٍ، فالذين دانوا للهِ بشعورٍ من قلبٍ واقتناعٍ بحقٍ، أولئك هم القومُ السعداء في أولاهم، المنعمونَ في أخراهم:

لعَمـرُك مـا الأديـانُ إلا سعـادةٌ　　　وما الناسُ لولا الدينُ إلا بهائـمُ[1]

وكلُّ علم منَ العلوم، وفنٌّ مِنَ الفنونِ، لا بل كلُّ صَنعةٍ مِنَ الصنائعِ، لا بل كلُّ فعلةٍ من الفعلاتِ لا تقترنُ بالتدينِ[2]، أو تمتزج به امتزاجًا، فهي جهلٌ مطبِق وتضليلٌ فاضحٌ، وقد اتفقَ أكثرُ الفلاسـفةِ أنّ العِلمَ الماديَّ لا يزيدُ في تهذيبِ الإنسانِ وسعادتِهِ، ولا يغيرُ مِن غرائزِهِ وشهواتِهِ التي تلقاها بالوراثةِ، وأيّد علماءُ الإحصاء هذه النظريةَ فقالُوا: إنَّ الجرائمَ تزدادُ بانتشارِ العلمِ المادي، حتى أنَّ بعضَ أعاظِمِ القضاةِ أحصى الجرائمَ فوجدَ ثلاثةَ أرباع مرتكبيها مِنَ المتعلمينَ[3] والربع الباقي من الأميين، وغرضُنا بهذهِ المقدمةِ أنْ

= ص٢١٢. والحجب جمع حجاب وهو كل ما سوى الحق عند ملاحظة ذلك السوى والوقوف معه، والحجبُ نوعان: نورانية وظلمانية فالنورانية هي الوقوف مع الكمالات لأن من وقف مع مقام أو حال فقد امتنع عن النفوذ في السلوك، والظلمانية حجبُ الشكوك وشبهات الاعتقادات والجهالات والغفلة. والممكنات كل مخلوق وما سيخلق وما كان قيامه بغيره فكل ما دون الباري ممكن غير أن الحقيقة المحمدية لا ممكنة كالممكنات ولا واجبة كباريها. لذا يمكن القول أن كل ممكن حجاب، وكل حجاب ممكن، والله لا يحجبه حجاب ولكن احتجب عنا بجهلنا وسيء أفعالنا. «اللجنة».

(١) للشيخ محمد عبده من قصيدة منها قوله:

ولكـن دينـا قـد أردت صلاحـه　　　أحـاذر أن تقضي عليـه العمائـمُ

مؤلفات مارون عبود ـ المجموعة الكاملة، دار مارون عبود ـ بيروت ـ ج٢ ـ ص٢٤٩.

(٢) التدين هو المعاملة بصدق وإخلاص واستقامة مقصود بها وجه الله تعالى أو هو العمل بما أمر الله والانتهاء عما نهى عنه وكل عمل لا يقترن بذلك هو جهل وتضليل وإن كان صلاة وحجًا وصيامًا.

(٣) شرار الناس العلماء إذا فسدوا والأخلاق وحدها هي الرادع الوحيد عن ارتكاب الجرائم =

نُلمَّ إلمامةً عابرةً بما لفلسفةِ الكلامِ من المعاني، لأنّ كلَّ كلمةٍ لفظٌ خصوصي لمعنى عمومي، فهي ذات جهتين جهةٍ إلى الإطلاقِ، وجهةٍ إلى التقييدِ، كغيرها مِن سائرِ الأشياء، وبالأحرى إن اللفظةَ الواحدةَ تطلَقُ على معانٍ متعددةٍ ومَناحٍ متنوعةٍ، كالصلاةِ مثلاً فإنَّ لها وجوهًا كثيرةً ومراتبَ عديدةً بحسب مراتبِ الإنسانِ، فإنّ للإنسانِ مرتبة الجسمِ ومرتبةَ النفسِ ومرتبةَ القلب وغيرَ ذلك مِن المراتبِ، ولكلٍّ مرتبةٍ منه صلاةٌ، فصلاةُ الجسمِ الصلاةُ الشرعيةُ المعروفة، وصلاةُ النفسِ الذكرُ والتفكرُ، وصلاةُ القلبِ معرفةُ معاني أذكارِ الصلاةِ، ولكنَّ الصلاةَ الجسميةَ بدونِ معرفةِ مراتبِها الباطِنةِ جيفةٌ عفنةٌ مؤذيةٌ، كالإنسانِ فإنهُ بدونِ باطنهِ جيفةٌ مؤذية ولذا وردَ: «ربَّ مصَلٍّ والصلاةُ تلعنُهُ»[1] وكالسمْعِ فإنَّ للنفسِ بداخِلها نافذتينِ، واحدةٌ للعالِم العلويِّ تسمعُ بها مِنَ الملائكةِ، واخرى للعالم السفلي تسمع بها مِنَ الشيطانِ، وكلا النافذتينِ أذنٌ أخروية. وكالكلمةِ في عُرْفِ الأدباءِ، اللفظُ الموضوع لمعنىً مفرَدٍ، وفي اللغةِ: اللفظةُ والقصيدة وتستعمَل في كلِّ لفظٍ موضوعٍ مفردًا كانَ أم مركبًا، وفي الكلماتِ النفسيةِ التفكُر، وفي الشرع كما في اللغةِ، وتزيدُ عليهِ أنها هي مراتبُ الوجودِ النوريةِ والماديةِ أي كلُّ مرتبةٍ مِن هذه المراتبِ كلمةٌ مِن كلماتِ اللهِ سبحانَهُ، وكالذكرِ أربعُ مراتبَ ولكلّ مرتبةٍ مراتبُ، فمرتبة منه الذكر اللساني بالصوتِ، والذكرُ القلبي وهو التحدث بالقلب، والذكر النفسي وهو تَذكُّر المذكورِ بالنفْسِ، وذِكْرُ اللهِ عندَ كلِّ

= وليس العلم و.. ولا.. ولا ففي إحدى الإحصائيات جاء أنه في أمريكا ينتحر كل خمس وثلاثين دقيقة شخص ويصاب في كل دقيقتين شخص بالجنون، ويرتكب في مدينة تكساس جريمة جنائية كل ثلاث دقائق وأربع أعشار الدقيقة.

انظر التكامل في الاسلام ـ لأحد أمين ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ لبنان، ج٧، ص٢١٣ـ ص٢١٥.

(١) بيان السعادة في مقامات العبادة تأليف الحاج سلطان محمد الجنابذي الملقب بسلطان علي شاه مطبعة دانكاه ـ طهران ـ ط٢، ج١، ص٥١.

فِعلةٍ، بتَذكُّرِ أمرِهِ ونهيِهِ، وقولُهُ سبحانَهُ (الذين يذكرونَ اللهَ قياماً وقعوداً وعلى جنوبِهم ويتفكرون في خلقِ السماواتِ والأرضِ ...)[1] يدلُّ على ضمِّ الذكرِ هذهِ المعاني وغيرَها، وقوله «فاذكروني أذكرْكم»[2] يدلُّ على أنَّ الذكرَ روحُ الصلاةِ الشرعيةِ[3] وكالأكلِ فإنه ليسَ مُقصوراً على الغذاءِ الحسيِّ، بل هو اسمٌ لكلِّ ما بهِ غذاءُ الآكلِ وقِوامُهُ بأيِّ نحو كانَ هذا الأكلُ، فالعلمُ أكلٌ واللعبُ أكلٌ بل كلُّ فعلٍ لكل فاعلٍ أكلٌ بأي جهةٍ كان الفعلُ. وكالأرضِ والسماءِ، فالسماءُ اسمٌ لكلِّ ما له ارتفاعٌ وتأثيرٌ فيما دونَهُ، فالأفلاكُ الطبيعيةُ، والنفوسُ الكليةُ، والنفوس الجزئيةُ النوريةُ، والأشباحُ المثاليةُ، وغيرُ ذلك، كلُّهُ سماواتٌ. والأرضُ اسمٌ لكلِّ ما بهِ تسفُّلٌ وقَبولٌ عنِ الغيرِ، فأرضُنا وكلُّ عالِمَ الطبعِ أرضٌ لكلِّ رتبةٍ عليا، فالرتبةُ نفسُها أرضٌ وسماءٌ معًا، أرضٌ لما فوقَها، سماءٌ لِما دونَها، وهذا قولُهُ سبحانهُ: «سبعَ سمَاواتٍ طباقًا»[4] و«مِنَ الأرضِ مثلهن»[5]، وكالزمانِ والمكانِ فإنَّ لكلٍّ منها جهةً مطلقةً، وجهةً مقيدةً، فجهةُ الزمانِ المقيدةُ هي هذه الآناتُ كالليلِ والنهارِ والسنينَ والشهورِ، والساعاتِ والدقائقِ وهذه الجهةُ ـ على ما

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩١.

(٢) سورة البقرة آية ١٥٢.

(٣) الذكر بالكسر حفظ الشيء بالخاطر والأخبار الدالة على فضيلة الذكرِ كثيرة، جاء في الحديث القدسي: «أنا جليسُ مَن ذكرني» وجاء عن الباقر (ع): «لا يزالُ المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله قائمًا كان أو جالسًا أو مضطجعًا» وعن الصادق (ع): «مَن كان ذاكرًا الله على الحقيقة فهو مطيعٌ، ومن كانَ غافلاً عنه فهو عاصٍ، والطاعة علامة الهداية، والمعصية علامة الضلالة». للتوسع في معاني الذكر ارجع إلى بيان السعادة مصدر سابق، ج١، ص١٥٤. ويكون الذكر روح الصلاة الشرعية عند فهم معاني ما يذكر في الصلاة: كالفاتحة وما يقرأ من سوَر وآيات، وما يذكر مثل «الله أكبر، وسبحان ربي العظيم»، قال تعالى: «ولذكر الله أكبر» أي هو أكبر منَ الصلاة القالبية لأنه روحها ولا تكون الصلاة تامة إلا بتأديتها شكلاً ومضمونًا مَعا.

(٤) سورة الملك آية ٣.

(٥) سورة الطلاق آية ١٢.

أرى - هي المرادةُ بتحديدِهم الزمانَ «بأنه حركةُ الفلك»[١]، وجهته المطلقةُ هي إحاطتُهُ بالأفلاكِ جميعًا، وأظنُّ أنّ هذا هو الذي أرادَهُ أبو العلاء المعري[٢] بقولِهِ:

قلتُــمْ: لنــا خــالــقٌ حكيمٌ　　قُلْنا: صدقتُــم، كـذا نقــولُ
زعمتـمــوه بـلا مـكــانٍ　　ولا زمــانٍ ألا فقــولُــوا
هــذا كــلامٌ لــه خبــيءٌ　　معنــاهُ: ليسَــت لنــا عقــولُ[٣]

وزعَمَ بعضُهم بأنّ الزمانَ[٤] جزءٌ مِنَ الأزلِ، ففصّلَه عنه لموافقةِ استعمالِهِ وقالَ آخرُ إنه صورةُ الدهرِ، (والدهر - كما وردَ عن النبيِّ ﷺ - هو الله)[٥] ومقيدُ المكانِ هو هذه الأحيازُ التي هي أمكنةٌ لكلِّ ما تحويه، ولذا حددوه بأنه (الجسمُ الحاوي للجسمِ المحوي)[٦] ومطلقُه هو احتواؤه على جميع المكوناتِ المحسوسِ منها والمعقولِ، لأن ما كان محويًا بشيءٍ فهذا الشيءُ مكانٌ له، ولذا أطلقَ بعضُهم على المختَرَعِ الأولِ اسمَ المكانِ[٧] وقد تبيّنَ من

---

(١) انظر الزمان الوجودي لعبد الرحمن بدوي مطبة جرينبزج - بالقاهرة - ط٢ - ١٩٥٥، ص٥٢، وص٥٩.

(٢) هو اللغوي الفيلسوف الشاعر أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي ولد في معرة النعمان قرب حلب ٩٧٣م وتوفي فيها ١٠٥٧م وكان يرى أن الدين جوهر وحقائق لا قشور وشكليات من آثاره اللزوميات وسقط الزند ورسالة الغفران.

(٣) انظر اللزوميات - تصحيح أمين عبد العزيز فيصل، ط٢، ج١، ص١٨٥.

(٤) الزمان عند أفلاطون هو عبارة عن حركة الكل أو صورة الأزل المتحركة. انظر أرسطو طاليس تأليف ماجد فخري - الأهلية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٦ ص٥٥ - ط٢.

(٥) قال الرسول ﷺ «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» انظر إيقاظ الهمم في شرح الحكم ج١، صححه الأستاذ محمد عبد الرحيم، دار الإيمان، ط١، ١٩٨٦، ص٤٥.

(٦) المكان عند الحكماء هو: السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي: كتاب التعريفات مصدر سابق. ص٢٢٧.

(٧) المختَرَع الأول يقصد به الحقيقة المحمدية وهي تحوي كل ما دونها من عالَم سماوية وأرضية إحاطة وتدبيرًا وقيومية بما استمدته مِنَ الذاتِ الإلهية. =

هذا أنَّ كلَّ كلمةٍ يُنطَقُ بها وتُتَصَوَّرُ تَصوُّرًا لها وجهٌ إلى الإطلاقِ ووجهٌ إلى التقييدِ ووجهُها الإطلاقيُّ أعمُّ وأوسَعُ وأعلى وأعظمُ مِن وجهِها التقييدي مثلُ اليمينِ والشمال والميزان والوزن والظلم والعَدلِ والصدقِ والكذب والحقِّ والباطلِ والبيعِ والشراء والبخلِ والكرمِ ... وما أشبهَ. وأعيذُ عقلكَ بالعلمِ والتعقلِ مِن أن تتخيلَ أنّ للهِ سبحانَهُ عرشًا للنومِ وكرسيًا للجلوسِ ونعلينِ مِن ذهَبٍ، أو أنْ تكونَ الجنةُ[١] عرضيةً محسوسةً فيها الأنهارُ والأطيارُ والأشجارُ والأثمار والحورُ العينِ كأنهنَّ اللؤلؤ المكنونُ والولدانُ المخلدون، أو أن تكون النارُ[٢] ذات طبقاتٍ سبعٍ لا يَخمدُ لهَبُها ولا تأتي على ساكنيها، ملأى مِنَ العقاربِ والحيّاتِ وأنواع الوحوشِ المؤذياتِ، وأنّ الميزان ذو كفتينِ توزَنُ به الأعمال، وأي جسمٍ للأعمال توزَنُ بهِ؟! أو أنّ الأعمالَ الصالحاتِ تتصوَّرُ صورًا حسنةً ودوابَّ فارهةً[٣]: مستحسَنة يركبُها صاحبُها

= قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا من الله والكلُّ مني». اللجنة.

(١) الجنة موضع الأنوار الشريفة المتمثلة بالأفعال الشريفة، والجنة معنوية بمعنى أن قطوبها دانية لأصحابها المتصفين بصفات أهل اليمين الذين يمشون بنور من ربهم في الناس. انظر: النصوص في مصطلحات التصوف ص٨٤. والجنة جنتان روحانية للمقربين تنشأ مِن العلوم الحقة والمعارف اليقينية الحاصلة للإنسان، وجسمانية لأصحاب اليمين تنشأ مِن الأخلاق الفاضلة والأقوال الصادقة والأعمال الصالحة بإبداع النفس الإنسانية الصورَ الملذة مِن الحور والقصور والغلمان واللؤلؤ والياقوت والمرجان في عالمها وصيعقها. وفي بصائر الدرجات عن نصر بن قابوس قال: سألت أبا عبدالله (ع) عن قوله عز وجل «وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة» قال يا نصرُ والله ليس حيث ما يذهب الناس، إنما هو العالم وما يخرج منه. انظر قرة العيون في المعارف والحكم للفيض الكاشاني ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٧٩، ط٢، ص٤٨٩.

(٢) النار ناران: روحانية تنشأ بسبب فقدان المعارف والكمالات العقلية، ومحسوسة تنشأ من ارتكاب الأعمال السيئة والأقوال الكاذبة والأخلاق الرديئة، والنفس بسبب ذلك تنشئ في عالمها صورًا مؤذية مناسبة لها مِن الحيات والعقارب والسموم واليحموم وغيرها فتتأذى ولا تقدِر على عدم إنشائها. انظر قرة العيون ـ مصدر سابق ص٤٩٠ و٤٩١.

(٣) الفارهة مِنَ الدواب: النشيطة.

فتسيرُ به إلى ما شاء الله: أو أنّ الأعمال الطالحاتِ تستحيلُ عقاربَ وحياتٍ ودوابَّ مؤذِياتٍ تركبُ صاحبَها، وتوردُه شتى أنواع العذاب، أو أن تزعمَ أنّ الصراطَ المستقيمَ جسرٌ ممدودٌ فوقَ جهنَّمَ أدقُّ مِنَ الشعرةِ وأحدُّ مِنَ السيفِ، ذَرعُهُ آلافُ السنينَ، يقطعُهُ المؤمنُ على ما ضحّى بهِ على عرفات:

أنا لو كنتُ بالبعيرِ أضحّي سارَ بي مرقِلاً عليهِ البعيرُ[1]

ويَهوي عنه الكافرُ إلى جهنمَ. أعيذُ عقلَكَ بالعلمِ والتَعقل مِن كلِّ هذهِ الخرافاتِ[2] وأشباهِها أن تلصَقَ بهِ، أو تقربَ إليه، ولذلك نقلْت لكَ ما تقدّم مِنْ أنَّ الألفاظ موضوعةٌ للحقائقِ باعتبارِ العناوينِ المرسَلةِ لها مِن غيرِ خصوصية مِنَ الخصوصياتِ أو ناحيةٍ مِنَ النواحي، فإنهم خاطبونا عن عالَمِ الغيبِ بما يتناسبُ مع أصماخِنا وعقولِنا، فما غابَ عنا لا نعلمُهُ إلا بما حَضَرَ لدينا، فكلُّ ما في عالَمِ الشهادةِ دالٌّ على ما في عالَمِ الغيبِ (والحسياتُ معابرُ للعقلياتِ»[3] ولعلك قرأتَ رسالةَ الغفران[4] للمعري والكوميديا الإلهية لدانتي[5] وآراءَ الفلاسفةِ بذلك، وانطواءُ الألفاظِ الحسيةِ على المعاني اللطيفةِ، واتساعُ اللفظةِ الواحدةِ منها لتضمُّنِ المعاني المتعددةِ يدلُّ على ما للعالمِ العلويِّ

---

(١) لم نعثر على هذا البيت. والإرقال: الإسراع والمرقل والمرقال السريع العدوِ.

(٢) هي خرافات لمن وقف عند الألفاظ وحجب عن المعاني الباطنة إذ كل شيء بدون باطنه موات لا حياة فيه وكمال المعرفة أن يعرّف الشيء بمحسوسه ومعقوله وظاهره وباطنه. اللجنة.

(٣) «العالم الحسي مرقاة إلى العالم العقلي» انظر مشكاة الأنوار ومصباح الأسرار لأبي حامد الغزالي ـ ضبطه وقدم له رياض مصطفى العبدالله. منشورات دار الحكمة ـ دمشق ـ بيروت ١٩٨٦، ص٩٠.

(٤) رسالة الغفران هي رد المعري على رسالة معاصرهِ الأديب علي بن منصور المعروف بابن القارح وهي قسمان رواية الغفران، ومناقشة ابن القارح في آرائه ـ اللجنة ـ.

(٥) دانتي شاعر إيطالي ولد في فلورنسا ١٢٦٥م ألف الكوميديا الإلهية وضمنها غايات أخلاقية ودينية وتعليمية متأثرًا بقصة الإسراء والمعراج ورسالة الغفران. ـ اللجنة ـ.

مِنَ التعلقِ بالعالمِ السفلي. يعرَفُ هذا التعلقُ مِن دراسةِ فلسفةِ الوجودِ والموجودِ. اتفقَ الجميعُ مِنَ الفلاسفةِ الإلهيين أنَّ الموجودَ غيرُ الوجودِ، فالوجودُ هو القوةُ التي كانَ بِها الموجودُ، وللوجودِ مراتبُ بعددِ الموجوداتِ، من اولِها الذي هو العقلُ الأولُ، إلى آخرِها المادي المحسوس وتلك المراتبُ الوجوديةُ تتعدَّدُ بتعددِ الماهياتِ وتتنوعُ بتنوعِ أنواعها، فالماءُ والنارُ والهواءُ والترابُ التي تتكونُ منها المحسوساتُ جميعًا كما تتكونُ الأنوارُ المجرداتُ مِن الطبيعةِ المطلقةِ السماوية[1] ولولا سِرُّ الوجودِ الساري بها لم ينقلبْ عن هيئَتِها باجتماعِها إلى حيوانٍ وإنسانٍ وحجَرٍ وشجرٍ وما أشبهَ، فقد تنوعَتْ هذه الطبائعُ الأربعُ وتكثّرَ نوعُها بالوجودِ فقط، كما تنوَّع الوجودُ بها وتكثَّرَ مع شدةِ توحدِهِ وتفردِهِ فمراتِبُ المكوَّناتِ جميعِها كلُّ مرتبةٍ تمدُّ ما دونَها بالحياةِ والعلم والإدراكِ وما أشبهَ تبعًا لقانون الأسبابِ والمسبباتِ والعِللِ والمعلولاتِ[2] إلى أن تصِلَ إلى عالَمِ الطبعِ، ومددُ عالِمِ الطبعِ جميعِهِ الحيِّ منه والمواتِ يستمِدُّ مِنَ العوالِمِ الغيبيةِ النوريةِ، ووجودُ الوجودِ بهذِهِ الأشياء كلّها كوجودِ ما بِهِ قِوامُ الشيءِ بالشيءِ لا يُعلَمُ ولا يُحَسُّ «ليس في الأشياء بوالجٍ ولا عنها بخارجٍ»[3] ومِن هنا يُعلَمُ قولُهم: «بسيطُ الحقيقةِ أي الوجود - كلُّ الأشياء، وليسَ بشيءٍ مِنَ الأشياءِ»[4] ويُعرَفُ مِن قولِ الفلاسفةِ بالوحدةِ المطلقةِ لأنَّ هذه الأشياء الماديةَ ليست موجودةً ولا معدومةً، ليسَت

---

(١) الطبيعة المطلقة السماوية هي المرتبة الثالثة من مراتب فيض العالِم عن اللهِ بالتدريج أي بعد العقلِ الكلي والنفس الكلية. انظر اخوان الصفا - درس وعرض وتحليل للدكتور عمر فروخ - مكتبة منيمنة بيروت، ط٢، ١٩٥٣م، ص٨٥.

(٢) العلة هي سبب لكون شيء إيجادًا، وأما المعلول فهو الذي لوجوده سبب، والموجودات كلها علل ومعلولات. انظر أخوان الصفا - ص٤٥.

(٣) قولٌ لأمير المؤمنين (ع) - نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده ج٢، مطبعة كرم - دمشق - ص١٢٢.

(٤) قد يعنَى ببسيط الحقيقة الذات الإلهية أو الحقيقة المحمدية. انظر بيان السعادة مصدر سابق، ج١، ط٢، ص٣٧.

موجودةً بحقيقةِ معنى الوجودِ، إذ الوجودُ مِن طبيعتهِ الشعورُ والعِلمُ، وهي لا شاعرةٌ ولا عالمةٌ، وليست معدومةً عدمًا كليًا، فوجودُها وجودٌ إضافي أي أنّها مضافةٌ للوجودِ الذي به قيامُها، وليس مقامنا الآن مقام توسُّعٍ في الحديثِ عنِ الوجودِ والموجودِ والوحدة والكثرة، بل غرضُنا التدليلُ على أنّ للعالَمِ العُلويِّ تعلقًا لا بل اتحادًا بالعالَمِ السفليّ، بهِ قيامُهُ وعليه حياتُهُ، وهذا الذي عناه الخيام[1] بقولِهِ:

أنـا لـو كنـتُ كـالإلـهِ قـديـرًا   لهدمْـتُ السماءَ ركنًـا فـركنـا
ولعمّـرتُ مِـن جـديـدٍ سَماءً   هي تُعطي الإنسانَ مـا يتمنـى[2]

وهو معنى قولِ أبي العلاء[3]:

قالت رجالٌ عقولُ الشهبِ وافـرةٌ   لو صحَّ ذلك قلْنـا مسَّهـا خـرفُ

ومعناهُ: إذا كانتِ النجومُ حساسةً ذواتِ عقولٍ وهي التي تمدُّنا بأفعالِها فإنها - ولا شكَّ - قد خرِفَتْ لأنَّ تأثيرَها بنا لا يدلّ على التعقلِ.

لم أكتبْ لك ما تقدمَ مِن هذه الفلسفاتِ إلا لتعلمَ أنّ لكلِّ ما تمرُّ به مِنَ الألفاظِ المقيدةِ في هذه العُجالةِ وفي غيرها معنًى مطلقًا تدلّ عليه القرائنُ ويسوقهُ إليك العِلمُ والتعقلُ، غيرَ أن العقلَ أعجزُ مِن أنْ يسنَّ معتَقدًا أو

---

(١) هو غياث الدين أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيام ١٠٤٠-١١٢٣م كان رياضيًا وفلكيًا وعالمًا طبيعيًا وشاعرًا وفيلسوفًا. أشهر مؤلفاته رباعياته. انظر رباعيات الخيام ترجمة أحمد رامي - دار العودة - بيروت - ط١، ١٩٧٧.

(٢) لم نعثر على البيتين بألفاظها بل بمعناها في ترجمة أحمد رامي:
لـو كـان لي قـدرة ربٍّ مجيـد   خلقـتُ هـذا الكـون خلقًـا جـديـدْ
يكـون فيـه غير دنيـا الأسى   دنيـا يعيش الحر فيهـا سعيـدْ

(٣) المعري سبقت ترجمته وهذا البيت من لزومياته مصدر سابق - ص١٠٠.

يكوِّنَ شريعةً، فالعقلُ دائمًا عُرضةٌ للخطأ ومسرَحٌ للأغلاطِ وهذا هو الذي دعا إلى بعثة الرسلِ معصومين ومبشِّرين ومنذِرينَ، فإطلاقُ العقلِ مِن عِقالِهِ هو الذي أدّى إلى تفرُّقِ الأديانِ وخصوصًا عند علماء الكلام[1]، فإنهم تفلسفُوا متنطعينَ[2]، وعلِموا متهوِّرين فجاروا عنِ الطريقِ القويمِ والنهج اللاحبِ:

يا مَنْ تفلسفَ كي يؤيدَ كفرَهُ ... مع أنه لم يدرِ كنْهَ وجودِهِ
خسِرتْ بسوقِ الفضلِ صفقة تاجرٍ ... تَخِذَ العلومَ ذريعةً لجحودِهِ[3]

ومَع هذا فإنّ خطابَ جميعِ الكُمَّلِ مِن جميعِ أصحابِ الأديان قديمِينَ وحديثين مع قومِهم مَثَلٌ أو رمزٌ أو إشارةٌ، لا يصرّحون بأسرارِهم إلا لقومٍ دونَ آخرين وذلك لتفاوُتِ الأفهامِ والقَبولِ، قالَ زينُ العابدين عليه السلامُ[4]:

---

(١) علم الكلام هو علم يبحث فيه عن ذات اللهِ تعالى وصفاته، وأحوال الممكناتِ مِن المبدأ والمعاد على قانون الإسلام. انظر: كتاب التعريفات مصدر سابق ص١٨٥. والمتكلم إن تجرد للمناظرة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وإصلاحه لم يكن مِن جملة علماء الدين أصلاً. قال أمير المؤمنين (ع) من طلب الدين بالجدل تزندق. أما الجدل بالتي هي أحسن مأمور به قال تعالى: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن» سورة العنكبوت - آية ٤٦/ الحقائق في محاسن الأخلاق - دار الكتاب العربي - لبنان ط٢، ١٩٧٩، ص٢٢ و٢٣.

(٢) والتنطع في الكلام التعمق وفي الحديث «هلك المتنطعون» والتنطع كل تعمق قولاً وفعلاً «لسان العرب».

(٣) انظر الدين والإسلام. ج١، ص٤٤.

(٤) زين العابدين هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ولقب بزين العابدين لكثرة عبادته الأبيات أوردها صاحب (ينابيع المودة) مصدر سابق ج١، ص٢١، ولم نجدها منسوبة لغيره إلا عند ابن أبي الحديد في شرح النهج فإنه ينسبها إلى الحلاج ج٣ ص٧١٢.

إني لأكتمُ مِـن علمـي جـواهــرَه   كي لا يرى الحقَّ ذو جهلٍ فيفتتنـا
وقـد تقـدمَ في هـذا أبـو حَسَـنٍ   إلى الحسينِ وأوصى قبلَـه الحسَنـا
يا رُبَّ جوهـرِ علم لـو أبـوحُ بـهِ   لقيـلَ لي: أنـتَ ممن يعبُـدُ الوثنـا
ولا ستحلَّ رجـالٌ مسلمـونَ دمـي   يَـرونَ أقبـحَ مـا يـأتـونـه حسَنـا

وقال الشافعي[1]:

سأكتمُ علمي عَنْ ذوي الجهل طاقتي   ولا أنثُرُ الدرَّ النفيسَ على البَـهَـمْ
فمَن منحَ الجهّـالَ علمًـا أضـاعَـه   ومَن منـعَ المستـوجبين فقـد ظلَـمْ

وفي ذلك قال اميرُ المؤمنين عليه السلامُ: «لو أن الباطلَ خلَصَ مِن مِزاج الحقِّ لم يخفَ على المرتادين ولو أن الحقَّ خلصَ من لبَسِ الباطِلِ لانقطعَت عنه ألسُنُ المعاندين ولكنْ يؤخَذُ مِن هذا ضِغْثٌ، ومِنْ هذا ضِغْثٌ فيمتزِجان ، فهناك يستولي الشيطان على قلوبِ أوليائِهِ، وينجو الذين سبقَتْ لهم مِنَ اللهِ الحسنى»[2] ولما كانَ هذا العلمُ غايتُهُ الحقَّ الأولُ، والحقُّ أشرفُ الموجوداتِ كانَ العلمُ المؤدي إليه أشرفَ العلومِ وأكملَها، والدالُّ عليه سيدَ الأدِلةِ وأعظمَهم وطالبُه أسعَدَ الطالبينَ وأهنأهم، ومع هذا فالاعتقادُ أيضًا له هاتان الجهتانِ التقييدُ والإطلاق، فالتقييدُ هو اتباعُ الشريعةِ الغراء بكلِّ أوامِرها ونواهيها، ومحللها ومحرِمها، والإطلاقُ هو أن تنقُلَ هذه الأوامِرَ

---

(١) انظر ديوان الشافعي وحكمه - جمع وإعداد محمود بيجو - ط١ ١٩٨٩ - ص٦٣ والبيتان من قصيدة مطلعها:

أأنـثـر درًا بـيـن راعيـة الغنـم   وأنـثـر منظـومًـا لـراعيـة النَعَـمْ

والشافعي هو أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس الشهير بالشافعي إمام في الدين والفقه والأصول ولد بغزة يوم وفاة أبي حنيفة ١٥٠هـ.

(٢) انظر نهج البلاغة شرح الاستاذ الإمام محمد عبده. مطبعة كرم ومكتبتها - دمشق، ج١، ص٩٩-١٠٠.

الشرعيةَ المحسوسة إلى عالَمِ الإطلاقِ مع بقائها بهذه الأشكال المقيدةِ، وقد مرَّ بك اتصالُ العالمِ العلويّ بالعالمِ السفليّ وأنّ جميعَ ما في العالمِ العلوي له مثالٌ في العالمِ السفلي يمثلهُ ويقودُ إليه، وليس المُرادُ بالعالَمِ العلويّ ارتفاعَ مكانٍ حسي بل هو كنايةٌ عنِ الإطلاقِ، كما أنه ليس المرادُ بالعالمِ السفلي تسفُّلَ المكانِ، بل المرادُ به التقيدُ. إن الذي أوردُه عليك بعجالتي هذه هو مما حيّر لبي، وأخذ عقلي وشغَلَ بالي، وبلبلَ أفكاري، حتى ملكَ عليَّ أمري سقتهُ إليكَ، مستعيناً بك على شرحِ مُعَمَّاهُ، واستجلاءِ عويصِه وتسهيل وعورتِهِ، وليست وعورتهُ وعورةَ ألفاظٍ، ولا غموض معانٍ، فهو من ألفاظِهِ بحيث يفهمُهُ الأميُّ، ومِن معانيهِ بحيث لا يخفى على أحد، ولكن هناك بشريةٌ ونبوّة وجسميةٌ وإمامةٌ، وأخطاءٌ وعصمةٌ، ومعاجزُ وعجزٌ وتنزيهٌ وتجسيمٌ، وما أشبهَ مِن هذه الأضداد. ولأنك - والحمد لله - مثقفُ العقلِ، مهذبُ النفسِ، تعرِفُ الألفاظَ ومدلولاتِها والمعاني ومحمولاتها، فإني أسوقُها إليك مجتزئاً، وأقـودُهـا مقتضبـاً، عسـاك تعينني على شرحِهـا وتكشِـفَ لي عـن حقائِقها، وحذارِ ثم حذارِ أن تلجأ إلى التكذيبِ[1] أو القولِ بالوضعِ،

(١) بالأسانيد المتصلة عن جابر قالَ: قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «إنّ حديث آل محمد ﷺ صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبيّ مرسَل أو عبد امتحن الله قلبَه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمد ﷺ فلانت له قلوبكم وعرّفتموه فاقبلوه، وما اشمأزّت منه قلوبكم وأنكرتموه فردوه إلى اللهِ وإلى الرسول، وإلى العالمِ مِن آل محمد ﷺ إنما الهالك أن يحدِّثَ أحدُكم بشيء لا يحتمله فيقول واللهِ ما كان هذا والله ما كان هذا، والإنكار هو الكفر». صحيفة الأبرار للعالم ميرزا محمد تقي - دار الصراط - ج١، ط١٩٨٦، ص٩.

وعن سفيان بن السمط قالَ: قلت لأبي عبدالله (ع) جعلتُ فداك يأتينا الرجل من قبلكم يعرّف بالكذب فيحدث بالحديث فنستشقه، فقال أبو عبدالله (ع) «أيقول لك أني قلت الليل أنه نهار؟ والنهار أنه ليل؟ قلت: لا. قالَ: فإن قال لك هذا فلا تكذب به إنما تكذبني». انظر صحيفة الأبرار، ج١، ص٩.

وجاء عن ابي جعفر وابي عبدالله (ع): لا تكذبوا بحديث أتاكم به مرجىء ولا قدري ولا =

فبالرجوع إليهما تكذيبُ الوحيِ والإلهامِ، وإنكارُ الرسُلِ، وذلك الطامةُ الكبرى والجهلُ المطبقُ.

الفقير لله سبحانه

أحمد محمد حيدر

جبلة ـ حلة عارا ٢٩ محرم الحرام ١٣٧٧ هجرية

= خارجي نسبه إلينا، فإنكم لا تدرون، لعله من الحق فتكذبون الله فوق عرشه.

(٢) وجاء عن ابي الحسن الأول (ع): لا تقل لما يبلغك عنا مما نسب إلينا هذا كذب أو باطل وان كنت تعرف خلاف ذلك، فإنك لا تدري لم قلناه وعلى اي وجه وضعناه.

والحديثان في صحيفة الأبرار ج١، ص١٠.

وثمة أحاديث كثيرة بهذا المعنى.

السيّد محمد ﷺ قَبل التكوين

بسم الله الرحمن الرحيم

أولُ ما نبدأ به في تصدير هذه العجالةِ التي أحمِلُها إليك، وأعرضها عليك هو مبدَأ التكوينِ، على رأيِ الفلاسفةِ والحكماء الإلهيين قديمين وحديثين بلا اختلافٍ بينَهم إلا بنظراتٍ، أكثرُ ما يكون اختلافُها بالألفاظِ لا بالمعاني، غيرَ ملتفتينَ إلى الفلاسفةِ الماديين وآرائِهم وخبْطِهم في أقوالِهم بأنّ المبدأ لسائرِ المبادىء والغايةَ الأزليةَ لها هو الطبيعة، والمادةُ الأولى والأثيرُ(*) وهيولى الكُلِّ، وطائفةٌ منهم تعبّر عنها بالدهرِ أوالجوهرِ أو الزمانِ أو القوةِ أو الفعلِ، وظهرَ مؤخّرًا الإنتخابُ الطبيعيُّ والانبثاقُ، أو بقاءُ الأصلحِ أو التطوُّر الخلاقُ، غيرَ أنَّ الجميعَ اتفقُوا على أنّ الطبيعة لا تحسُّ ولا تعي. وأجمعَ جميعُ الفلاسفةِ على أنّ الله سبحانَهُ أبدَعَ أولَ ما أبدَعَ جوهرًا كليًا ممتدًّ

(*) الأثير: يقول العلامة السويسري ج ارثر فندلاي في كتابه على حافة العالم الأثيري: ما المادة الا اثير في حالة خاصة. والأثير كله مادة، والمادة كلها اثير. اما المادة الفيزيائية التي تدركها حواسنا فهي ذلك الجزء من الأثير الذي يهتز في دائرة معينة. وأما المادة الأثيرية فهي المادة التي لا تدركها حواسنا، ويمكن اعتبار أثير الفضاء حلقة الاتصال الكبرى، التي توجد ما بين عالم المادة والروح، لأنه المادة المشتركة بين العالمين. والعالمان جزء من كون واحد، والحياة في كليهما مقيدة به. فهنا في هذا العالم المادي الذي نحيا فيه، انما نحس فقط بنوع من الاهتزازات المنخفضة الدرجة. أما في عالم الروح حيث تؤدي الحياة وظائفها ايضا فان الوعي يتأثر بنوع من اهتزازات أعلى درجة.
العلوم الطبيعية في القرآن. يوسف مروة. ص٢٢٤.

الوجودِ، قابلاً للجودِ، تامَّ الأنوار، معرّى مِنَ التغيراتِ مبرأً مِن نقص الطبائع والمركباتِ، فهو مرتِّبُ كلِّ موجودٍ مرتبتَهُ، ومنزِلُه منزلتَه فهو أصلُ المكوناتِ ومُبديها، بما فوَّضَ إليه مخترعةُ مِن تكوينها وخلقِها، وأطلعَهُ على ما أطلعَهُ عليهِ مِن علمِهِ المخزونِ وسرِّه المكنون، علمِ ما كانَ وما يكونُ. اخترعَه مبديهِ الأحدُ مِن نورِ جلالِهِ، فكانَ عنه جميعُ مكوناتِهِ، كالواحد انبعثَتْ عنه الأعداد، فهو أصلُ الأزواجِ والأفرادِ، فهو وجهُ اللهِ الذي لا يَبلى وقبلتُهُ التي يتوجهُ إليها أهلُ الهدى (كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهُه له الحكمُ وإليهِ ترجعون)(1) متنزهٌ عن نعتِ الناعتينَ ووصفِ الواصفينَ(2). وهذا الجوهرُ المخترَعُ مِن نورِ ذاتِ اللهِ تختلِفُ أسماؤُهُ باختلافِ أفعاله، فيسمَّى بالعقل لتعقُّلِهِ وعلمِهِ، وبالقلمِ لنقشِهِ وتصويرِهِ المعلوماتِ فيما دونَهُ منَ العوالِمِ، وبعالَمِ الأمرِ باعتبارِ تأثيرِهِ الأمري فيما دونَه، وبمفتاحِ الغيبِ باعتبارِهِ مفتتَحُ الوجودِ وبكلماتِ اللهِ التاماتِ، باعتبارِ دلالتِهِ على عظمةِ باريهِ، إلى آخرِ أسمائِهِ الكثيرةِ المتنوعةِ، وذلك بحسَب أفعالِهِ الصادرة عنه، وذاتُ اللهِ سبحانَه لا اسمَ لها ولا رسمٌ، ولا هيئةٌ ولا كيفيةٌ، ولا ... ولا يشارُ إليها إلا بهذا الفعلِ الصادرِ عنها (لأن فعلَ اللهِ ليس غيرَ ذاتِهِ، وصورته ليست غيرَ تأثيراتِهِ)(3). فهذا الفعلُ مِنَ الذاتِ العليةِ كالصفةِ منَ الموصوفِ، والنعتِ مِنَ

---

(1) سورة القصص ـ الآية ٨٨.

(2) إن محمداً ﷺ بروحه أكبر من كل ما قيل فيه وما يقال إلا أن يقالَ فيه إنه الله عز وجل، وهو منزه عن نعت الناعتين ووصف الواصفين لأن العقولَ مهما سمَت وارتقت لا تصلُ إلى إدراك كنه حقيقته، لأنه أول نور صدر عن الحق عز وجل وعنه صدرت جميع الأنوار العلوية والسفلية، فنزهه عن الربوبية وقل فيه ما شئتَ وليس هذا بعجيب، فنفسُك أيها الإنسان لا تدركُ كيف هي إحاطةً، فكيف تدرك ما هو أعلى منها؟! قالَ أمير المؤمنين علي (ع): «كيفية المرء ليس المرءُ يدركُها» وقالَ البوصيري في بردته الشهيرة يمدح الرسول ﷺ:

دع ما ادعتـه النصـارى في نبيِّهـمِ … واحكم بما شئت مَـدحًـا فيه واحتكمِ

(3) الفعل له اعتباران: اعتبار هو ذات الله ويسمى الفعل المحض والمحض لا يكون بخلاف ما =

المنعوتِ، وتعالى اللهُ عنِ النعتِ والصفةِ، فتدبر هذا جيدًا لتكونَ على معرفةٍ جيدةٍ. فهذا الفعلُ الصادرُ عنِ اللهِ وُكِلَ إليه فعلُ المفعولاتِ جميعها، وهو السابق البادِيء، لا هو واجبُ الوجودِ كمبدِعِهِ ولا هو ممكِنٌ كسائرِ الممكِناتِ، فهو لا ممكِنٌ ولا واجبٌ، ثم يليهِ اللاحقُ وهو النفسُ الكليةُ المنبعثةُ عنه، المبدَع بها جميعُ الذوات في سائرِ الموجوداتِ، وأفضلُ أحوالِ النفسِ الكليةِ ـ وأحوالُها كثيرةٌ ـ هو الحياةُ التي تمد سائرَ الأحياء، وبها تصِلُ الأجسامُ جميعُها إلى أفضل أحوالِها وأجلِّ أعمالِها والنفسُ الكليةُ هذه هي وجهُ العقلِ الفعّالِ(١)، كما أنّ العقلَ الفعالَ هو وجهُ اللهِ وهي العِلةُ المنفعلةُ عنِ الفعلِ، أشرقَ نورُ النفسِ الكليةِ، فترتبتِ الأفلاكُ بالتسلسلِ مِنَ الفلكِ المحيطِ إلى منتهى فَلَكِ القَمَرِ بسكانِها مِنَ العوالِمِ النوريةِ القائمةِ بذاتِها وهمُ الرَّوحُ والريحانُ والجواري الحسانُ المذكوراتُ في القرآنِ لا حُورٌ عِينٌ كأمثالِ اللؤلؤ المكنون ولا ولدانٌ مخلدون، ولا أكوابٌ وأباريقُ؛ صورُهم ملائكيةٌ وأرواحُهم قدسيةٌ، سكناهمُ الهيولى النورية، ومنازلُهمُ الدارُ الحيوانيةُ. خلقَ اللهُ الأشياء كلَّها دفعةً واحدةً بالقوةِ(٢)، في إبداعِهِ الأولِ

= هو عليه، والله عند الفلاسفة فعل محض وقدرة محضة. واعتبار آخر هو ذات منفعلة صادرة عن ذاتٍ غير منفعلة، وهو بهذا الاعتبارِ مضاف إلى الله، فهو صفحة الله ونور الله ووجه الله... فليس هو الذات باعتبار وليس هو غيرَها باعتبار آخر، كنور الشمس من الشمس وبكلمة أوضح كصدور الفكر من العقلِ، فليس الفكر هو العقل ولا هو غيره، لأنه متصل به اتصال مدد ووجود، وليس للفكر وجود مستقل عنِ العقل ولا فرق بينهما غير أن العقل علة وجود الفكر ولا عكس، والفكر قيامه بالعقل ولا عكس، فيصير هو هو نوعًا وما هية ووجودًا، وهو غيره علة وذاتا وكيانا ومرتبة. اللجنة.

(١) العقل الفعال: يقصد به هنا العقل الأول وهو الحقيقة المحمدية والعقل الفعال عند الفارابي وابن سينا هو العقل العاشر وبه تنتهي العقول المفارقة. اللجنة.

(٢) الشيء الذي هو بالقوة: هو الذي يمكن أن يكون وجوده في الزمن الآتي كقيام القاعد وقعود القائم.

الذي هو العقلُ الأولُ ثمّ أخرجَها مِنَ القوةِ إلى الفعلِ[1]، الشيءَ بعدَ الشيءِ، فكانَ أوّلَ ما كان مِن هذا الوجودِ الأولِ النفسُ الكليةُ، ثُم كانَ عنِ النفسِ الكليةِ العالمُ العُلويُّ ثم العالَمُ السفلي، وكما أنَّ النفسَ الكليةَ موكلةٌ بالعالَمِ العلوي بأمرِ اللهِ، كذلك العالَمُ السفلي، وكما أنَّ النفسَ الكليةَ موكلةٌ بالعالَمِ العلوي بأمرِ اللهِ، كذلك العالَمُ العلويُّ موكولٌ إليهِ أمرُ العالَمِ السفليِّ، يدبرُهُ بعنايةِ اللهِ، (ويُحقُّ الحقَّ بكلماتِهِ)[2] وكلماتُهُ سبحانَهُ هي موجوداتُهُ لا ألفاظٌ ولا حروفٌ بقولِهِ «كنْ» التي هي العقلُ الأولُ (خلَقَ اللهُ العالَمَ بالكلمة)[3]، فكانتِ الكلمةُ يُنبوعَ الخلقِ ومبدأ الفِطرة: (فطرةَ اللهِ التي فطرَ الناسَ عليها)[4] فبكلامِهِ ظَهَرَ وجودُه وكانَ موجودُه، وكانت الخلقة قائمةً بالحقِّ، والكلمةُ منه سبحانَهُ كالكلمةِ مِنَ المتكلِّمِ، يبدو بها ما أرادَه مِن أوامرِهِ ونواهيهِ، إلا أنَّ كلمتَهُ سبحانَهُ نورٌ، وهذا النورُ إرادتُهُ، وكلمتُنا ألفاظٌ يظهرُ مِن معانيها المخبوءَةِ وراءَ حروفِها ما أرادَهُ متكلمُنا، وطريقُ معرفةِ العالمِ العلويِّ المجردِ غايةَ التجريدِ، الذي لا يقدَّرُ بمقدارٍ جرمانيٍّ ولا ينحصِرُ بانحصارٍ مكانيٍّ، ولا يتكونُ في مكانٍ زمانيٍّ، لا تَحويهِ الأقطارُ ولا تضمُّهُ الجهاتُ، فهو صورةٌ مبرَّأةٌ مِنَ الهيولى الطبيعيةِ مجردةٌ عنِ الموادِ، وهي مبدَأُ الزمانِ وتكوينِ المكانِ، وبعد معرفةِ هذا العالَمِ، مِن طريق المحسوسِ تنتقلُ منه إلى المعقولِ، فما يُدرَكُ بالحواسِّ عالَمٌ جزئيٌّ ونفوسٌ جزئيةٌ، والصورةُ الإنسانيةُ المتحدةُ بها النفسُ الناطقةُ واسطةٌ بينَ هذين العالمين: العالَمِ

---

(١) والشيء بالفعل: هو الموجود في الزمن الحاضر من سائر الأفعال الحاصلة كقعود القاعد وقيام القائم انظر الزمان الوجودي ـ مصدر سابق ص٩٠ ـ ٩١.

(٢) سورة الشورى ـ آية ٢٤.

(٣) المقصود بالكلمة (كن) الحقيقة المحمدية وبالعالَم الموجودات وعن الكلمة الأمرية (كن) صدرت سائر الموجودات التي هي كلمات الله. وكلمة الله عيسى عليه السلام؛ قال تعالى «إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته) سورة النساء آية ١٧١. اللجنة.

(٤) سورة الروم ـ آية ٣٠.

المحسوسِ والعالَمِ المعقولِ المجرّدِ، لأنها مِن جهةِ النفسِ متصلةٌ بالعالَمِ العلوي ومِن جهةِ الهيولى متصلةٌ بالعالَم السفليِّ، فالمخترعُ الأولُ له مثالٌ في العالمِ السفليِّ وهو العقلُ الجزئيُّ الإنسانيُّ، وهو وجهُ العالَمِ إلى اللهِ، كما أنَّ العقلَ الأولَ وجْهُ العالَمِ العُلويّ ومُدَبِّرُهُ، ثمّ النفسُ الكليةُ التي هي الكرسيُّ الواسعُ له مثالٌ في العالَمِ السفلي وهوَ النفسُ الجزئية، وهكذا يتقابلُ العالَمانِ: العُلويُّ والسفليُّ فما مِن شيءٍ في العالمِ المحسوسِ إلا ولهُ مثالٌ في العالَمِ المعقولِ. فالأشياءُ كلُّها مرتبطٌ بعضُها ببعضٍ وأمرُ اللهِ محيط بالكلّ، والجميعُ مما ذُكِرَ في كتابِ اللهِ التكويني الذي كتبَهُ بيدِهِ، ويدُه العقلُ الأولُ، وهذهِ المعرفةُ هي النظرُ إلى سقفِهِ الذي رفَّعَه وهو علمِهِ الذي سجَرَهُ، ولذلك قيلَ: «الحسياتُ معابرُ للعقلياتِ» وما في عالَمِ الشهادةِ دالٌ على ما في عالمِ الغيبِ، وما غابَ عنا لا نعرفُهُ، إلا بما حضَرَ لدينا. تعرَضُ صورُ الحسياتِ على الخيال وهو الواسطةُ بينَ العالَمِ الروحانيِّ والعالَمِ الجسمانيِّ، فينقلك هذا العَرضُ مِنَ العالَمِ المحسوسِ إلى العالَمِ المعقولِ، ومِنْ صورِها المحسوسةِ إلى حقائِقها المجرَّدَةِ، كما ينقُلُكَ مِن صورِ الكلماتِ المرسومةِ على الورقِ إلى معانيها اللطيفةِ في الذهنِ، والمثَلُ لارتباط العالمِ العلويِّ بالعالَمِ السفليِّ، وإفاضاتِ العقلِ واستقرارِ تلك الإفاضاتِ عندَ النفسِ الكُليةِ، ثمّ توزيعها على المكوَّنات، ووجودِها وظهورها بها، هو أنّ النفسَ الإنسانيةَ المفكرة، بدؤها سكونٌ بالنفوسِ تولدَتْ منه حركةٌ أدَّت إلى ظهورِ شيء منَ العدَمِ إلى الوجودِ، وكان هذا الموجودُ فيه بالقوةِ، ثمّ كانت القوةُ الثانيةُ بدَفعِ القوةِ الأولى إلى القوةِ الناطقةِ، ولفظَتْ بها لفظةَ الوجودِ، فاستعملتِ الحواسَّ بذلك الاختيارِ فجاءتِ القوة الثانية إلى طريقِ القوةِ الصناعيةِ، فظهَر الشيءُ مِنَ العدَمِ[1] إلى الوجودِ، ومِنْ هُنا يتضحُ كونُ الأشياء بالقوةِ في العقلِ،

---

(١) العدم: لا وجود له ويستحيل أن يوجد الموجود من غير الوجود إذ فاقد الشيء لا يعطيه، والمقصود هنا ظهور الشيء بعد أن لم يكن على ما هو عليه.

وإفاضةُ العقلِ إياها على النفسِ الكليةِ، وإلقاءُ النفسِ إلى الهيولى الأولى المطلقةِ التي هي موضوعُ قَبولِ الصوَرِ المطلقةِ، والهيولى قابلةٌ لتلك الصورِ منَ النفسِ الكليةِ شيئًا بعدَ شيءٍ في الحدوثِ والكونِ، ولكلٍّ منَ الأجسامِ الطبيعيةِ: النارِ والماءِ والهواءِ والترابِ، صورةٌ في الجسمِ المطلقِ، وللجسمِ المطلقِ صورة في الهيولى الأولى المطلقةِ، والهيولى الأولى صورةٌ روحانيةٌ فاضَتْ عنِ النفسِ الكليةِ، والنفسُ الكليةُ صورةٌ روحانيةٌ فاضَتْ عنِ العقلِ الكليِّ، فاتضحَ أنّ الموجوداتِ كلَّها صورٌ متعلقةٌ بحدوثِها إلى أنْ تنتهي إلى العلةِ الأولى. كما أنّ لكلِّ معلولٍ أربعَ عللٍ: علةٌ فاعلةٌ وعلةٌ صوريةٌ وعلةٌ متممةٌ وعلةٌ هيولانيةٌ. فالكرسيُّ مثلاً علتُهُ الفاعلةُ النجارُ، وعلتُهُ الهيولانية الخشبُ وعلتُهُ الصورية التربيعُ، والتامية ليُقعَدَ عليهِ، ولكنَّ الهيولى النورية لها ثلاثُ عللٍ فقط: علةٌ فاعلةٌ وهي الباري عزَّ وجلَّ، وعلةٌ صورية هي العقلُ وعلةٌ تاميةٌ وهي النفسُ. والنفسُ ليس لها إلا علتانِ وهما الباري والعقلُ، والعقلُ له علةٌ واحدةٌ هي الباري، والباري عِلةُ العِللِ. وهذا العقلُ المختَرَعُ المسمّى بالأسماءِ المختلفةِ بحسَبِ مفاعيلِهِ هو الحافظُ جميعَ أشخاصِ الإنسانِ المعيَّنُ لهم بالأديانِ، وآثارُه المحيطةُ بالأفلاكِ العاليةِ بيوتُهُ، والأشباحُ النورانيةُ مقاماتُهُ والأشخاصُ النوريةُ مطالعُهُ، والأشخاصُ الناطقة آلاتُهُ، لا فرقَ بينَ الذاتِ العليةِ وبينَهُ إلا مِن جهةِ قيامِهِ بها، وإلا فليس هو غيرَها، لا يوصَفُ بالصفاتِ لأنه واحِدٌ بالذاتِ، غيرُ موجود بالصفاتِ التي تتميزُ بها الموجوداتُ، ذو قوةٍ واحدةٍ لا تَبايُنَ فيها ولا اختلاف، لا يتصل إلا بما قرُبَ منه بالقبولِ عنه، وذاك هو القوةُ الناطقةُ، وما سوى ذلك فهو منزَّهٌ عنِ الاتحادِ بهِ والدنوِّ منه، إلا بالإحاطةِ بهِ وإنما يُشارُ إلى ذاتِ اللهِ بهذا الفعلِ الصادرِ عنه سائرُ الموجوداتِ لأن فعلَ اللهِ ذاتُهُ، وإنيّتُهُ صفاتُهُ، لا فرقَ بينَهما مِن جهةِ التمييزِ النطقيِّ، وعن هذا العقلِ وجدَتِ النفسُ الكليةُ. ويشارُ إلى هذا العقلِ باسمِ هذا الفعلِ الصادرِ عنه وهو النفسُ الكليةُ، وهي

قوةٌ شائعةٌ في الموجوداتِ، إلا أنها في السماواتِ العاليةِ والأفلاك الساميةِ أقوى وأظهرُ، وأوفى وأبينُ، وهذه العوالِمُ سُكانُ السماواتِ حافونَ حولَ العَرشِ لا يَسأمونَ عبادةَ ربِّهم، وهم ذوو طبيعةٍ واحدةٍ لا تضادَّ فيها ولا فسادَ يدخلُ إليها، مشرقةٍ بأنوارِ الجبروتِ مستمسكةٍ بحبالِ الملكوتِ، مسكنُهم حظيرةُ القدسِ في ظلِّ العرشِ ينزلون بالخيراتِ إلى عالَمِ الأرضِ، فتمتزج في كثافةِ التركيبِ وتظهرُ في نظامِ التأليفِ، وتتفرّقُ في الأشخاصِ المختلفةِ، والصورِ الناطقة، فإذا قبلَتْ خواصَّ فعلِها وتصورَتْ بخواصِّ صورِها، وتصورت فيها صورُ موجوداتِها، بحقائقِ هيولاتِها القائمةِ بها وفيها، الباديةِ عنها ومنها، صارت لها رُتَبٌ سماويةٌ، واتحدَت بها قُوى روحانيةٌ مِنَ النفسِ الكليةِ، وقد أثبتَ افلاطون[1] في مثُلِهِ أنّ لكلِّ موجودٍ مشخَّصٍ في العالَمِ الحسيِّ مثالاً مَوجودًا غيرَ مشخَّصٍ في العالَمِ العقليِّ، فالمبادىء الأُوَلُ بسائِطُ[2]، والمُثُلُ السماويةُ مبسوطاتٌ[3] والأشخاصُ الطبيعيةُ مركّباتٌ[4] فالإنسانُ المركَّب جزئيٌّ ذلك الإنسانِ المبسوطِ المعقولِ، وكذلك كلُّ نوعٍ مِنَ الحيوانِ والنباتِ والمعادنِ والموجوداتِ، في هذا العالَمِ أثَرُ الموجوداتِ في ذلكَ العالَمِ. ولما كانَ العقلُ الإنسانيُّ مِن ذلك العالَمِ أدرَك مِنَ المحسوسِ مثالاً منتزعًا مِنَ المادةِ معقولاً يطابقُ المثالَ الذي في عالَمِ العقل بكليتِهِ ويطابقُ الموجودَ بجزئيتِهِ. ولولا ذلك لما كانَ يدرِكُهُ العقلُ مطابقًا مقابلاً مِن خارجٍ. فما يكونُ مدرِكًا لشيءٍ يوافقُ إدراكُهُ حقيقةَ المدرَك. فاقرأْ هذه المثلَ فإنها جليلةُ الفائدةِ. وكذلك الأيامُ والأشهُر الزمانيةُ التي هنا صورةٌ

---

(١) فيلسوف يوناني ولد في أثينا ٤٢٧ق.م. تتلمذ على سقراط وعلم أرسطو أعظم آثاره جمهوريته.

(٢) البسائط: عالم الجبروت وهو عالم العقول والأنوار المجردة الصادرة عن عالم اللاهوت.

(٣) المبسوطات: عالم الملكوت وهو أدنى من عالم الجبروت فهو عالم الأنوار البسيطة ومثالة العقول والنفوس البشرية.

(٤) المركبات: ما تركب من العناصر الطبيعية وهو عالم الشهادة أو عالَم الملك. ـ اللجنة ـ.

للدهرِ[1] والدهرُ صورةٌ للسرمد[2]، والكلُّ ظهورُ سيرِ شمسِ الحقيقةِ، فكلّ دانٍ له صورةٌ واستقلالٌ في العالي، وصورةٌ بالاستقلالِ في عالي العالي، وصورة تتبعُ عاليَ العالي في عالي العالي. والذاتُ العليةُ هي الصورةُ الجامعةُ للصورِ، وهي الصورةُ الكليةُ ولا صورةَ لها ولا قيدتَها صورةٌ لأنَّ جامعَ الصورِ لا يتقيدُ في صورةٍ، وما لا يتقيدُ في صورةٍ لا صورةَ له، لأنَّ الصورَ جميعَها له. وتكلمُهم عنِ القرآنِ الكريمِ وتنزُّلِهِ عن مقامِ إطلاقِهِ مع رُتَبِ النورِ بحسَبِها، يُعطينا شيئًا مِن معرفةِ تنزُّلِ الوجودِ، وصدورِهِ عنِ الحقِّ الأولِ. فالقرآنُ الكريمُ هو كلامُ الحقِّ الأولِ، ظهرَ أولَ ما ظهرَ مطلقًا مِن جميعِ التعيناتِ والإفراداتِ، ويُسمَّى بهذا الاعتبارِ نفسَ الرحمنِ، وعندما تنزَّلَ عَن مقامِ إطلاقِهِ واتصفَ بالتعيناتِ، سُمِّيَ أيضًا بنَفسِ الرحمنِ، وبمقامِ «كُنْ» كلمةِ اللهِ الأمرية، ولظهورِ عالَمِ الغيبِ بهِ بنحوٍ منَ البساطةِ مثلَ ظهورِ ما في الصدورِ مِنَ الكلماتِ، يُسمَّى بكلمتِهِ تعالى، ولاشتمالِهِ على جميعِ الموجوداتِ الإمكانيةِ بنحوٍ أشرفَ وأعلى، يُسمَّى بالقرآنِ.

وبجمعِ الجمعِ[3]، ولكونِهِ أعلى مقاماتِ محمد ﷺ يُسمَّى بالحقيقةِ المحمديةِ ولذلك كانَ خُلُقُهُ القرآنَ، ولما كانَ القرآنُ بإطلاقِهِ وكلامُ اللهِ في أولِ ظهـورِهِ لا تقـومُ لِسَاعِـهِ السماءُ ولا السماويـات، ولا الأرضُ ولا

---

(١) الدهر: هو الآن الدائم الذي هو امتداد للحضرة الإلهية، وهو باطن الزمان، وبه يتجدد الأزل والأبد من كتاب التعريفات مصدر سابق ص١٠٥.

(٢) السرمد: امتداد فوق الزمان المرتبط بالمكان وهوتنزيه كامل للذات الإلهية.
النصوص في مصطلحات التصوف. تأليف محمد غازي عرابي. دار قتيبة ١٩٨٥، ص١٦٢.

(٣) للصوفيين اصطلاحات خاصة بهم أهمها الفرق والجمع وجمع الجمع. فالفرق عندهم هو شهود الأغيار لله عز وجل، والجمع شهود الأغيار بالله، وجمع الجمع الاستهلاكُ بالكلية وفناءُ الإحساس بما سوى الله. انظر الرسالة القشيرية في علم التصوف للإمام عبد الكريم القشيري ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ص٣٦. وقد قال الإمام الصادق (ع) في هذا المعنى: التفرقة بلا جمع تعطيل، والجمع بلا تفرقة زندقة، والجمع مع التفرقة توحيد.

الأرضيات[1]، أنزلَهُ اللهُ عن إطلاق مقامِهِ مع بقائِهِ به، وحجبَهُ بحجبِ التعيناتِ العقليةِ البسيطةِ، فصارتِ العقولُ بفعلياتِها ووجوداتِها مصاديقَ له، ثُمَّ أنزلَهُ وحجبَهُ بحجبِ التعيناتِ الطبيعيةِ فصارتِ التعيناتُ الطبيعيةُ مصاديقَ له، ثُمَّ أنزلَهُ إلى أنزلِ مراتبِ الوجود وألبسَهُ لباسَ الأصوات والحروفِ والكتابةِ حتى تُطيقَهُ الآذانُ والأبصارُ البشريةُ، فصارتِ الحروفُ مصاديقَ له، ولكونِ جميع مراتبِ الوجودِ مصاديقَ للقرآنِ صار تبيانًا لكلِّ شيءٍ (..لا رطب ولا يابس[2]..) إلا كانَ فيهِ (لا يغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها)[3]. عَرفْتَ ـ عرفنا اللهُ وإياكَ الخيرَ ـ أنّ اللهَ خلقَ الأشياء كلَّها دفعةً واحدةً في العقلِ الأولِ، وكانتْ فيه بالقوةِ، ثُمَّ انبعثتْ عنه عن طريقِ النفسِ الكليةِ بالفعلِ، الشيءَ بعدَ الشيءِ، ولما كانَ الخاتَمُ للشيءِ لا يكونُ إلا في آخرِه، كذلك، وجَبَ أن تكونَ صورة التمامِ التي هيَ النهايةُ متقدمةً على الأشياء بالقوةِ، ومتأخرةً عنها بالفعلِ، وكذلك قدَّرَ اللهُ سبحانَهُ أمرَ خلقِهِ لما أبداهُ بالقوةِ دفعةً واحدةً ثُمَّ بالفعلِ على التدريجِ حتى تكونَ نهايةُ تمامِهِ وبلوغُ كمالِهِ إلى الحال الأفضل. وعرفْتَ أيضًا أن هذا الجوهرَ الأوّلَ المجرَّدَ غايةَ التجريدِ هو أولُ الإيجادِ، كما أنَّ الواحِدَ أولُ الأعدادِ، ثُمَّ أوجدَ بهِ جواهرَ أخرى مترتبةً تختلِفُ رتبُها بالكمالِ، بحسبِ قربِها مِنْ هذا الجوهرِ وبعدِها عنه، ثُمَّ كان منها موجوداتٌ نفسانيةٌ طرَفُها الأعلى متعلّقٌ بالعقولِ الفعالةِ، وطرَفُها الأدنى مرتَبِطٌ بالأجرامِ الطَّبيعيّةِ لتستمدَّ وتمدَّ، وتستفيضَ وتفيضَ. وعَرْفتَ أنَّ لهذا الجوهرِ الذي هو العقلُ الأولُ أسماء مختلفةً متعددةً بتعددِ أفعالِهِ، فيسمَّى بالروحِ الأعظمِ لأنه أعظمُ المكوناتِ وروحُها، وبالعقلِ، لأنَّ اللهَ بهِ عُقِلَ وعُرِفَ، وبالقلمِ، لأنّ اللهَ كتبَ به

---

(١) السماويات الأجرام السماوية كالشمس والقمر، والأرضيات: الموجودات الأرضية.

(٢) سورة الأنعام آية ٥٩.

(٣) سورة الكهف آية ٤٩.

المكوناتِ في اللوحِ المحفوظِ، (النفسِ الكليةِ) ويُسمّى بالحقيقةِ المحمديةِ لأنّهُ هو روحُ محمدٍ، وغيرِ ذلك مِنَ الأسماء. قالَ ﷺ: «أوّلُ ما خلقَ اللهُ نوري»[1] ويُسمّى كلمةَ اللهِ «خلقَ اللهُ العالَمَ بالكلمة»(★) «وكلمتُهُ ألقاها إلى مريم»[2] وقد علمْتَ أنَّ كلامَهُ تعالى ليسَ بصوتٍ يَقرَعُ لأذُنٍ تسمَعُ»[3] إلى ما لا يُحصَى مِن أسماءِ هذا الجوهرِ. كتبَ هذا القلمُ في لوحِ النفسِ الكليةِ كلَّ ما جَرى وما يجري ولكنْ على وجهٍ كليٍّ بصورٍ مضبوطةٍ معلومةٍ بِعِلَلِها وأسبابِها، والنفسُ الكليةُ هي اللوحُ المحفوظ باعتبارِ حفظِها للصوَرِ الفائضةِ عليها، ثمّ ترتسمُ صُوَرًا جزئيةً متشخِّصةً بأشكالٍ وهَيئاتٍ مطابقةٍ لما يظهرُ في العالَمِ المحسوسِ. ثم ترتَسِمُ هذه الصورُ في القُوى الجزئيةِ المعبَّر عنها بالنفوسِ الفلكية، والقوى المحرّكةِ الفعّالةِ، وهذهِ الصّورُ متبدلة متجددةٌ في تلكَ المبادىء وعالَمُها عالَمُ الخَيالِ والمثالِ كالصورَ التي ترتسِمُ في لوحِ خيالِنا ثمّ تزولُ وتتبدلُ، وهذا بخِلاف اللوحِ المحفوظِ، فإنَّ نقوشَهُ محفوظةٌ مِنَ التبدّلِ كالكلياتِ في عقولِنا، وكِلا اللوحينِ كتابٌ مبينٌ (وكلَّ شيءٍ أحصيناهُ في إمامٍ مبين)[4]. وما ذُكِرَ مِنْ هذهِ الألواحِ والأقلامِ هو أصولُ الكتبِ الإلهيةِ، وفروعُها جميعُ ما في الوجودِ، والجميعُ كلماتُ اللهِ التي لا تنفَدُ (لو كان البحرُ مداداً لكلماتِ ربي لنفدَ البحرُ قبلَ أن تنفدَ كلماتُ ربي ولو جئنا بمثلِهِ مدداً)[5] فكما أنّ ذاتَه سبحانَهُ لا تُشبِهُ الذوات، وصفاتِه لا تشبِهُ الصفاتِ، فكذلك قلمُهُ ولوحُهُ وكتابُهُ لا تشبِهُ أقلامَ الخلقِ وألواحَهم وكتبَهم؛ وهل الكتابةُ سوى تصويرِ الحقائقِ، وهل اللوحُ سوى الجوهرِ

---

(١) انظر ينابيع المودة مصدر سابق ج١، ص٩ ★ تقدم شرحها.
(٢) سورة النساء الآية ١٧١.
(٣) نهج البلاغة تحقيق د. صبحي الصالح - دار الهجرة - قم - إيران، ط١، ١٣٩٥، ص٢٧٤.
(٤) سورة يس آية ١٢.
(٥) سورة الكهف - آية ١٠٩.

القابلِ لذلك التصوير؟؟ فلا يذهبَنَّ بكَ الوهمُ فتظنّ أنّ هذا القلمَ مِن حديدٍ او خشبٍ بل هوَ قلمٌ مِن نورٍ، واللوحُ مِن نورٍ، والمدادُ نورٌ، والكلماتُ نورٌ، وحروفُها نورٌ، وتلكَ الألواحُ والكتابةُ فيها بالأقلام هي إفاضاتُ الوجودِ، كما ذُكِرَ مِن ارتسامِ صورِ الموجوداتِ بالعقلِ الأولِ، ثم إفاضتِهِ إياها على النفسِ الكليةِ، ثم إفاضتها على الهيولى، ثم على الطبيعةِ المطلَقةِ ثم... ثم..، فهذا هو نفسُ الإيجادِ والتكوينِ والمثلُ في ذلك محسوسًا هو أن لأفعالِ الإنسانِ عندَ بروزِها مِن عالَمِ غيبِها فيه إلى مَراتبِ شهادتِها منه أربع مراتبَ: تكونُ في غَيْبِ روحِهِ وكأنّها غيرُ مشعورٍ بها لشدةِ الصفاءِ، وهذا كرتبة العِنايةِ الإلهيةِ، وتعالى اللهُ عن الترتيبِ. ثمّ عندَ استحضارِها بالفكرِ تَنزِلُ إلى مخزنِ قلبِهِ، وهذا كرتبةِ الجوهرِ الأول. ثُمَّ عندَ استحضارِها بالصورة تنزِلُ إلى مخزنِ نفسِهِ، وهذا كرتبةِ النفسِ الكليةِ. ثم تنزلُ مشخصةً إلى خَيالِهِ وهذا كرتبة الهيولى الأولى. ثمّ تظهرُ في الخارجِ بتحركِ الأعضاء عندَ إرادة إيجادِها، وهذا كحدوث الموادِ العنصرية، وهذا رتبةُ الجسمِ المطلقِ ثمّ تتكونُ المكوّناتِ كإبراز شتى المصنوعاتِ، وهذا المثلُ مِن أجلِّ الأمثلةِ وأقواها وأصحِّها، إلا أنّ المثَلَ مِن شأنِهِ الدلالةُ على الممثولِ به فقط، والحقيقةُ أدقُّ وأرقُّ، على أنّ تلك الألواحَ والكتابةَ فيها هي كتابُ اللهِ التدوينيّ[1]، وجميعُ ما كوّنَ مِن جميعِ العقول والنفوسِ، بل كلُّ معقول ومحسوس من الأفلاك والأملاك والجمادِ والحيوانِ والنباتِ كتابُهُ التكوينيّ[2]، وإذا تحققتَ الحقائقَ، وتتبعْتَ الطرائقَ، قادَكَ هذا التحققُ والتتبعُ إلى أنَّ الكتابين واحدٌ، وكلُّ واحدٍ مِن أشخاصِ هذه المكوّناتِ آيةٌ مِن آياتِ هذا

---

(١) كتاب الله التدويني: هو القرآن الكريم.

(٢) وكتابه التكويني هو جميع المكونات سماويها وأرضيها، علويها وسفليها معقولها ومحسوسها.

(٣) إنّ بالكسر والتشديد في لغة العرب تفيد التأكيد والقوة في الوجود ولهذا أطلقت الفلاسفة لفظ الإنية على واجب الوجود لذاته سبحانه. من الزمان الوجودي مصدر سابق ص٥.

الكتابِ، أو حرفٌ مِن حروفِ كلماتِهِ، وفيضُهُ لا ينقطعُ فكتابتُهُ لا يتناهى، وهذا التفاوتُ الذي نراهُ بها هو فيما بينَ انفسِها لا فيما بينها بالنظر إلى صانِعها، وحيثُ عَرفْتَ ـ أخذَ اللهُ بيدِنا ويدِكَ ـ تكوينَ هذا الجوهرِ وأنه فعلُ اللهِ الصادرُ عنه الذي لا يشارُ إلى اللهِ إلا بهِ لأنَّ فعلَ اللهِ ليسَ غيرَ ذاتِهِ وليسَتْ إنيتُهُ غيرَ صفاتِهِ، لا فرقَ بينَها إلا مِن جهةِ قيامِهِ بهِ، وأنه اسمُه الأعظم ونفسَهُ الرحمانيِّ والفيضُ المنبسِطُ، فهو اسمٌ دالٌ على معناه، إذ الاسمُ هو ما دَلَّ على المسمَّى، والاسمُ المتعارف عليه عندَنا مِن قبيل الأصواتِ والحروفِ هو الدالُ على هذا الاسم والاسمُ الإلهيُّ هوَ ما دَلَّ على اللهِ سبحانَهُ معَ تعينٍ خاصٍّ مِنَ التعيناتِ الإلهيةِ أو الكونيةِ وأولُ التعيّناتِ الكونيةِ هو هذا الاسمُ المسمَّى بهذه الأسماء كلِّها وبغيرِها، وهو مترفِّعٌ عن آفاقِ الزمانِ والأبعادِ والجهاتِ، وهو أعظم الأسماء الكونيةِ، لا الأسماءِ الإلهيةِ الذاتيةِ كالحياةِ والعلمِ وما أشبَهَ، ومِن هذا الاسمِ خلَقَ اللهُ الأسماء الأخرى الكونيةَ الدالةَ عليه، ولا فرقَ بينَ هذا الاسم وبين معناهُ، إلا أنَّ هذا عبدٌ وهذا ربٌّ. قال ﷺ «أنا أصغَرُ مِن ربي بسنتَينِ»[1] وهاتانِ السنتانِ هما الحدوثُ والإمكانُ إشارةً إلى حقيقتِهِ المصطفويةِ المتحققةِ بتلك المرتبةِ التي تقاعَس عنها جبريلُ الأمينُ في المعراجِ وقالَ «لو دنَوتُ قدرَ أنملةٍ لاحترقْتُ»[2] ولكنَّ هذا الاسمَ ليسَ مِنَ الأسماء الإلهيةِ الذاتيةِ بل حقٌّ مخلوقٌ

---

(١) الدين والإسلام مصدر سابق ص٢٣١. وليست السنتان هنا زمنًا ناجمًا عن دوران الأرض حول الشمس، فقد كان السيد محمد بحقيقته ولا شمس ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، فالسنتان هنا كناية عن مرتبتين من مراتب الإيجاد، فروح محمد ﷺ من نور الله، وجسده من دون ذلك، فعبر عن إيجاد الروح بسنة، وعن إيجاد الجسد بسنة، فكان أصغر من ربه بهاتين السنتين وهما مرتبتا الإبداع والإشارة، أو مرتبتا القدم والحدث، أو البطون والظهور، والله عز وجل هو المسكوت عنه وفوق أن يرتب بمرتبة، ولا يتسع المقام لأكثر من هذا. (اللجنة).

(٢) مشارق أنوار اليقين ـ مصدر سابق ص١٥٧.

بِهِ الأسماءُ الأُخَرُ الخَلقيةُ، والاسمُ الإلهيُّ ليس هو ما في الأوهام العامةِ مِن الحروفِ والكلماتِ، بل هي أسماءُ الأسماءِ، أي أسماءٌ دالاتٌ على اللهِ فظهرَ أنَّ الأسماءَ الإلهيَّةَ التي هي عبارةٌ عنِ الذاتِ المتعيّنةِ بتعيناتٍ كونيةٍ خلقيةٍ حادثةٍ بالحدوث الاسمي، بمعنى تأخرِ التعين عن الذاتِ المطلقةِ. وعلمْتَ هدانا اللهُ وإياكَ أنه كانَ على هذا العقلِ الأولِ، النفسُ الكليةُ، فالنفس الكليةُ دونَ العقلِ الأولِ الذي هو الفيضُ الأولُ معرىً عنِ الصفاتِ، لا يُدرَكُ بوهمٍ، ولا يوقَفُ عليهِ بفكرٍ، يظهرُ العقلُ بالقوةِ، فتبدو النفسُ الكليةُ الكائنةُ مِنها عوالِمُ الأفلاكِ وسكان السماواتِ، وتشرقُ الأنوارُ بإشراقها وتبادِرُ إلى قَبول الأمرِ، فتتكوَّنُ مِن حركاتِها مواضِعها اللائقةُ بها الكائنة عنها ومنها، فتصيرُ الكثائفُ أماكنَ وأجسادًا، واللطائفُ متمكّناتٍ وأرواحًا، ناطقةً بتوحيدِ اللهِ وهذهِ العوالمُ وما فيها بأفلاكِها وسماواتِها وما فيها مِنَ الأنوارِ الروحانيةِ، والأنفسِ المتحركةِ والقُوى الساريةِ في الأماكن الجِسمانيةِ، والأجسام الطبيعيةِ، وسائرِ المخلوقاتِ، مما حوتْهُ الأرضونَ والسماواتُ، كلُّهُ جسمٌ واحِدٌ مُهيَّأٌ لقَبولِ الفيضِ الإلهي، وكلمةُ اللهِ سبحانَهُ تُمِدُّهُ، فأولُ فيض إيجادِها المبدَعُ الأولُ وهو العقلُ الفعّالُ.

ثُمَّ النفْسُ الكليةُ، وهي العقلُ المنفَعِلُ، ثُمَّ الهيولى، ثُمَّ الجسمُ المطلَقُ، ثُمَّ تنبثُّ إلى العالَمِ بأثْرِهِ، فروحُ هذا الجسمِ الذاتُ العليةُ، «الكون جسمٌ وهي فيه روحُ»[1] وعقلُهُ العقلُ الأولُ، ونفْسُه النفسُ الكليّةُ وجسمُه الهيولى الأولى، وطبيعتُهُ الطبيعةُ المطلقةُ، وما سِوى ذلك منَ الكونِ هو بقايا هذا البدَنِ مع أن كلَّ فردٍ من هذهِ العوالِمِ، شخصٌ قائمٌ بذاتِهِ، كأعضاء البدنِ الواحِدِ، كلُّ عضوٍ فيه قائمٌ بذاتِهِ يقومُ بعملِهِ الخاصِّ بِهِ، ومجموعُ الأعضاءِ

---

(١) صدر بيت للمنتجب العاني المصري وهو أبو الفضل محمد بن الحسَن المتوفي عام ٤٠٠هـ. وعجز البيت «نص عليها آدم ونوح».

تمامُ البدَن. ومِن جهةٍ ثانيةٍ إنّ كلَّ رتبةٍ أعلى هي روحٌ لرتبةٍ أدنى، والرتبة الأدنى جسمٌ للرتبةِ الأعلى، فالعقلُ روحُ النفسِ الكليةِ، والنفسُ الكلية جسمٌ له، لأنه يقومُ بها مقامَ الروحِ بالبدن، والنفسُ الكليةُ روحُ الهيولى، والهيولى جسمٌ لها، وهكذا... عَرفْتَ - عرفنا اللهُ وإياك - فيما مَرَّ بكَ مِن فلسفةِ التكوينِ، أنَّ المكوَّنَ الأولَ هو العقلُ، وأنّ هذا الجوهرَ المسمَّى بأسماءٍ كثيرةٍ متنوعةٍ بحسَبِ مفاعيلِه، هو الحقيقةُ المحمديةُ، ولا يعرَفُ اللهُ الا بهذا الجوهرِ، وقرأْتَ قولَهُ ﷺ: «أنا أصغرُ مِنْ ربي بسنتَينِ» وقال ﷺ «أنا الاسمُ الأعظم»[1] و«أولُ ما خَلَقَ اللهُ نوري»[2] وهذا الذي نقلْتهُ لكَ هو ما اتفقَ عليه فلاسفةُ اليونانِ ومَن قبلَهم ومَن بعدَهم إلى الآنَ، وأنا وأنتَ الآن في تحليلِهِ وشرحِهِ والبحثِ عنه، وهكذا سيكونُ شأنُ مَن يكونُ بعدَنا ممن لهم شأنٌ إلى آخرِ الأبدِ، وأنتَ تعلمُ أنّ جميعَ ما أورِدُهُ عليك هو مما أقِفُ دونَهُ مبلبلَ الفكرِ حائرَ العقلِ، أوردْتُهُ عليكَ لنتساعدَ على فهمِهِ ونتعاون على تحليلِهِ، وحيرتي التي أبسطُها لكَ الآنَ هيَ: كيف أنّ النبيّ ﷺ هو العقلُ الأولُ وأولُ نورٍ ابتدِعَ وعنهُ وبهِ كانَتْ جميعُ المكوَّناتِ، وأنه قديمُ القِدَمِ بالنسبةِ إليها، وهو المحدَثُ البشريُ الآكلُ الشاربُ يأتيهِ بالوحيِ مَن هو مكوّنٌ مِن نورِهِ ومخلوقٌ مِن رشحِ فيوضاتِهِ، باتفاقِ الجميع. وأعجَبُ مِن هذا كلِّهِ أنّ هذا البشريَّ المركَّبَ يعلمُ المغيباتِ جميعَها، باتفاقِ الجميع. ويتصرّفُ بالماهياتِ كيف يَشاءُ إحياءً وإماتةً، إفناءً وإعادةً!! أعني على فهمِ ذلك أعانَكَ اللهُ، وارحمني من حيرتي هذه رَحِمَكَ اللهُ. وسوفَ تتبعُ هذهِ الحيرةَ حيراتٌ أمَرُّ وأدهى، وأبهمُ وأدجى، فتأهَّبْ لتنقذني وشمِّرْ لتساعدني.

---

(١) مشارق أنوار اليقين مصدر سابق ص١٥٧.

(٢) ينابيع المودة مصدر سابق، ج١، ص٩.

العِلمُ والجَهْلُ

رأيتُ قبلَ الشروعِ بسَردِ هذهِ الحيراتِ التي أُلِّفَ الكتابُ لأجلِها، أن أنقل لكَ تحديدَهم العلمَ والجهلَ، لأنه على ما أرى تمهيدٌ يُحَلُّ به مُشكِلُ هذه الحيراتِ، أو يعين على حَلِّها، لأنّ العلمَ هو الإنسانيةُ المَحْضَةُ، وإلا فهو تحقيقُ الإنسانيةِ، والجَهلُ هو البهيميةُ المحضة وتحقيقُها. ولأنّ العِلمَ متنوِّعُ الفنونِ والإدراكاتِ مختلِفُ الوسائِلِ والغاياتِ، منه ما يختَصُّ بالمادياتِ ولا يمتُّ إلى الإلهياتِ بصلةٍ، وليس بينَه وبينَها وشيجُ قرابةٍ لا بل ربَّما باعَد منها وأبعَدَ عنها ومنه ما يختصُّ بالإلهيّاتِ ومِن شأنِهِ الكشفُ عن عالَمِ الغيبِ معرِفةً وعِلمًا. وإذا ازدادَ معَ العَملِ بمقتضاهُ، كانَ الكشفُ بِهِ عِيانًا، لا يَحجُبُ صاحبَه عنِ النظرِ حائطٌ كثيفٌ، ولا جَبَلٌ منيفٌ. وهذا هو الذي تُعقَدُ عليهِ الخناصِرُ، وتهوي إليهِ الأفئدةُ المختارةُ، والصفوةُ الأبرارُ. وإذا كانَ اللهُ سبحانَهُ أجلَّ الأشياءِ، فالمعرفةُ بهِ أجلُّ العلومِ. فالعِلمُ على حَدِّ تحديدِهم ذو مراتبَ فمرتبةٌ منهُ فِعلُ اللهِ سبحانَهُ المسمَّى بالمشيئةِ والحقيقة المحمديةِ وغير ذلك كما تقدّمَ. ومرتبةٌ منه الأقلام العاليةُ وهي غيرُ القلمِ الذي هو المشيئةُ. ومرتبةٌ مِنْه الألواحُ النورية وهي غيرُ اللوح المحفوظِ الذي هو النفسُ الكليةُ وله مراتبُ أُخَرُ بحسَبِ ترتيبِ أشخاصِ عالَمِ النورِ، وهذا العلمُ بهذهِ المراتبِ لخَفاءِ الماهياتِ فيها، وظهورِها بأنفسِها، وإدراكِها لإدراكِها، يُسمَّى علمًا وعقلاً ووجودًا ونورًا، لأنهم لا تركيبَ بهم، فعلمُهم

هو عقلُهم، وعقلُهم هوَ علمُهُمْ، وعلمُهم هوَ وُجودُهم، ونورُهُمْ هو علمُهُم... وهكذا. والغرَضُ الآنَ هو تحديدُ العلمِ عندَنا، فالعلمُ عندَنا يطلَقُ على مطلقِ الإدراكاتِ الإنسانيةِ، جزئيةً كانَتْ أو كليةً، تقليديةً كانَتْ أو بُرهانيةً، ويُطلقُ على الفنونِ والصناعاتِ جميعًا، وعلى الملكةِ الحاصلةِ للإنسانِ مِنَ الممارسةِ عِلمًا وعمَلاً. والمقصودُ منه تهذيبُ النفسِ فقطْ، وتهذيبُ النفسِ روحانيًا غيرُ تهذيبها ماديًّا، والعِلمُ المهذِّبُ روحانيًا هو كلُّ ما قادَ إلى اللهِ سبحانَهُ بمتنوِّعِ الأعمالِ والعلوم والصناعاتِ. وما لم يَكُنْ قائدًا إلى اللهِ سبحانَهُ فَهو قائِدٌ لِسواهُ وما قادَ لِسوى اللهِ فهو جهلٌ، وإنْ كانَ هذا الجهلُ باديًا بالصورةِ العلمية المعلومةِ فهو جهلٌ مشابهٌ للعِلمِ.

ويعسُرُ كثيرًا التفريقُ بينَ الجهلِ والعِلمِ مِن هذه الناحيةِ إلا بما ذكرْنا. والمرءُ ما لم يخرُجْ مِن أسرِ نفسِهِ وهواها ونوازعها، ولم يبلغ حدَّ التسليم والاستماعِ الذي هو أولُ درجاتِ العِلمِ، إلى أنْ يبلغَ حدَّ التحقيقِ مستغنيًا عن التقليدِ، لا يمكن له إدراكُ الحقائقِ العلميةِ الإلهيةِ، ولا إدراكُ ظهورها بنزولِها عن صورِ حقائقها الأولى النوريةِ. فالنبواتُ والرسالاتُ ظهورُ تلكَ الحقائقِ العلميةِ، وإذا لم يكن العلمُ هكذا فإنّه لا يتعدى الرسومَ ونقشَ الكتابةِ، وما لا يتعداها فليسَ علمًا. ولذلك كانتِ العلومُ والإدراكاتُ متخالفةً، والعلمُ والجهالاتُ متشابهةً غيرَ متمايزةٍ الا عندَ مَنْ عرَفَ أنّ العلمَ هو كلُّ ما أدى إلى اللهِ فقط، وعرَفَ أنّ الجهلَ هو كلُّ ما أبعَدَ عنِ اللهِ، وعرَفَ أيَّ الإدراكاتِ يؤدي إلى العِلمِ المؤدي إلى اللهِ، وأيَّها يؤدي إلى الجهلِ المؤدي إلى إبليسَ وهذا معنى ما وردَ مِنَ الأحاديث: «ربَّ عالمٍ قتلَهُ جهلُهُ وعلمُهُ معَه لا ينفعُه»[1] و«شرُّ الشرِّ شرارُ العلماءِ»[2] و«ربَّ متعلّم

(١) شرح النهج مصدر سابق مجلد خامس ص٣٨٤.
(٢) بحار الأنوار ج، ص١١٠.

للفقهِ كان عبدًا للشيطانِ»[1] وما أشبَهَ. فعلى هذا كلُّ ما أدّى إلى اللهِ فهو علمٌ وإلا فهو جهلٌ. فمَن تعَلّمَ السحرَ لإبطالِ السحرِ وحِفظًا للدينِ كانَ إدراكُهُ عِلْمًا، ومَن تعلم الفقه ولم يقصَد بهِ العمَلَ للهِ فهو جهلٌ، والحاصِلُ ما كانَ سببًا للإدبار عنِ الرزائل والإقبال على الفضائل فهو علمٌ وإلا فهو جهلٌ. قال ﷺ: «إنما العلمُ ثلاثةٌ: آيةٌ محكمةٌ، أو فريضةٌ عادلةٌ، أو سنةٌ قائمةٌ، وما خلاهنّ فهوَ فضلٌ»[2] يشيرُ بالآيةِ المحكمةِ إلى العلومِ العقلية، وبالفريضةِ العادلةِ إلى العلومِ النفسيةِ المتعلقةِ بالرزائِلِ والفضائِلِ، وبالسنَّةِ القائمةِ، إلى العلوم القالبيةِ الشرعية. وقسَّمَ الصادقُ عليهِ السلامُ طلبَةَ العلمِ إلى ثلاثةٍ: «قسمٍ كلُّـهُ للجهـلِ والمِراءِ، وقسمٍ للاستطـالـةِ والختـلِ، وقسمٍ للفِقـهِ والعلمِ»[3]. وليسَ العلمُ علمًا إلا إذا رافقَه الإدراكُ، فالإنسانُ خُلِقَ ذا مَعارفَ ومداركَ، ولولاهما لكانَ مع وفورِ الحواسِّ الخمسِ، كالحيوانِ الصامتِ، فكم مِن ذي عينٍ وأذنٍ هو أعمى وأصَمُّ ومِن ذي أنفٍ أشمَّ لا يُحسِنُ التنسُّمَ والشمَّ، بل حقيقة الإدراكِ حضورُ المدرَكِ عندَ المدرِكِ، ولا يكونُ هذا الحضورُ إلا بضربٍ مِنَ الاتحادِ، ونحوٍ من الإحاطةِ فالنفسُ بتوسُّطِ الحواسِّ الخمسِ التي هي آلاتٌ لها ومتحدةٌ بها تصِلُ لِغايتِها، المرادَةِ مِنها، والإدراكُ لا يَحصَلُ مُطلَقًا إلا أن يكونَ المدرَكُ مِن جِنسِ المدرِكِ، ولذلكَ جعَلَ اللهُ النفسَ ذاتَ جهتَينِ: جهةٍ ماديةٍ وهي الحواسُ الخمسُ كالعينِ مثلاً تَنْطَبِعُ بها صورُ الأجسامِ الماديةِ، وتتحدُ مَعها بهذا النحوِ نوعًا من الاتحادِ. وجهةٍ روحانيةٍ بسيطةٍ، وهي قوةُ الإبصارِ التي أودعتها الحكمةُ في تلك الجارحةِ لتقدِرَ على تجريدِ صور الجسمانياتِ كي تتحد مع النفسِ. ولذلكَ كانتِ النفسُ الجزئيةُ كالنفسِ الكليةِ ذاتَ طرفين: طرَفٍ أدنى وهو

(١) بيان السعادة ج١، ص١٢٦.
(٢) التكامل في الإسلام، ج٣، ص٢٠.
(٣) بيان السعادة ج١، ص٦ وص١٢٧.

ما اتصلَ بالأجسام على هذا الشكل المذكور، وطرفٍ أعلى وهو ما اتصلَ بالمجرّدات. وحضورُ المدرَكِ عندَ المدرِك لا يكونُ إلا باتحادٍ ما، ومُحالٌ أن يحصَلَ إلا معَ المناسبة والسنخيةِ، ولا يتحدُ المتناقضانِ، ولا يمتزِجُ المتباينانِ، وما لم يتنزلِ العالي إلى صورةِ الداني، أو يتجرد الداني مرتفعا إلى صورةِ العالي لا يتمُّ إدراكٌ. والمثالُ على ذلكَ أن العطشانَ لا يذهبُ ظمؤهُ بتصوُّرِ الماءِ، ولا بحضورهِ عندَه، بل يذهبُ بشربهِ إياه وجريانِهِ في عروقِهِ، ولا ينافي ذلك عدمَ الإحاطةِ بالمدرَكِ إحاطةً تامّةً، فلا يعلمُ الشيءَ بحقيقتِهِ وكنهِهِ إلا عِلتُهُ، ولذا فسّروا الفِقهَ بأنه (طَلَبُ علمٍ دينيٍّ يُتوَصّلُ به إلى علمٍ آخرَ)[1] وبعبارةٍ أخرى «الفقهُ هو الإدراكُ الذي يرفعُ الإنسانَ مِن حضيضِ نفسِهِ إلى أوجِ عقلِهِ، ومن دنياهُ إلى آخرتِهِ، وتفسيرُ الفقهِ بالمسائِلِ الدينيةِ الفرعيةِ عن أدلّتِها التفصيليةِ محضُ مواضَعةٍ اصطلاحيةٍ. هذا هو معنى ومفادُ العِلمِ والجهلِ. ولا أراني مارًّا بموضوعٍ في هذهِ العُجالةِ إلا وملؤه الحيرةُ والدهشةُ، إلا هذا الموضوعَ، فإنه كلُّه حقائقُ راهنةٌ واضحةٌ وأمورٌ متحققةٌ بيّنةٌ فادرسْهُ، وإن كنْتَ على بيّنةٍ منه فأرشدْني إلى خطئي أرشدَكَ اللهُ.

---

(١) بيان السعادة. ج٢، ص٢٧٠.
والفقه هو الإدراك الذي يحرّك الإنسان من حضيض نفسه إلى أوج عقلِهِ ومن دنياه إلى آخرته، فإن كان كذلك كان فقهًا وإلا فلا. وفي «التعريفات» هو: الوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم، وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل ولهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى فقيهًا لأنه لا يَخفى عليه شيء.

الرُّمُوز[1]

إنَّ الموالي الكرامَ والأنبياءَ جميعًا (ص) والفلاسفةَ الإلهيينَ أعطوا أسرارَهمُ الإلهية تحتَ رموزٍ تتضمَّنُ إشاراتٍ إلى تلكمُ الأسرارِ فتكون تلكَ الرموزُ سمَرًا للرعاعِ يأخذونها دينًا ومعتقدًا، ومواضعَ بحثٍ واستقراءٍ للعلماءِ والفلاسفةِ، وذلك لأنَّ العقولَ البشريةَ تتباينُ بالاستعدادِ، وتتفاوتُ بالقَبولِ، فلا يجوزُ إعطاءُ الجميعِ الأسرارَ الإلهيةَ بشكلٍ وهيئةٍ واحدةٍ، بعدَ هذا التفاوتِ والتباينِ، فإعطاءُ الأسرارِ يجبُ أن يكونَ بالتدريجِ بما يتناسبُ معَ العقلِ والمدَاركِ، ولذا ترى القرآنَ الكريمَ والأحاديث الشريفةَ والمأثورَ عنِ القدماء تكثُرُ فيها الأمثال والرموزُ والإشارات كقصةِ آدمَ، وأكلِهِ من الشجرةِ[2] التي نهاهُ اللهُ عَن أنْ يأكلَ منها. هل يُعقَلُ أن تكونَ الشجرةُ التي

---

(١) الرمز معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهله. انظر اللمع لأبي نصر الطوسي حققه د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ١٩٦٠م. دار الكتب الحديثة بمصر - ص٤١٦.

(٢) جاء في البرهان أن الشجرةَ التي نهى الله آدم وزوجته أن يأكلا منها هي شجرة الحسد. البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني مؤسسة الوفاء - بيروت - ج٢، ط٣، ١٩٨٣. ص٦. فالشجرة رمز وكل رمز لا يفهم إلا بالتأويل، وقد تعني الشجرة المعرفة وقد تعني الجهل... وغير ذلك. قال تعالى: «مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة» سورة إبراهيم آية ٢٦. فالشجرة الخبيثة هنا ترمز إلى أعداء النبي وآل بيته عليهم السلام، البرهان في تفسير القرآن مصدر سابق - المقدمة ص١٩٦. وقال تعالى «ألم ترَ كيف ضرب الله مثلاً =

أكلَ منها آدمُ شجرةَ الحنطةِ أو التفاحِ أو غيرَها كما ذكرُوا باختِلاف رواياتِهم وإنما منعَ اللهُ آدمَ منها لِئلا تفسُدَ في جوفِهِ، مع أنَ اعتقادَهم أنَّ ثمارَ الجنةِ خلافُ ما في الدنيا، وأنَّ الأكلَ يترشَّحُ عرَقًا طيِّب الرائحةِ من بطنِ آكلِهِ؟؟! فكيف خصَّتْ هذه الشجرةُ وحدَها بالقذى والأذى مِن دونِ أشجارِ الجنةِ، وكيفَ اشتاقَ آدمُ ما نهاهُ اللهُ عنه، وهو الذي خَلَقَهُ بيدِهِ، وجعلَهُ صفوتَهُ، وأسجَدَ له ملائكتَهُ، وجعَلَهُ أولَ فطرتِهِ، وعلَّمَهُ الأسماءَ كلَّها، وجمعَ له عِلمَ الروحانيينَ والجسمانيينَ، وكيفَ يأكُلُ مِنَ الشجرةِ بإغراءِ حَوَّاءَ ووسوسةِ الشيطانِ (فبدَتْ لهما سوءتُهما)[1] وهبَطا إلى الأرضِ، وكقصةِ سليمانَ وخاتمِهِ[2]، فقد جعَلَ اللهُ مُلْكَ سليمانَ في خاتَمِهِ، فإذا لبِسَه حَضرَتْهُ الإنسُ والجنُّ، والطيرُ والوحشُ، وحملتْهُ الريحُ على بساطِهِ بالجميعِ حتى الدوابِّ والخيلِ فاحتالَ شيطانٌ فسرَقَ الخاتَمَ فانتقَلَ المُلْكُ إليهِ، ولكنّه خاف أنْ يعرَفَ. فيُبطَشَ به، فألقى الخاتمَ في البحرِ، فرجعَ إلى سليمانَ مِن بطنِ سمكةٍ، فطلَبَ سليمانُ ذلكَ الشيطانَ ومَن معَه، وحبَسهمْ في الماءِ والصخورِ إلى يومِ القيامةِ. وكقصةِ داوُد[3] وتصورِ الشيطانِ له بصورةِ طيرٍ جميلٍ وقطع داوُدَ صلاتَهُ يتطلّبُهُ مِن دارٍ إلى دارٍ، حتى أشرفَ على دارِ «أوريا» فعشِقَ زوجتَه وأرسلَه معَ الجيشِ وأمَرَ القائدَ أن يقدمَهُ في الحربِ ليُقتَلَ. وكقصةِ هاروتَ[4] وماروتَ ونزولِهما الى الأرضِ وتعشقِهما امرأةً

= كلمةً طيبة كشجرةٍ طيبة» سورة إبراهيم آية ٢٤. فالشجرة الطيبة هنا ترمز إلى النبي وآل بيته من مقدمة البرهان، ص١٩٦.

(١) سورة الأعراف آية ٢٢.

(٢) قصة سليمان وخاتمة مفصلة في بيان السعادة، ج١، ص١٢٠ وهي من مرموزات القرآن فهي صحيحة بتأويلها لا كما يرويها العامة من الناس، وتجدها موجزة في كتاب إثبات الوصية ـ للمسعودي، ص٧١، ج٤.

(٣) قصة داوُد(ع) هي أيضا رمز كغيرها، تجدها في كثير من تفاسير القرآن الكريم منها مجمع البيان في تفسير القرآن ج٨، ص٤٧٨. والتسهيل لعلوم التنزيل ج٣ ص١٨٢.

(٤) قصة هاروت وماروت مفصلة في البرهان في تفسير القرآن، ج١، ص١٣٦-١٣٧.

جميلةً، وسجودها للصَّنَم وقتلِها النفسَ المحرمةَ وشربها الخمرةَ لتمكّنَها مِنْ نفسِها، وغيرِ ذلكَ مما نسبُوهُ من الكبائرِ للأنبياءِ مما ينافي عصمتَهم، كلّ هذا وأشباهُهُ أرادوا بهِ التنبيهَ على المعاني الغيبيةِ المشهودةِ لهمُ الغائبةِ عنِ الناسِ، فأخذها العامةُ سمَرًا وعقيدةً، ولم يُدركوا منها إلا ظاهرَ قِصَصِها، فنسبوا إلى الأنبياءِ ما يتنافَى معَ بعثاتِهم، ولبطلانِ ظاهرِها وصحةِ حقائِقِها، وردَ عنِ الموالي الكرامِ إنكارُها والمعاقبة عليها، وقد خاطَبنا اللهُ نحن عالَمَ البشر بواسطةِ أنبيائِهِ، وهذا ما قالَهُ المولى الصادقُ (ع): «نَزَلَ القرآنُ بمعنى إياكِ أعني واسمعي يا جارة»[1] فمن ذلك قصصُ محمدٍ (ص) بقولِهِ تعالى: «ووجدَكَ ضالاً فهدى»[2] وقولِهِ «ولو تقوَّلَ علينا بعضَ الأقاويلِ لأخذْنا منه باليمينِ، ثم لقطعنا منه الوتين)[3] وهكذا قصصُ عيسى وذي النونِ وآدمَ ولوطٍ وسائرِ الأنبياءِ (ع) وقد أكثر القرآنُ الكريمُ والحديثُ الشريفُ مِن ايرادِ مثل هذهِ الرموزِ، فمِن ذلك قولُهُ سبحانَهُ: «كشجرةٍ طيبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماءِ تؤتي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذن ربّها»[4] فأين هي هذهِ الشجرةُ الثابتةُ في الأرض الباسقة الفروعِ في السماءِ، تقطَفُ أثمارُها كُلَّ حينٍ؟! وقولُهُ سبحانَهُ (كشجرةٍ خبيثةٍ اجتثتْ مِن فوق الأرضِ ما لها مِن قرارٍ)[5] وقولُهُ سبحانَهُ «شجَرةً تخرُجُ مِن طورِ سيناءَ تنبتُ بالدهنِ وصبغٍ للآكلينَ»[6] وقوله سبحانَهُ: «شجرةٌ تخرج في أصلِ الجحيمِ طلعُها كأنّه رؤوسُ الشياطينِ»[7] وعرّفنا اللهُ سبحانَه تلكَ الأمثالَ أنها للتقريب على

(١) انظر مقدمة البرهان ـ مصدر سابق ص١٨ وص٥٣.

(٢) سورة الضحى ـ آية ٧.

(٣) سورة الحاقة آية من ٤٤-٤٦.

(٤) سورة إبراهيم آية ٢٤-٢٥.

(٥) سورة إبراهيم آية ٢٦.

(٦) سورة المؤمنون آية ٢٠.

(٧) سورة الصافات آية ٦٤-٦٥.

الأفهامِ بقوله تعالى: « ويضربُ اللهُ الأمثالَ للناسِ »[1] وأنتَ تعلمُ أنّ النفوسَ لها غذاءٌ كما للأجسامِ غذاءٌ، فهَلْ يفتحُ بابُ كلِّ هذه الرموزِ بأمثال شرحهم لمثلِ آيةِ « وجعلنا بينَهُم وبينَ القرى التي باركْنا فيها قرىً ظاهرةً وقدّرنا فيها السيرَ، سيروا فيها ليالِيَ وأيامًا آمنين »[2] « فالقُرى الباطنةُ الموالي الكرامُ والقرى الظاهرةُ الرُّسُلُ، والنَّقَلَةُ عنهم شيعتُهم وفقهاءُ شيعتِهم، وتقدير السيرِ فيها ليالي وأيامًا مثَلٌ لما يَسيرُ في الليالي منَ العلمِ في الحلالِ والحرامِ، والفرائضِ والأحكامِ آمنينَ فيها بأخذِها مِن مَعْدِنِها وإلا فإذا كانتِ القُرى الظاهرة هي الشامُ كما شرَحَ بعضُهم، والتي بُورِك فيها قُرى مكةَ، فما وجهُ قولِهِ آمنينَ، وهذه القرى محطُّ قطّاعِ الطُرُق وسَالبي الأموالِ؟! ولولا خَوفي مِنْ أنْ أُطيلَ عليكَ، فأضجرَكَ، لنقلْتُ لكَ من مرموزاتِ الأولينَ كاليونانِ وتعددِ آلهتِهم، والهندِ وإشاراتِهم، والفرْسِ وغيرِهم فإنَّ هذا البابَ كثيرُ الفائدةِ، عظيمُ النفع يفتحُ أمامَ عارفِهِ آفاقًا مِنَ المعارفِ وأجواءً مِنَ العُلوم.

---

(١) سورة النور آية ٣٥.

(٢) سورة سبأ آية ١٨.

حَوْلَ بشَرِيّةِ الأنبياءِ عَلَيْهم السَّلام

بينَ الحنفاء[1] والصابئةِ[2] تدورُ المعاركُ الحاميَةُ حولَ بعثةِ البشَرِ أنبياءَ وعدمِ جوازِها. تزعَمُ الصابئةُ أنَّ الروحانياتِ أُبدِعَتْ إبداعًا فهيَ جواهِرُ مجرّدةٌ وصورٌ بسيطةٌ، وهم منبعُ الخيرِ والبركاتِ، وعلومُهم كليّةٌ يعلمونَ بها المغيباتِ، ويتصرفون في الأجسام الماديةِ، وكلٌّ ما في الأرضِ مِن كلٍّ قُواها كتحريكِ سَحابٍ وهبوبِ رياحٍ وزلازلَ وصَواعِقَ وما أشبَهَ، كلّها تستندُ إلى أسبابٍ مِنْ جهتِها وكلٌّ أفعالها خيرٌ لا يشوبُهُ شَرٌّ ولا فَسادٌ، وهمُ الأسبابُ الأوّلُ، والكلُّ مسبَّباتُهم، والمسبَّبُ لا يساوي السبَب، وهم مبادِىء الموجوداتِ جميعِها، وعالَمُهم عالَمُ المَعادِ، فالمبدأُ مِنهمُ والمعادُ إليهِمْ،

---

(١) الحنفاء ج حنيف وهو المسلم المائل إلى الدين المستقيم، والملة الحنيفية هي المستقيمة المائلة إلى الحق، والدين الحنيف المستقيم الذي لا عوج فيه والحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم (ع) لأنه كان حنيفًا أي مائلاً عما كان يعبده أبوه وقومه من الآلهة إلى عبادة الله الواحد. انظر مقدمة البرهان في تفسير القرآن مصدر سابق ص١٢٨.

(٢) الصابئة: هم الذين زعموا أنهم صبؤوا مِن الأديان إلى دين الله أي مالوا إليه، وقيل أنهم يزعمون بأنهم على دين نوح وقبلتهم مهب الشمال يواجهون القطب، قال القمي: إنهم ليسوا من أهل الكتاب ولكنهم يعبدون الكواكب والنجوم، وقيل يعبدون الملائكة. مقدمة البرهان مصدر سابق ص٢٠٦.

وللتوسع حول ما دار بين الصائبة ةوالحنفاء ـ راجع كتاب الملل والنحل للشهرستاني، ج٢، ط٢، ص٧ـ٤٦.

والإنسانُ المركبُ لا يخلو مِنَ القُوى المتضادةِ، كالشهوةِ والغضَبِ وما أشبهَ مِن طبائعِ المركباتِ، والمتوسطُ بَينَ اللهِ والبشرِ، يَجِبُ أنْ يكونَ كاملاً ليكمِلَ غيرَه، وكمالُ البشرِ بالقوةِ، ولا يخرجُ بذاتِهِ إلى الفعلِ، بل بوسائطَ روحانيةٍ، والشرُّ مَنبعُهُ المادةُ، وعلومُ البشرِ انفعاليةٌ لا فعليةٌ، أيْ مكتَسَبةٌ بالتعلمِ لا مِنْ ذواتِهم وهم كما تراهم متشخصونَ بأشخاصٍ سفليةٍ مركبةٍ من عناصرَ متضادةٍ، بهبوطِ الأرواحِ واتساخِها بأوضارِ المادةِ، ومَحالٌ أنْ تطهَّرَ إلا بالأعمالِ الصالحاتِ فتكون سبَب رجوعِها إلى ما منه بدَتْ، ومع هذا كلِّهِ كيف يجوزُ أن يكلِّمَ اللهُ بشرًا؟! وهل كلامُه مِن جنسِ كلامِنا؟ وكيفَ ينزِلُ مَلَك مِن السماءِ؟ بصورةِ البشرِ؟ أم يتبدّلُ وضعُهُ؟! وهل معاجزُ الأنبياءِ - إنْ صحَّتْ - مِن خواصِّ الأرواحِ، أم مِن خواصِّ المادة؟.... والكتبُ المنزَلَةُ عليهِم أهيَ كلامُ اللهِ؟ وكيف يُتَصَوَّرُ أن يكونَ له كلامٌ؟

ويقول الحنفاءُ: ليسَ الروحانيُّ المبدَعُ أشرفَ مِنَ البشريِّ المختَرعِ. فالروحانيُّ أمرٌ واحِدٌ، والجسمانيُّ أمرانِ وهما نفسُهُ وجسمُهُ، فهوَ مِن حيثُ الروحُ مُبْدَعٌ ومِنْ حَيثُ الجسمُ مخترَعٌ، يساوي الروحانيَّ مِن جهةٍ ويفضلُهُ مِن جهةٍ، ولقوتَيهِ الشهوةِ والغَضَبِ اللتينِ يُذَمُّ بهما الشجاعةُ والتودّدُ، ومِنَ الجسمانياتِ ما هو كاملٌ بالفعلِ وسائرُ النفوسِ محتاجةٌ إليهِ. وما في هذا العالَمِ مِنَ الذواتِ والأعيان آثارُ ذلكَ العالَمِ، كالشخصِ وظلِّهِ، والمادةُ ليسَتْ سبَبَ الشرِّ، ثمّ إنَّ الإنسانَ المركَّبَ مِنَ المادةِ والصورةِ كالمركَّبِ مِنَ الجوازِ والوجوبِ عندَكم، وما مِن شيءٍ سوى الباري إلا ووجودُهُ مِن نوعِ جائزٍ بذاتِهِ واجبٍ بغيرِهِ، والنفوسُ عندَنا قبلَ المادةِ، وخصوصًا النفوسُ النبويةُ، وقد زعمَ كثيرٌ مِنَ الحكماءِ أنه يوجَدُ أناسٌ سرمديونَ كالظلال حولَ العرشِ وهي مَبدَأُ الوجودِ، ولما أُلبِسَتِ الصورُ البشريةُ لباسَ المادةِ بعثَ اللهُ إليها واحدًا مِن عالمِهِ بلباسِ المادةِ ليُخلِّصَها، لا ليتدنَّسَ بها، والنفوسُ الروحانيةُ كمُلَتْ باقترانِها بالمادةِ وكملَتِ المادةُ بها فكانَ هذا الاقترانُ خيرًا

لا شَرَّ بِهِ، وعلومُ الأنبياء (ص) كليةٌ وجزئيةٌ وفعليةٌ وانفعاليةٌ، لهمُ العلومُ الكليةُ فطرةً، وبملاحظتهم عالَمَ الشهادةِ اكتسبُوا العلومَ الجزئيَّةَ. فأمزجةُ الأنبياء أمزجةٌ نفسانيةٌ، ونفوسُهم نفوسٌ عقلية، وعقولُهم عقولٌ أمريةٌ، وليسَ لهم إحاطةٌ بعلمِ باريهم، بل لكلٍّ منهم مطرَحُ نظرٍ ومسرَحُ فكرٍ ومجَالُ عقلٍ. فعالَمُ الروحانياتِ بالنسبةِ إليهم شهادةٌ، وبالنسبةِ لنا غيبٌ، واختيارُ الروحانيِّ إذا كانَ مقتصِرًا على أحدِ طرَفي الخيرِ والشرِّ، وهما جانبٌ للرحمٰن وجانبٌ للشيطانِ، فإذا اختارَ جانبَ الرحمنِ كانَ أفضلَ، وليسَ اختيارُ الأنبياءِ كذلك فهو مقصورٌ على الصلاحِ، وللهِ سُنَّتانِ في خلقِهِ وهما الخلقُ والأمرُ[1]؛ السُّنةُ الأمريةُ، هي قولُهُ للشيءِ «كنْ فيكون»[2] أقدمُ مِنَ السُّنةِ الخلقيةِ، وهي الخلقُ المركَّبُ أي عالَمُ البشرِ (ألا لهُ الخلقُ والأمرُ)[3]. فالأنبياء أشرَفُ مِنَ الملائكةِ، وهذا هو العجبُ العُجابُ، كيفَ صارتِ الروحانية الأمريةُ متوسطةً في الخلقِ، وصارتِ الأشخاصُ الخلقيةُ متوسطةً في الأمرِ، وما ذاك إلا ليُعلَمَ أن الشرَفَ والكمالَ في التركيبِ لا في البساطةِ. واليدُ للجسمانيِّ لا للروحانيِّ، والتوجُّهُ إلى الترابِ أولى منَ التوجُّهِ إلى السماء، وأنَّ آخرَ الفعلِ أولُ الفكرةِ، وأن الفطرةَ لِمَنْ له الخيرةُ وأن المخلوق بيديه[4] لا يكون كالمكوَّنِ بحرفيهِ[5]، والآخِرُ وجودًا من حيثُ الشخصُ هو الأولُ وجودًا مِن حيثُ الروحُ، وأولُ الموجوداتِ محمد ﷺ وهو آخرُ

---

(١) كل ما يجوز عليه المساحة والمقدار والكيفية فهو من عالم الخلق. الأمر عبارة عن شيء من الأشياء لا يكون للمساحة والتقدير طريق إليه، فالإنسان بجسمه من عالم الخلق وبروحه من عالم الأمر. انظر المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي ـ تحقيق الشيخ محمد جابر ـ مطبعة عطايا ـ مصر ـ ص٧٧.

(٢) سورة البقرة ـ جزء من الآية ١١٧.

(٣) سورة الأعراف ـ جزء من الآية ٥٤.

(٤) المراد من المخلوق بيديه عالم الخلق الذي يجوز عليه المقدار والمساحة كجسم الإنسان.

(٥) والمراد من المكون بحر فيه كلمة «كن» الأمرية وعنها صدر عالم الأمر الذي لا تجوز عليه المساحة والمقدار كروح الإنسان.

الأنبياء(١). هذا هو مُجمَلُ رأي الفريقين، ولعلكَ مررْتَ بهِ مرَّ الذكيِّ الحاضِرِ الذهنِ المرهَفِ الحِسِّ، فأعنِّي على فهمِهِ فهمًا عميقًا، فاني أرى بكلا الرأيينِ الصوابَ والخطأ يمتزجانِ امتزاجًا، ويتسايران معًا فكيف يصحُّ للصابئةِ نكرانُ البعثةِ؟ أيصحُّ للبشريِّ المركَّبِ معرفةُ الطريق إلى الله، يحللُ محللاتٍ ويحرِّم محرَّماتٍ ويسُنُّ شرائعَ تتضمَّنُ أوامِرَ ونواهي، لولا الرسلُ مِنَ اللهِ يعلمونَ الناسَ ما أُرسِلوا بهِ، فيكون باتباعِهِمُ السعادةُ الأبديةُ، وبعصيانِهِمُ الشقاوةُ المستمرةُ. فنكرانُ بعثةِ الرسُلِ لا يُقرُّه عقلٌ، ولا يثبتُهُ نقلٌ، وأما فيما عدا ذلك فتتجلّى على كلامِهِمُ البراهينُ الساطعةُ والحُجَجُ الدامغةُ وقد قرأتَها.

وأرى حُجَجَ الحنفاء على قوتِها ومتانتِها ملأى بالاضطرابِ المتضادِّ والتشويشِ المزعزِعِ، بزعمِهم أنَّ البشريَّ أشرفُ مِنَ الروحانيِّ، وزعمِهم أنَّ علومَ الأنبياء كليَّةٌ وجزئيَّةٌ، فكيف يُحجَبُ العالِمُ بالكلياتِ عنِ الجزئياتِ؟ مع أنَّ الكلَّ لا يجوزُ أن يكونَ كلاًّ إلا بضمِّهِ الأجزاءَ، فما حاجةُ الأنبياء لتعلُّمِ العلومِ الجزئيةِ؟ وأغربُ ما في رأيهم أنَّ الأنبياءَ في بشريتِهم سبَبُ وجودِ عالَمِ الأمرِ، وهو عالَمُ الملائكةِ، وأنّ الملائكةَ في بساطتِهم سببُ وجودِ الخلقِ البشريِّ، فالأنبياءُ أشرفُ مِنَ الملائكةِ. وأغربُ منه زعمُهم أنَّ الشرفَ والكمالَ في التركيبِ الذي تعتورُهُ شتّى المنازعاتِ وفنونُ المتضاداتِ، فهو ما بينَ إيمانٍ وكفرٍ، وشكٍّ ويقينٍ ... الخ. لا في البساطةِ التي هي العلمُ الكليُّ، والنورُ المحضُ، وأعجَبُ مِن هذا كلِّهِ زعمُهم أنَّ محمدًا ﷺ هو أولُ الموجوداتِ وأنه الشخصُ البشريُّ الموحَى إليهِ. فأنا مِن كلِّ هذا في حيرةٍ داجيةٍ وبلبلةٍ مُضلِّلةٍ لا أقدرُ أن أستسلِمَ لغيرِ المعقولِ، ولا أقدر على حلِّ

---

(١) جاء في ينابيع المودة أن النبي ﷺ قال: «كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث»، وفيه: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر». ينابيع المودة مصدر سابق ج١، ص٩، وص١٦. وفي مشارق أنوار اليقين: «هو أول الأنبياء بالنور وآخرهم بالظهور» مشارق أنوار اليقين. للحافظ رجب البرسي، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، ط ١، ص١١.

هذه الآراء التي أراها متناقضةً على رأي صحيح، ولذلكَ لجأتُ إليكَ، وأقرنُ إلى ذلك شرحَهم قولَ اللهِ سبحانَهُ: «هذا نذيرٌ مِنَ النذرِ الأولى»[1] بأنَّ اللهَ لما ذرأ الخلقَ في الذرِّ الأولِ قبلَ تكوين البشرِ أقامهم صفوفًا وبعَث محمدًا ﷺ، فدعاهم. وتدبر قولَهُ سبحانه ردًا على المحتجينَ ببعثةِ البشرِ رسلاً بقولهم «وقالوا لولا أُنزِلَ عليهِ مَلَكٌ، ولو أنزلْنا ملكًا لقضي الأمر ثُمَّ لا ينظرون، ولو جعَلْناهُ مَلَكًا لجعلناه رجلاً وللبسْنا عليهم ما يلبسون»[2] وقولَهُ سبحانَهُ: «وما منعَ الناسَ أن يؤمنوا إذ جاءَهمُ الهدى إلا أنْ قالوا: أبعَثَ اللهُ بشرًا رسولاً. قل لو كان في الأرضِ ملائكةٌ يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماءِ مَلَكا رسولاً»[3] وتدبر بعد ذلك خبَرَ المعراجِ، واختلافَهم فيه فمنهم مَن زعمَ أنه لا يعرُجُ إلى السماءِ إلا مَن نزَلَ منها، فعروجُه بروحِهِ لا بجسمِهِ وهو رأيُ الفلاسفةِ والمعتزلةِ، ومنهم مَن قالَ عرجَ بروحِهِ وجسمِهِ، وقالَ أميرُ الشعراءِ في ذلك:

يتساءلونَ وأنتَ أطهرُ هيكلٍ ... بالروحِ أم بالهيكلِ الإسراءُ
بهما سمَوتَ مطهَّرينِ كلاهُما ... نورٌ وروحانيةٌ وبهاءُ[4]

كيف يكون عروج الروحِ منفصلةً عن الجسمِ، ومتى انفصلا وقد اتحدا إلا بالموتِ؟ وكيف يجوزُ ذلكَ الانفصالُ، وإن كان هذا العروج بالتفكرِ، فليسَ له كبيرُ أهميةٍ، لأنه ورَدَ عن بعضِ العارفين أنه قال: «إني أعرجُ في

---

(١) سورة النجم آية ٥٦.
(٢) الأنعام آية ٨و٩.
(٣) الإسراء آية ٩٤و٩٥.
(٤) أمير الشعراء الشاعر الشهير أحمد شوقي. والبيتان من قصيدته الهمزية النبوية التي مطلعها «ولد الهوى فالكائنات ضياء».

كلَّ يومٍ سبعينَ مرةً»[1] أم كيفَ يجوزُ العروجُ ببدَنٍ كثيفٍ يخترقُ السماواتِ، ودليلُهُ جبريلُ حتى يصلا إلى موضعٍ لا يجوزُ للملكِ أن يجتازَهُ فيقولُ لمحمدٍ ﷺ «لو دنوتُ قدرَ أنملةٍ لاحترقْتُ»[2] أتكونُ بشريةُ محمدٍ ﷺ ألطفَ مِن نورانيةِ جبريلِ الأمينِ ؟! تدبر ذلك جيدًا وأعطني ما يتضحُ لكَ ـ أعطاك اللهُ ـ وأضِفْ إلى ذلكَ صفاتِهِ ﷺ. اتفقَ الجميعُ أنه «لم يُرَ له فيء» في قمَرٍ ولا ظِلٍّ في شمسٍ»[3] وأنَّ نورَ وجهِهِ ﷺ يغلِبُ نورَ المصباحِ»[4].

«وإذا مشى معَ الطوالِ طالَهم»[5] وإذا مشى معَ القصارِ لم يَبِنْ منهم، «يُبصِرُ مِن ورائِهِ كما يُبصِرُ مِن أمامه»[6]، «ينطقُ بلغاتٍ كثيرةٍ»[7] يسمعُ في منامِهِ ويجاوبُ على ما يَسمعُ كما يسمَعُ في يقظتِهِ»[8] «تنامُ عيناهُ ولا ينامُ

---

(١) (٢) بيان السعادة مصدر سابق، ج٢، ص٤٣٢.

(٣) انظر نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار للشيخ مؤمن بن حسن الشبلنجي، دار الفكر ـ القاهرة ١٣٦٨هـ، ص٢٧. وانظر بحار الأنوار للشيخ محمد باقر المجلسي ـ مؤسسة الوفاء ـ بيروت ط٢، ج١٧، ص٢٩٩ وقال ابن سبع كان ﷺ نورًا فكان إذا مشى في الشمس أو القمر لا يظهر له ظل لأن النور لا ظل له... وعن ابن عباسٍ لم يكن له ﷺ ظل في شمس ولا قمر لأنه كان نورًا» انظر السيرة النبوية والآثار المحمدية تأليف الإمام أحمد زيني المشهور بدحلان ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ المجلد ٢، ط٢، ص٢٥٤.

(٤) بحار الأنوار مصدر سابق ج١٥، ص٣٧٣ وعن ابن عباس: لم يقم ﷺ مع السراج قط إلا غلب ضوءه السراج. السيرة الدحلانية مصدر سابق ج٢، ص٢٥٤.

(٥) انظر نور الأبصار مصدر سابق ص٢٧ وانظر شرح نور اليقين ي سيرة سيد المرسلين ـ تأليف الشيخ محمد الخضري ـ دار الزهراء للتأليف، ط١، ١٩٦٢، ص٢٤٦. وعن عائشة: لم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول الإطالة أو زاد عليه ـ السيرة الدحلانية، ج٢، ص٢٥٢.

(٦) نور الأبصار مصدر سابق ص٢٧ وانظر شرح نور اليقين مصدر سابق ص٢٤٧.

(٧) لقد كان رسول الله يقرأ ويكتب باثنين وسبعين أو بثلاثة وسبعين لسانًا». انظر بصائر الدرجات الكبرى مصدر سابق ص٢٤٦.

(٨) بحار الأنوار مصدر سابق ج١٧، ص٢٩٩.

قلبُهُ»[1] لم يُرَ له نجْوٌ»[2] إلى كثيرٍ مِن هذهِ الأوصاف العجيبةِ الغريبةِ، أضفْ إلى ذلكَ أحاديثَهُ الشريفة عن نفسِهِ ﷺ سُئِلَ متى كنْتَ نبيًا؟ قالَ «كنتُ نبيًّا وآدمُ بينَ الروحِ والجسَدِ»[3] وقولُهُ ﷺ: «أولُ ما خلقَ اللهُ روحي» و«أولُ ما خلقَ اللهُ نورُ نبيِّكَ يا جابرُ» والمرادُ مِن هذه الأحاديثِ الكريمةِ كلِّها الحقيقةُ المحمديةُ وهي روحُ النبيِّ ﷺ. هذا قولُ الجميعِ وهذه رواياتُهم ولا أدري كيف يكون هذا الأولُ المخترَعُ مِن نورِ اللهِ، ولا يعرَفُ اللهُ ولا يشارُ إليهِ إلا بهِ وهو أصلُ التكوينِ ومصدرُ المكوناتِ، جوهرِها وعرضِها، ومجردِها وبسيطِها معقولِها ومحسوسِها. لا أدري كيف يكونُ هذا البشريَّ الآكِلَ الشاربَ، فأعِنّي على فهم ذلك أعانك اللهُ. استأذنَهُ عمُّه العباسُ في أن يمدحَه فأذِنَ له فقالَ:

مِـن قبلِهـا طبْـتَ في الظلالِ وفي ... مستـودَعٍ حيـثُ يُخصَـفُ الورَقُ
ثُـمَّ هبطَـتَ البلادَ لا بشَـرٌ ... أنـتَ ولا مضغـةٌ ولا عَلَـقُ
وردْتَ نـارَ الخليـلِ مكتتِمًـا ... تجـولُ فيهـا وليـس تحـترِقُ[4]

هذا عدا ما هنالكَ من المعجزات كإروائِهِ العسكَرِ والماءُ يفيضُ مِن بين أصابعِهِ[5] «وتسليمِ الغزالِ عليهِ»[6] «واشتكاءِ الغزالةِ له»[7] «وإحيائِهِ الموتى»[8]، «وانشقاق البدرِ»[9]، «وعلمه بالمغيباتِ»[10] مما يصعُبُ تتبعُهُ وحصرُهُ، ولهذا يقولون إن معاجزَ الأنبياءِ جميعًا له. وقالَ الشاعرُ به:

---

(١) شرح نور اليقين مصدر سابق ص٢٥٠.
(٢) بحار الأنوار ج١٥، ص٣٩١ وج١٧ ص٣١٥.
(٣) ينابيع المودة مصدر سابق ج١، ص٩.
(٤) نفس المصدر ص١٢.
(٥ و٦) انظر حدائق الأنوار ومطالع الأسرار تأليف ابن الديبع الشيباني الشافعي ـ تحقيق عبدالله الأنصاري ص٢٣٧.
(٧ و٨ و٩ و١٠) نور الأبصار مصدر سابق ص٣٤-٦٦.

وسمَت باسمِهِ سفينةُ نوحٍ   فاستقامَتْ به على مجراها
وبهِ نالَ خلةَ اللهِ ابراهيمُ   م والنارَ باسمِهِ أطفاها
وبسرٍّ له سرى في ابن عمرا   نَ أطاعَتْ تلكَ اليمينَ عصاها
وبهِ سخَّرَ المقابرَ عيسى   فأجابَتْ نداءَه موتاها[1]

ولو تتبعْنا هذا البابَ لكانَ بذاتِهِ كتابًا ضخمًا ، فتدبر هدانا اللهُ وإياكَ.

---

(١) هذه الأبيات من قصيدة طويلة تعرف بالأزريّة نسبة إلى قائلها الشاعر محمد كاظم الأزري البغدادي التحيمي (١١٤٣-١٢١١هـ) وتبلغ هذه القصيدة ألف بيت والمطبوع منها ٥٨٧ بيتًا ومطلعها:

لمن الشمسُ في قبابِ قباها   شُفَّ جسمُ الدجى بروحِ ضياها

الظّاهِر والباطِنُ

اتفقَ الجميعُ من الفلاسفةِ الإلهيينَ أن الله سبحانَهُ ببديع حِكمتِهِ وعميمِ لُطفهِ خلقَ الأشياءَ كلَّها ذواتِ ظواهرَ وبواطنَ، وقشورٍ ولباب، ويعرَفُ باطنُها مِن ظواهرِها فقط كالجسمِ والروحِ واللفظِ والمعنى، وهذا مما يؤكدُ لنا تأكيدًا تامًا تعلقَ الروحانياتِ بالمادياتِ والمعقولاتِ بالمحسوساتِ وأن قيامَ كلِّ محسوسٍ بمعقولِهِ، وكلَّ ماديٍّ بمجرَّدِهِ وليس لدينا متسعٌ لخوضِ هذا البابِ، واكتِناهِ مُعمِيَّاتِهِ، واستجلاءِ غوامضِهِ، وقَد تقدم منه بالمقدّمةِ طرَفٌ يكادُ يكونُ مغنيًا، بلِ المرادُ منه الآنَ أن نتعاونَ على فهمِ ما ورَدَ عنِ الفلاسفةِ الإلهيينَ ودلالتِهم على أنّ للعلومِ الإلهيةِ باطنًا هو المرادُ بظاهرِها وهذا الظاهرُ دالٌّ عليه، وقائدٌ إليهِ، فإذا عرفَ الإنسانُ ظواهرَها وتخلى عن بواطِنها ومعاني إشاراتِها، فقد عَرفَ ما لا ينفعُهُ، فظواهرُ العلومِ الدينيةِ متعلقٌ بظواهر الأجسامِ ولها وضعَ ومِن أجلِها نُصِبَ، وبواطنُ العلومِ الدينيةِ موضوعٌ للنفسِ القابلةِ للعلومِ الإلهيةِ ولها وضعَ ومِن أجلِها نُصِبَ، وبواطنُ العلومِ الدينية موضوعٌ للنفسِ القابلةِ للعلومِ الإلهيةِ فهيولى العلومِ الظاهرةِ الأجسامُ، تقومُ عليها وتتركبُ منها، وهيولى العلومِ الباطنة الروحُ اللطيفةُ، تتصوَّرُ فيها صورًا ملكيَّة، تنالُ بها رتبًا سماويةً. والإيمانُ باللهِ هو قَبولُ الدعوةِ الباطنةِ، أو هو تحلّي الظاهرِ بحليةِ الشريعةِ، وتكييفُ الباطِنِ بكيفيةِ الإمامِ المعصومِ التي هي صُورةٌ نازلةٌ مِن ملكوتيةِ السماءِ، تدخُلُ قلبَ

المؤمنِ ، وبها تكونُ آخِرُ فعليَّاتِهِ أي الغايةُ المقصودةُ مِن كلِّ أعمالِهِ، وبها تحصَلُ الأبوةُ والنبوَّةُ بينَ المعصومِ والمؤمِنِ ، وبها تحصَلُ الأخوةُ بينَ المؤمنين، وبها تحصَلُ معرفةُ الإمامِ بالنورانيةِ، وبها تشرقُ الأرضُ بنورِ ربِّها، وقد أيّدَ الموالي الكرامُ هذه النظرةَ، ومنهم أخِذَت وعنهم صدرَتْ. وعنِ الإمامِ الصادقِ: أنّ قومًا آمنوا بالظاهرِ وكفروا بالباطِنِ فلم ينفعهمْ ذلك شيئًا. إذ لا إيمان بظاهرٍ إلا بباطنٍ ، ولا بباطنٍ إلا بظاهرٍ »[1]. والمعرفةُ على وجهَين : معرفةٌ ثابتةٌ على بصيرةٍ يعرَفُ بها دينُ اللهِ، فهذه المعرفةُ الباطنةُ الثابتةُ بعَينِها، الموجبُ حقُها المستوجبُ أهلُها عليها الشكرُ للهِ، الذي مَنّ عليهم بها منًّا مِنَ اللهِ مع المعرفة الظاهرةِ، فأهلُ المعرفةِ بالظاهرِ الذين عرَفوا أمرَنا بالحقِّ على غيرِ علمٍ بهِ، لا يلحقون بأهلِ المعرفةِ بالباطِنِ على بصيرتِهم »[2] وعنه أيضًا : « مَنْ عرَفَ أطاع، ومَن أطاع حرَّمَ الحرامَ جميعَهُ، ولا يكونُ تحريمُ الباطِنِ واستحلالُ الظاهرِ، إنما حرَّم اللهُ الظاهِرَ بالباطن والباطنَ بالظاهرِ جميعًا معًا، وكذلكَ لا يستقيمُ أن يعرف صلاةَ الباطنِ ، ولا يعرف صلاة الظاهِرِ، ولا الزكاة ولا الصومَ ولا الحجَّ ولا العُمرةَ ولا المسجدَ الحرامَ ولا جميع حرماتِ اللهِ ولا شعائرَ اللهِ لأنَّ أحدهما لا يستقيمُ إلا بصاحبِهِ »[3]. وعنهم مِثلُ هذا كثيرٌ وكثيرٌ، وتعليلُ هذا عندَهم هو كما ذكرْتُ لكَ مِن أنّ جميعَ الأشياءِ لها ظواهِرُ وبواطنُ كما ورَدَ « إنَّ للقرآنِ باطِنًا وباطنًا إلى أنْ عدَّ سبعةَ أبطُنٍ »[4] وقد فُرِضَ باطِنُ الشرعِ وظاهرُهُ، لأنَّ الإنسانَ مركَّبٌ مِن نوعينِ : معقولٍ ومحسوسٍ ، معقولهُ العقلُ والنفسُ، ومحسوسُهُ سائرُ أجزاءِ البدنِ، ولاتحادِ محسوسِهِ بمعقولِهِ صارَ تكليفُهُ الإلهيُّ محسوسًا ومعقولاً ،

---

(١) مقدمة البرهان في تفسير القرآن ـ مصدر سابق ـ ص١٢ .
(٢) صحيفة الأبرار مصدر سابق ج١ ، ص٢٩١ .
(٣) صحيفة الأبرار ومقدمة البرهان ص١٤ ، ج١ ، ص٢٩٢ .
(٤) بحار الأنوار ج٤٠ ، ص١٥٧ .

فالمحسوسُ هذه الأوامِرُ الشرعيةِ مِن صلاةٍ وصيامٍ وسائِرِ ما فُرِضَ وما سُنَّ، والمعقولُ مِن التكليفِ هو معرفةُ هذه الأشياء روحانيًا كما مَرَّ عن الصادقِ عليه السلامُ، وسيمرٌّ بكَ: «أنهم باطنُ التكليف»[1] ولأنَّ عوالمَ الغيبِ مِن نورٍ بسيطٍ وجوهرٍ مجرّدٍ لا تركيبَ فيه، كانَت صلاتُهم وسائرُ أعمالِهم بسيطةٌ لا تركيبَ فيها ولا نطقَ بل هو تحميدٌ فكريٌّ وتسبيحٌ عقليٌّ كلٌّ بحسبِهِ. «وإنْ مِنْ شيءٍ إلا يسبِّحُ بحمدِهِ ولكنْ لا تفقهونَ تسبيحَهم إنه كانَ حليمًا غفورًا»[2] ولقد وردَ عنِ الملائكةِ ما معناهُ أنّ شرابَهُم التسبيحُ وطعَامهمُ التقديسُ بما يُفاضُ عليهِم مِنَ الإشراقاتِ المعنوية والفيوضاتِ القدسيةِ، وأما باطنُ ما سوى التكليفِ مِنَ العلومِ فلاختلافِ الاستعدادِ والقبولِ لا يجوزُ أن يُعطَى طالبُ الابتدائيةِ ما يُعطى طالبُ المتوسطةِ، وطالبُ المتوسطةِ لا يُعطى ما يُعطى طالبُ الثانوية. ولذلكَ ورَدَ عنهم شرحُ الآيةِ الواحدةِ لطلابِ مختلِفي الأفهامِ بمعانٍ مختلفةٍ لأنهم أطباءُ النفوسِ يعطونَ الدواءَ على قدرِ الداءِ. ولولا خوفُ الإطالةِ فنضجركَ لأفَضْنا بشرحِ ما هذهِ الأوامِرِ الشرعيةِ مِن تهذيبِ نفوسٍ، وتحسينِ أخلاقٍ وتزيينِ معامَلاتٍ وإخضاعِ هذا الجوارحِ المتوثبةِ وتذليلِها، بسنةِ الشارعِ الأعظمِ صلوات الله وسلامُه عليه وآلِهِ.

---

(١) أي أن ما كلف به العباد من صلاة وزكاة وجهاد وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر له باطن هو النبي.
فمن لم يعرفهم ويقتدي بهم لا تنفعه عبادته، لأن طاعة الرسول طاعة الله وللتوسع ي هذا المعنى (بأنهم باطن التكليف) انظر صحيفة الأبرار، ج١، ص٢٩٠-٢٩٤.

(٢) سورة الإسراء آية ٤٤.



دلالتُه على أهل بيتِه عليه وعليهم الصَّلاة والسلام

مَرَّ بكَ عندَ الحديثِ عن رموزِ الحكماءِ ما جعَلكَ تدرِكُ أنَ أكثرَ الأوامِرِ الإلهيةِ لا تُعطى، ولا يجوزُ أن تُعطى إلا بإشاراتٍ خفيةٍ، وتلويحاتٍ سِريةٍ، لِتفاوُتِ القبولِ وتَبايُنِ العقولِ، ومرَّ بكَ ما عرَّفَكَ أنَّ كلَّ الأشياء لها ظاهرٌ وباطنٌ وكما مرَّ بك في المقدمةِ أنّ للألفاظِ جهتَينِ: جهةَ إطلاقٍ وجهةَ تقييدٍ، مما يساعدُكَ على فهمِ ما سيَأتي مما أَورَدَه الرسولُ ﷺ في أهلِ بيتِهِ عليهم السلامُ، وما جاءَ على ألسنتِهم في الحديثِ عن أنفسِهِم فافتحْ لهذهِ الأحاديثِ ذهنَك وأحضِر لها فهمَكَ، وتدبَّرْ ألفاظَها ومعانيها وظواهرَها وخوافيها وأفهِمْني بعدَ ذلك ما فهمْتَ، وأعلمْني ما علِمْتَ، فإني أرى هذه الأحاديث لها مِنَ السموِّ والرفعةِ ما يجعلُها أجَلَّ مِن أنْ تقدَّرَ، ومِنْ حيثُ الإغراقُ إن كانَ ثمّةَ إغراقٌ بحيثٌ لا تعرَفُ، فهل أنا مُخطىء في معرفتي؟ وزائغُ النظرِ بفهمي؟! أرشدْني أرشدكَ اللهُ. قالَ الرسولُ ﷺ: «مَن سرَّه أن يحيا حياتي ويموتَ مَماتي وأن يسكُنَ جنةَ عدنِ التي وعدَني ربي فليوالِ عليًا وليوالِ وليَّهُ، وليقتدِ بالأئمةِ مِن ولدِهِ مِن بَعدِهِ فإنهم عترتي خلِقوا مِن طينتي ورُزقوا فهمي وعلمي، فويلٌ للمكذِّبِينَ بفضلِهِـم والقـاطعينَ فيهـم صِلتي لا أنالهمُ اللهُ شفاعتي»[1]. وقال ﷺ: «أيُّها الناسُ إني تركْتُ فيكم ما إن

(١) ينابيع المودة ج١، ص١٢٦.

تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدُهما أعظمُ من الآخَر، كتابُ اللهِ حبلٌ ممدودٌ مِنَ السماءِ إلى الأرضِ وعترتي آل بيتي، ولنْ يفترقا حتى يردا عليَّ الحوضَ، فانظروا كيفَ تخلفوني فيهما »[1] وقال ﷺ ألسْتُ أولى بالمؤمنينَ مِن أنفسِهم؟ قالوا بلى يا رسولَ اللهِ. قالَ: إني سائلُكُم عن إثنينِ القرآنِ وعترتي أهلِ بيتي »[2] وقالَ ﷺ: « لا تقدموهما فتهلكوا ـ القرآن والعترة ـ ولا تعلّموهم فإنهم أعلمُ منكم »[3] وقال ﷺ: « أهلُ بيتي فيكم كسفينةِ نوحٍ مَن ركبَها نجا ومن تخلّفَ عنها غرِق »[4] وقال ﷺ: « أهل بيتي فيكم مثلُ بابِ حطة في بني إسرائيلَ مَن دخلَهُ غُفِرَ له »[5] وسئِلَ ﷺ: ما بقاءُ الناسِ بعدَهم؟ قالَ: « بقاء الحمارِ إذا كُسِرَ صلبُهُ »[6] وقالَ ﷺ: « والذي نفسي بيدِهِ لا ينفَعُ عبدًا عمَلُهُ إلا بمعرفةِ حقنا »[7] وقالَ ﷺ « لو أنَّ رجلاً صفَنَ بينَ الركنِ والمقامِ وصلى ألفَ عامٍ وعامٍ وهو مبغضٌ لآلِ محمد ﷺ دخَلَ النارَ »[8] وحسبُكَ مِن هذا كله أنَّ اللهَ سبحانَهُ قد فرَضَ الصلاة عليهم أثناء الصلاةِ كما فرَضَ الشهادتَين، فتاركُ الصلاةِ عليهم كتاركِ الشهادتَينِ، وتاركُ الشهادتينِ صلاتُهُ غيرُ مقبولةٍ. قالَ الإمامُ الشافعيُّ[9]:

يا آلَ بيتِ رسولِ اللهِ حبّكُمُ ... فرْضٌ مِنَ اللهِ في القرآنِ أنزَلَهُ
يكفيكُمُ مِن عظيمِ الشأنِ أنّكمُ ... مَنْ لا يُصَلّي عليكم لا صلاةَ لهُ

---

(١) نفس المصدر ص٢٩.

(٢) المراجعات للإمام عبد الحسين شرف الدين الموسوي ـ دار إحياء العلوم، ط٤، ١٩٥٨، ص٢٠.

(٣) المصدر السابق ص٢٣.

(٤ و٥) ينابيع المودة ج١، ص٢٦.

(٦) المراجعات ص١٢٤.

(٧) ينابيع المودة ج١، ص٧٠ـ وص١٢٨.

(٨) المراجعات ص٣٠.

(٩) ينابيع المودة مصدر سابق ج٢، ص١٢.

قالَ أميرُ المؤمنينَ عليٌّ (ع): «انظروا إلى أهلِ بيتِ نبيّكم فالزموا سمْتَهم، واتبعوا أثَرهم فلن يخرجوكم مِن هدىً، ولن يُعيدوكم في ردى، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا ولا تسبِقوهم فتضلوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا»[1] وقالَ عليهِ السلامُ: «نحنُ الشِّعارُ والأصحابُ والخَزَنةُ والأبوابُ، ولا تؤتَى البيوتُ إلا مِن أبوابِها، فمَن أتاها مِن غيرِ بابِها سُمِّيَ سارقًا»[2] وقال (ع): «اعلموا أنكم لن تعرفوا الرشدَ حتى تعرفوا الذي تركَهُ ولَن تأخذوا بميثاقِ الكتابِ حتى تعرفوا الذي نقضَهُ، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذَهُ، فالتمسوا ذلك مِن عندِ أهلِهِ، فإنهم عَيشُ العلمِ، ومَوتُ الجهلِ، همُ الذين يخبرِكم حكمُهم عَن علمِهم وصمتهُم عنْ منطقِهم، وظاهِرُهم عن باطِنهم لا يخالفون الدين ولا يختلفونَ فيهِ، إلى قولِهِ: هوَ بينَهم شاهدٌ صادقٌ وصامتٌ ناطقٌ»[3]. وقال عليهِ السلامُ: «بنا اهتديتم في الظلماءِ وتسنمْتُم العلياءَ وبنا انفجرتُمْ عنِ السرار»[4] وقال عليهِ السلامُ: «نحنُ شجرةُ النبوةِ ومحَطُّ الرسالةِ، ومختلَفُ الملائكةِ، ومعادنُ العلمِ وينابيعُ الحِكَمِ، ناصرنا ومحبُّنا ينتظِرُ الرحمةَ وعدوُّنا ومبغضُنا ينتظرُ السطوة»[5] وقالَ عليهِ السلامُ: «أينَ الذين زعمُوا أنهمُ الراسخون في العلم دونَنا كذبًا وبغيًا علينا أن رفَعنا اللهُ ووضعَهمْ، وأعطانا وحرَمَهم وأدخلنا وأخرجَهم، بنا يُستَعطى الهدى ويُستجلى العمى»[6] وقالَ عليهِ السلامُ - وهو نهايةُ العجَبِ وغايةُ الاستغراب -: «يموتُ مَن ماتَ منا وليسَ بميتٍ، ويَبْلى مَن بليَ منا وليس ببالٍ، فلا تقولوا بما لا تعرِفون، فإنَّ أكثرَ الحقِّ فيما تنكِرون»[7] وقالَ لكَميلٍ: «لا تأخُذْ إلا عنا تكنْ

(١ و٢ و٣) نفس المصدر ج١ ص٢٤.

(٤) نفس المصدر ج١، ص٣، وانظر المراجعات مصدر سابق، ص١٧، انفجرتم: دخلتم في الفجر. السرار: آخر ليلة من الشهر يختفي فيها القمر.

(٥) المراجعات ص١٧، وبحار الأنوار ج٢٦، ص٢٦٥.

(٦) المراجعات ص١٧ وبحار الأنوار ج٢٣، ص٢٥.

(٧) ينابيع المودة ج١، ص٢٤ والمراجعات ص١٩.

منا »[1] وقالَ الإمامُ الصادقُ (ع) « هَلَكَ أصحابُ الكلامِ إلا مَنْ أخذَ عنا »[2] وقالَ عليهِ السلامُ: كلُّ شيءٍ لا يخرجُ مِن هُنا فهو باطِلٌ وأشارَ إلى بيتِهِ »[3] وسُئِلَ عَن قولِ أميرِ المؤمنينَ: « سَلوني عما شِئتُم فواللهِ لا تسألوني عن شيءٍ إلا أنبأتكم بهِ »[4] فقالَ: « ليسَ أحَدٌ عندَهُ علمٌ إلا بشيءٍ خرجَ مِن عندِ أميرِ المؤمنينَ فليذهبِ الناسُ حيثُ شاؤوا »[5] وقالَ الباقرُ عليهِ السلامُ: « نحنُ جنْبُ اللهِ عزَّ وجلَّ، نحن صفوةُ اللهِ، نحنُ خيرَةُ اللهِ، نحنُ أمناءُ اللهِ، نحنُ مستودَعُ مواريثِ الأنبياءِ، نحنُ حُجَجُ اللهِ، نحنُ حَبلُ اللهِ المتينِ، بنا فتَحَ اللهُ، وبنا يختِمُ، مَنْ تمسَّكَ بنا نجا، ومن تخلّفَ عنا غوى، فمَن عرفَنا وعرَفَ حقَّنا، وأخذَ بأمرِنا، فهو منا وإلينا »[6] هذه نُتَفٌ قليلةٌ كتبْتُها لك لتقرأها متمعِّنًا فتدلّني على هذا القولِ إن كانَ بمحلِّهِ أو كانَ صادِقًا بنهجِهِ فكيفَ يكونُ تحقيقُهُ برجالٍ وُلِدوا وماتوا، وإن كانَ ادعاءً عاديًا فكيفَ صدورُهُ عَن معصومٍ لا شكَّ في عصمتِهِ، مع أننا لم نسمَعْ قولاً كهذا، وبعدُ. فقد أرى أنَّ نهايةَ هذا البابِ هي نهايةُ التمهيداتِ للحيراتِ التي نبتدِىء بها إن شاء الله فاستعدَّ لإنقاذي كما أمّلْتُ منكَ.

---

(١) انظر تحف العقول للشيخ الثقة أبي محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني من أعلام القرن الرابع الهجري - منشورات المطبعة الحيدرية النجف الأشرف ١٣٨٥هـ ص١١٥.

(٢) الاجتجاج ج١، ص١٢٣ وبحار الأنوار ج٢، ص١٣٢.

(٣) بحار الأنوار ج٢، ص٩٤.

(٤ و٥) بصائر الدرجات الكبرى مصدر سابق ص٥٣٩.

(٦) ينابيع المودة مصدر سابق ج١، ص٢١. وبصائر الدرجات ص٨٣.

عِلمُ الموالي الكرام عليهم السلام

بعدَ أن عرَضْنا عليكَ بعضًا مِن الأحاديثِ الدالةِ على بعضِ شأنِهم، وبعضًا من كلامِهم عَن أنفسِهم، نعرضُ عليكَ ما أثبتوهُ لأنفسهم مِن سعةِ العِلمِ الذي هو فوقَ طاقةِ البشر لتعينَنا على تحليلِهِ ومعرفتِهِ، فإنه مدهِشٌ كثيرًا ومحيِّرٌ أكثرَ. قالَ الصادقُ عليه السلامَ عند تلاوتِهِ قولَهُ سبحانَهُ: «قالَ الذي عندَه علمٌ مِن الكتابِ أنا آتيك بهِ قبلَ أن يرتدَّ إليكَ طرفُكَ»[1] قالَ[2]: ففرَّجَ الصادقُ بينَ أصابِعِهِ ووضعَهَا على صدرِهِ وقالَ: «وعندَنا واللهِ علمُ الكتابِ كلِّهِ». وقد مَرَّ عليكَ معنى الكتابِ أنّه يضمُّ جميعَ المكوّناتِ. وقالَ أبو عبدالله: «إني لأعلَمُ ما في السماءِ وما في الأرضِ، وما في الجنةِ، وما في النارِ، وما كانَ وما يكونُ إلى يوم تقومُ الساعةُ، ثم سَكَتَ، ثمَّ قالَ: أعلَمُهُ مِن كتابِ اللهِ ففيهِ تبيانٌ لكلِّ شيءٍ»[3]. وقالَ أميرُ المؤمنينَ عليٌّ (ع): «عندي علمُ المنايا والبلايا وفصلُ الخطابِ، ولقد نظرْتُ في الملكوتِ بإذن ربي فما غابَ عني ما كانَ قبلي ولا ما كانَ بعدي»[4] وقالَ عليهِ السلامُ: «سَلوني

---

(١) سورة النمل آية ٤٠.

(٢) ينابيع المودة مصدر سابق ج١، ص١٠٢ وانظر بصائر الدرجات ص٢٣٢.

(٣) سلوني قبل أن تفقدوني ج١، ص١٣.

(٤) مشارق أنوار اليقين مصدر سابق ص٧٧ و٨٣.

قبلَ أنْ تَفقدوني فأنا نَمَطُ الحجاز[1]، وأنا عَيبةُ علمِ رسول الله»[2] «سلوني فوالذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ لو ثنيتْ لي الوسادةُ وجلستُ عليها لقَضَيتُ بينَ أهل التوراةِ بتوراتهم، وبين أهل الإنجيلِ بإنجيلِهم، وبينَ أهل الزَّبور بزَبورهم»[3] «ولو شئتُ لأخبرْتُ كلاً منكم بمدخلِهِ ومخرجِهِ... إلى قولِهِ: «ولكن أخاف أن تكفروا بي وبرسولِ الله ﷺ ألا وإني مفضيهِ إلى الخاصَّةِ ممَّنْ يؤمَنُ ذلك منه»[4] فلم يَقُلْ أحَدٌ سلوني قبلَ عليٍّ إلا رسول الله ﷺ[5]. وسُئِلَ الصادقُ (ع): ما ظَهَرَ لمواليكم مِن علمِكم؟ قالَ: «بابٌ أو بابان» قيلَ: ما رويَ مِن فضلِكم إلا بابٌ أو بابانِ؟! قالَ: «وما عسيتُم أنْ ترووا مِن فضلِنا إلاّ ألِفًا غير معطوفةٍ»[6] وقال الباقِرُ (ع) لِرجلٍ: «ما تقولُ الشيعةُ في عليٍّ وعيسى وموسى؟ قال: جُعِلتُ فداك وما عسَى أن تقولَ فيهم؟ فقالَ: والله عليٌّ أعلمُ منهما ثمَّ قالَ: ألستم تقولونَ إنّ لعليٍّ (ع) ما لمحمدٍ (ص) قالَ: بلى. وقال ايضا: العلمُ الذي نزَلَ مع آدمٍ عليهِ السلامُ على حالِهِ عندنا، وليس يمضي منا عالمٌ إلا خلّفَ مَن يعلمُ علمَهُ والعلم نتوارثُ بهِ»[7] وعن رسولِ اللهِ (ص): «لما هبطتُ - أي مِنَ المعراجِ - جعَلْتُ أخبرُ عليًا ويُخبرني، فعلِمْتُ أني لم أطأ موطِئًا إلا وكشِفَ لعليٍّ عنه حتى نظرَ إليه»[8]. هذه

---

(١) النمط في اللغة جماعة من الناس أمرهم واحد. وعن علي (ع) «خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي» (لسان العرب).

(٢) العيبة الوعاء من أدم وعيبة الرجل موضع سره. (لسان العرب) الحديث من مشارق أنوار اليقين ص٨٣.

(٣) انظر كتاب سليم بن قيس الكوفي الهلالي العامري مؤسسة الأعلمي بيروت - ص٢١٤.

(٤) ينابيع المودة مصدر سابق ج١، ص٦٥.

(٥) سلوني مصدر سابق ص٦٢، ولم يقلها أحد بعده إلا فضح سوى الإمام الصادق (ع).

(٦) صحيفة الأبرار مصدر سابق ج١، ص٢١٥.

(٧) بصائر الدرجات مصدر سابق ص٢٤٨.

(٨) صحيفة الأبرار مصدر سابق ج١ ص١٣٥.

شذَراتٌ مِن جواهرَ، ونثرات من لآلىء أو قُلْ حيرةٌ مِن حيراتٍ علميةٍ، ومَذهلةٌ مِن مذهلاتٍ عقليةٍ نثرتُها أمامَكَ لتحلَّ لي مُشكِلَها وتشرَحَ مُعضِلَها. شرَحَ الله صدرَك بالإيمان وحَلاَّكَ بالغفرانِ.



﴿عِلمُهُمْ عَلَيْمُ السَّلامُ بالمغيَّباتِ﴾

وهذِهِ حيرةٌ أخرى أسوقُها إليكَ في جملةِ ما أسوقُ، قد أخرجتني عن حيِّزِ التفكيرِ إلى الدهشةِ، ومِنَ التعقّل إلى الذهولِ. كيف يُمكِنُ البشريَّ علمُ المغيبات، مَع أنّه مَحظورٌ عليه علمُ المشاهَداتِ، علمًا كليًّا لا بل جزئيًا فما القولُ وكيف العملُ؟! اتفقَ جمهورُ علماءِ المسلمينِ على علمِ أئمةِ آلِ البيتِ (ع) بالمغيباتِ، إلا مَن تعصَّبَ منهم، وقد أفردَ ابن أبي الحديدِ لعلم أميرِ المؤمنين عليٍّ (ع) بالمغيباتِ فصلاً في شرح نهجِ البلاغةِ، وقليلٌ مِنَ الناسِ مَنْ شَكَّ بإمامةِ أميرِ المؤمنينَ (ع) وقد واجهَهُ بالتكذيب رَجُلٌ وهو يخطبُ عندَ قولِهِ سلوني قبلَ أنْ تفقَدوني فقالَ له الرجلُ: إخبرني كَمْ في رأسي ولحيتي طاقةُ شَعرٍ؟ فقالَ عليه السلامُ: حدثني خليلي محمدٌ ﷺ أنَّ على كلِّ طاقةِ شَعر من رأسِكَ مَلَكًا يلعنُكَ، وأنَّ على كلِّ طاقةِ شعرٍ من لحيتِكَ شيطانًا يغويكَ وأنَّ في بيتِكَ سخلاً يقتلُ ابن رسولِ الله ﷺ فكانَ ابنُه ـ قاتِلُ الحسينِ ـ طفلاً يحبو وهو سنانُ بن أنسٍ النخعيُّ»[1]. وقال رجلٌ لأمير المؤمنينَ عليه السلامُ وهو يخطبُ: إنني مررْتُ بوادي القرى فوجدْتُ خالدَ بنَ عرفطةَ قد مات فاستغفرْ له، فقالَ: واللهِ ما ماتَ ولن يموتَ حتى يقودَ جيشَ ضلالةٍ صاحبُ لوائِهِ حبيبُ بن جمّاز. فقالَ وكانَ حاضرًا: إني لك

---

(١) سلوني قبل أن تفقدوني ج٢، ص٣٢٥-٣٢٦.

شيعةٌ. فقالَ: أما واللهِ إنكَ لحاملُها ولتدخلنّ بها مِن هذا البابِ، فكانَ كما قالَ[1]. وبينما هو في مسجدِ الكوفةِ إذا أمرأةٌ تقولُ: يا مَن قتلَ الرجالَ، وسَفَكَ الدماءَ، وأيتمَ الصبيانَ، وأرملَ النساءَ. فقالَ عليٌّ عليه السلام: مَهْ. أيتُها السَّلَقلَقيةُ الجَلعةُ المجعةُ[2]. فبُحِثَ عنها فإذا هيَ كما قالَ.

وتكلمَ عليه السلام عن الملاحِمِ فقاطعه أعشى باهلةَ قائلاً: ما أشبَه هذا بحديثِ خرافةٍ فقالَ (ع) إن كنتَ آثِمًا فيما قلْتَ رمَاك اللهُ بغلامِ ثقيفٍ، فقتلَهُ الحجَّاجُ[3]. وأخبرَ عَمرو بنَ الحمِقِ الخزاعيَّ أنه يُقتَلُ ويُنقَلُ رأسُهُ إلى معاويةَ. وأخبرَ جويريةَ أنَّ زيادًا سيقطعُ يدَهُ ورِجْلَهُ، ويصلبهُ[4]. وأخبرَ ميثمَ التمّارَ أنه سيُصلَبُ عاشِرَ عشَرةٍ هو أقصرُهم خشبةً[5]، وأخبرَ ابنَهُ الحسينَ (ع) بمَقتلِهِ[6]. نعى الكاظمُ (ع) لرجُلٍ نفسَه، فشكَّ الآخَرُ في الأمرِ فالتفتَ إليهِ (ع) كالمغضَبِ، وقالَ: اصنعْ ما أنتَ صانعٌ فعُمرُك قد فَنِيَ، وسيفترقُ أخوتُكَ، ويخونُ بعضُهم بعضًا[7]. وأهدى الرشيدُ عليّ بنَ يقطينَ درّاعةً سوداءَ منسوجةً بالذهَبِ، فأهداها الأخيرُ إلى الكاظِمِ (ع) وبعدَ سبعةِ أيامٍ أرجعها الإمامُ (ع) إلى عليٍّ ومعها كتابٌ يقولُ فيه: «هذا وقتُ حاجتِكَ إلى الدراعةِ». وإذا برسولِ الرشيدِ قد جاءَ يطلبُ مِن ابنِ يقطينَ المثولَ بينَ يديهِ. فحضَر، فإذا بالرشيدِ يسألُهُ عنِ الدراعةِ فقالَ هيَ في

---

(١) بصائر الدرجات مصدر سابق ص٣١٨.

(٢) نهج البلاغة ج١، ص٤٧٤. والسلقلقية في اللغة المرأة التي تحيض من دبرها. والجلعة المجعة السفيهة البذيئة اللسان. «لسان العرب».

(٣) نهج البلاغة مصدر سابق ج١ ص٤٧٤.

(٤) نفس المصدر ص٤٧٥.

(٥) نفس المصدر ص٤٧٦.

(٦) سلوني قبل أن تفقدوني مصدر سابق ج١ ص٢٢٩، ج٢ ص٣٧٥.

(٧) الهداية الكبرى تأليف أبي عبدالله الحسين بن حمدان الخصيبي مؤسسة البلاغ ـ بيروت ط١ ١٩٨٦، ص٢٦٧.

البيتِ، فأرسَلَ مَن أحضَرَها إليهِ، فقالَ الرشيدُ: لا ينبغي أن نصدِّق عليك وشايةً بعدَها»[1] وفيما يُروى عن علم الأئمةِ (ع) مِن مثلِ هذا ما يطولُ تعقّبُهُ ولكنني مع ذلك سأروي لكَ بعضًا منه: «أخبرَ الكاظمُ عليه السلامُ عن موتِهِ وما يكونُ بها»[2] وأخبرَ الرِّضا (ع): أنَّ المأمونَ سيُرسِلُ له السُّمَّ، وأنّه يأكُلُهُ ولا يؤثِّرُ به، وأنهُ يُرسِلُهُ ثانيةً ويأكلُهُ فيموتُ بعدَ أن يُرسِلَ غلمانَهُ فيقطعوه بالسيوفِ، ويأتي المأمونُ لتشييع جنازتِهِ فيجدُه حيًّا لم يُصَبْ بأذىً. وعند موتِهِ بالسمِّ أوصى حاجبَهُ ألا يغسلَهُ أحدٌ، ولكنْ يمتدُّ سِجافٌ بينَه وبينَهم، يَسمعونَ مِن ورائِهِ التسبيحَ والتكبيرَ، ثُمَّ يُرفَعُ السجافُ فيجدونَهُ محنَّطًا مكفَّنًا، ويريدُ المأمونُ أن يجعَلَ أباه قِبلةَ الرِّضا، فاضرِبْ أنتَ ضربةً واحدةً قِبلةَ أبيهِ فيُفتَحُ قبرٌ ملآنٌ ماءً فيه ثلاثُ سمَكاتٍ، ثُمَّ يغيضُ الماءُ وتَغيبُ السكاتُ ويريدُ المأمونُ الصلاةَ عليهِ، فقلْ له لا يفعَلْ وإلا نزَلَ بهِ البلاءُ، فيأتي مِن صدر البريةِ راكبُ ناقةٍ ملثَّمٌ يصلّي عليهِ، ثُمّ يمتدُّ سجافٌ على القبرِ بينَهم وبينَه، ويُرفَعُ السجافُ. فإذا الترابُ مُهال عليهِ)[3] وإخبارُ أميرِ المؤمنينَ (ع) عن موتِهِ وتوصيتِهِ لابنيهِ أن يحملاه على بغلةِ رسولِ اللهِ حتى يصِلا إلى موضعٍ فيجدانِ راكبَ ناقةٍ مُلثَّمًا، يُسلِّمانِهِ زمامَ البغلةِ ويرجَعان ولكنَّ الحسَنَ أبي أن يُسَلِّمَهُ ما لَمْ يعرِفْ مَنْ هو فكشَفَ عن وجهِهِ فإذا هو أميرُ المؤمنين عليه السلام»[4] ألا ترى أصلحَكَ اللهُ أنَّ الذي نحن فيه هو جزءٌ مِن شرحِ قولِهِ: «عندي علمُ المنايا والبلايا وفصلُ الخطابِ» وبعضٌ مِن شرحِ قولِهِ: «لا يموتُ ميّتٌ إلا وأشاهدُه أنا ومحمدٌ ﷺ»[5] الخ... فما

---

(١) صحيفة الأبرار مصدر سابق ج٢، ص٢١٧.

(٢) نفس المصدر، ج٢، ص٢٢٩.

(٣) مختصَر من حديث طويل في الهداية الكبرى مصدر سابق من ص٢٨٢ إلى ٢٨٦.

(٤) صحيفة الأبرار مصدر سابق، ج٢، صفحة ١٠٢.

(٥) بصائر الدرجات مصدر سابق صفحة ٢٢٢ ومدينة المعاجز صفحة ١٨٤ ومشارق أنوار اليقين مصدر سابق صفحة ١٣٩.

هذا الذي ترى وما هذا الذي تقرأ؟؟! قُلْ لي رَحِمَكَ اللهُ. وإذا تتبعْنا مَدْحَ الشعراءِ الذين مدَحوه مِن أيامِهِ إلى الآنَ، واستخرَجْنا مِن أشعارِهم نعتَهم إيّاهُ بعلمِ الغيبِ مثلَ قولِ ابن أبي الحديد:

عَلاّمُ أسرارِ الغيـوبِ ومَـن لـهُ   خُلِقَ الزمـانُ ودارتِ الأفلاكُ[1]

وقولِه:

وذو المُعجزاتِ الواضحاتِ أقلُّهـا م الظهورُ على مستَودَعاتِ السرائـرِ[2]

لكان كتابًا ضخمًا لا بل كتبًا ضخمةً.

وهذِهِ شَذَراتٌ اقتطفتُها مِن بينِ كثيرٍ من أمثالِها، أوَليسَ مُدهِشًا ومذهِلاً أنّهم يولَدونَ علماءَ بدونِ تعلّمٍ ولا تعليمٍ، طفلُهُم ككهلِهِم، ورضيعُهُم كهَرَمِهم، يرِث واحدُهم أباه حتى علمَه، وكأنّه شيءٌ ماديٌّ كما مَرَّ، وأنّهم يزقّون العَلَم بعضهُم بعضًا. كما وردَ عنهم أيضًا: ورث أميرُ المؤمنينَ (ع) مِن رسولِ الله ﷺ فيما ورثَ علمَهَ وورّثَهُ بنيهِ»[3] قالَ الشاعرُ

---

(١) مشارق أنوار اليقين صفحة ١٣٦.

(٢) الروضة المختارة في شرح القصائد الهاشميات للكميت بن زيد الأسدي، والقصائد العلويات لابن أبي الحديد ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان ١٩٧٢ ص١١٢.

وقال ابن عباس: «والله لقد أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم وايم الله وقد شارككم في العشر العاشر...

كنز العمال ٦١٤/١١. وفرائد السبطين ٣٦٩/١.

(٣) جاء في بصائر الدرجات: «أن الله جمع لمحمد ﷺ علم النبيين بأثره وأن رسول الله ﷺ صيّر ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام» ص١٣٧ وجاء فيه أيضا: أنّ عليا عليه السلامُ عالم هذه الأمة، وأنه لم يمت منا عالم إلا خلف مَنْ بعدِه مَن يعلم مثلَ علمه أو ما شاء الله».

وقال إبراهيم بنُ هاشمٍ عن يحيى بنِ أبي عمرانَ عن يونس عن الحرثِ بنِ المغيرةِ قال: =

يمدحُه بذلكَ[1]:

يـا وارثَ التـوراةِ والإنجيـــلِ والـ ـــفـرقـانِ والحكـمِ التي لا تُعقَـلُ
لولاكَ ما خُلِقَ الزمـانُ ولا دجـا غَـسبٌّ انبلاجِ الفجـرِ ليـلٌ أليـــلُ

وأعجبُ مِن كلِّ ما مَرَّ أنهم يعلمون منذ ولادتهم وهم أطفالٌ صغارٌ فقد وردَ ما مَفادُهُ: أنَّ أبا حنيفة دخَلَ على أحَدِ الأئمةِ[2] فلم يجدْهُ لكنه وجَدَ ابنه صبيًا فقالَ في نفسِهِ إن هؤلاءِ يزعمونَ أنّ صبيَّهم يَعلمُ ككهلهم، فلأسألَنَّ هذا الصّبيَّ، فقال يا غلامُ، فقالَ له الصبيُّ أسأتَ الأدبَ، ما هذا أدبُ الإسلامِ ، فقالَ: وما أدبُ الإسلامِ ؟ قالَ أن تبدأ بالسلامِ . فخرجَ أبو حنيفةَ ثمَّ دَخَلَ وسلَّمَ، فردَّ عليه السلامَ وقالَ: سَلْ ما بدا لكَ. فقالَ: ما قولُكَ في المعصيةِ؟ قالَ: لا تخرجُ عن إحدى ثلاث: إما أن تكونَ مِنَ اللهِ، أو منَ العبدِ، او مشتركةٌ بينَ اللهِ والعبدِ فإن كانَت مِنَ اللهِ فلا يجوزُ أن يعذّبَ عليها العبدُ، وإن كانَت مشتركة بينَ اللهِ والعبدِ فلا يعذِّبُ أحدُ الشريكينِ دونَ الآخرِ. فلم يبقَ الا أنها مِنَ العبدِ، ومثلُ هذا كثيرٌ فما هذا الذي تقرأ؟ ومَا الذي تبصِرُ؟ أليسَ مَن عندَه هذا العِلمِ وعلمُ المنايا (موت كلِّ حيٍّ) - كما سبق - وعلمُ البلايا (ما يصيبُ كلَّ إنسانٍ) وعلمُ الوصايا (ما يوصي به كلَّ حيٍّ) وفصلُ الخطابِ (الفصلُ بينَ الحقِّ والباطِلِ) أليس هو العالِمُ بكلِّ شيء ؟! وأيُّ علمٍ بعدَ هذا ، وما الذي بقيَ مِنَ العِلمِ ؟؟!!!.

= سمعتُ أبا عبداللهِ عليه السلامُ يقولُ إنَّ العلمَ الذي نزَلَ مع آدمَ. لم يرفع وما مات عالم إلا وقد ورّث علمه إنّ الأرض لا تبقى بغير عالم ص١٣٦.

(١) البيتان للشاعر ابن أبي الحديد المعتزلي شارح نهج البلاغة وهما من إحدى قصائده العلويات السبع. انظر سلوني قبل أن تفقدوني، ج٢ ، ص٢٤ .

(٢) الاحتجاج، ج٢، ص١٥٩ .



عِلمُ الأئمّةِ عَلَيْهم السَّلامُ بالمغيّباتُ الخمسِ

أليس مما يَسدُّ على العقلِ طريقَه ويَملكُ على البصيرةِ أمرَها أنهم يعلمونَ المغيباتِ الخمسَ التي اختصَّها اللهُ سبحانَه لنفسِه بقولِه تعالى: «إنَّ اللهَ عندَه علمُ الساعةِ وينزِّلُ الغيثَ، ويعلمُ ما في الأرحامِ، وما تدري نفسٌ ماذا تكسِبُ غدًا، وما تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموتُ، إنَّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ»[1] فإنَّ تقديمَ المسنَدِ وتقديمَ الظرفِ في قولِه سبحانَه إنّ اللهَ عندَه علمُ الساعةِ وعطفَ البقايا عليها يدلُّ دلالةً قطعيةً على حصرِ هذهِ الأمورِ الخمسةِ في اللهِ سبحانَهُ. وعنِ الصادقِ عليه السلامُ: «أنّ هذه الخمسةَ لم يطّلع عليها مَلَكٌ مقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مرسَلٌ وهي مِن صفاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ»[2] وفي نهجِ البلاغةِ «هذا هو علمُ الغيبِ الذي لا يعلمُهُ إلا اللهُ»[3]. وقد علّلوا هذا الحصرَ الذي ذَكروه بأنه «لما كانَ للآلهةِ درجاتٌ والعاملونَ بعدَ خروجِهِم مِن جهةِ خلقيَّتِهم يسيرونَ في الجهة الحقيَّةِ ودرجاتِ الآلهةِ حتى يقفوا على الأعرافِ، والأعرافُ هي القيامةُ الكبرى فلذلكَ لم يكنْ استبعادٌ في علمِهم بساعةِ القيامةِ الكبرى»[4]

(١) س لقمان آية ٣٤.

(٢) البرهان في تفسير القرآن م سابق ج٣، ص٢٨٠.

(٣) ينابيع المودة م سابق، ج١، ص٦٥.

(٤) بيان السعادة م سابق ج٣، ص٢٣٤. والمقصود دس درجات الآلهة المتصفون بالصفات الإلهية القانون فالله وهم درجات أعلاهم محمد وعلي فمحمد ﷺ رب ومربوب، رب لماله

(١)

فتأملْ هذا التعليلَ أتراه كافيا لِحَلّ هذا المشكِلِ ؟ ليسَ الموالي وحدَهم هُمُ الذين يخرجون مِنْ جهة خلقيتِهم إلى الجهةِ الحقيةِ بل كلّ سالِكٍ تَمّ سُلوكُهُ يَخرجُ مِن إنيّتِهِ وخلقيتِهِ، ويكونُ سيرُهُ بالصفاتِ الإلهيةِ إلى الحقيقةِ الذاتيةِ فما بالُنا لم نَرَ هذهِ الأمورَ إلا لهم؟! تدبَّرْ ذلك وأعني على حملِهِ حملا معقولاً. أما علمُ الساعةِ وأنه يكونُ بها كذا، ومن علاماتِها كذا، وأنها تكون يومَ الجُمُعَةِ فقد أكثروا منه ولا فائدةَ مِن نقلِهِ، ولكنّ أميرَ المؤمنينَ (ع) لم يكتفِ بالعلم بقيامها، بل قال: بي وعلى يديَّ تقوم الساعة[1] وأما إنزالهم الغيث فأشهر من أن يذكر، وإليك نتفاً من هذا القبيل. أمسك المطر عن الكوفة فشكوا إلى أميرِ المؤمنين (ع) فأشارَ بيدِهِ إلى السماء فدمدم الجوُّ وسحَم وسال الغيث مدرارًا »[2] وشكا إليه اناسٌ جفافَ أرضِيهم وضروعهم، فقال لهم اذهبوا فقد سقيتم في نَوْءِ كذا » واستسقاهُ أهلُ الكوفةِ مرةً أخرى فسَحَّ المطرُ كأفواهِ القِرَبِ فشكَوا لهُ خوفَهم منَ السيلِ فقالَ: للسحاب: حَوالَينا لا علينا فنزلَ حواليهم »[3] ورويَتْ هذهِ الروايةُ عنِ الرسولِ ﷺ أو شبهُها. « ودعا الحسين (ع) مرةً فأنزلَهُ »[4]. ومِن هذا تسخيرُهمُ السحابَ وامتطاؤهُ لقضاءِ حوائجِهم، نَزَلَ أميرُ المؤمنين (ع) مِنَ السماء على سحابةٍ وبيدِهِ ذو الفقارِ يقطرُ دمًا، فقال له سَلمانُ ما لذي الفقار يقطر دمًا ؟ فقالَ: أنكرَتْ وتنكرَت فِرَقٌ في الملأ الأعلى فطهرتُهم بسيفي هذا »[5]. وركوبُهُ

من فضل على سائر المخلوقين، ومربوب لتبعيته للخالق فكل من محمد وعلي وأمثالهما .رب مضاف والباري عز وجل وحده الرب المطلق رب الأرباب وإله الآلهة « اللجنة ».

(١) مشارق أنوار اليقين، م سابق، ص١٧٢.

(٢) عيون المعجزات للشيخ حسين بن عبد الوهاب مؤسسة الأعلمي - بيروت- ط٣ - ١٩٨٣، ص٢٨.

(٣) بحار الأنوار مصدر سابق ج١٧، ص٢٣٠. رويت الحادثة عن الرسول ﷺ ووردت في نهج البلاغة لابن أبي الحديد م٢، ص٧٧١.

(٤) عيون المعجزات مصدر سابق ص٦٧.

(٥) مشارق أنوار اليقين مصدر سابق ص٢١٨.

البساط تحمِلُهُ الريح إلى الكهفِ، وخطابُهُ فتيتَهُ وجوابُهم له»[1] وكذا تمَّ لجميعهم مما يعسُرُ تتبعُه. وأما علمُ ما في الأرحامِ، فلم يبقَ إمامٌ مِنَ الأئمةِ إلا وتمَّ له ذلك. وقفتِ امرأةٌ على جامعِ الكوفةِ ومعها كثيرٌ مِنَ الرجالِ وهي تتضرَّعُ إلى اللهِ لكشفِ كربتها، فأمَرَ أميرُ المؤمنينَ عليه السلامُ عمَّارَ بنَ ياسرٍ، فأدخلَها هي ومَن معَها فقالَ أبوها يا كنز الضعفاءِ ويا ملجأ اللهفاءِ هذه الجاريةُ ابنتي وهي عاتقٌ ما قرَّبْتُها مِن رجلٍ، وهي كما تراها. فقالَ أميرُ المؤمنينَ (ع) لأبي الجاريةِ: «يا أبا الغضبِ، ألستُم مِن دمشقَ مِن قريةِ إسعادَ من أعمالِ بانياسَ، والثلجُ عندكم كثيرٌ والبعدُ بيننا وبينَكم مئةٌ وخمسون فرسخًا؟ قالَ: بَلى فمدَّ أميرُ المؤمنين (ع) يَدَه وأرجعَها فإذا فيها قطعةُ ثلجٍ، فقالَ للدايةِ أحضِريها وادلكي فرجَ هذه الجاريةِ بهذهِ الثلجةِ فإنها ترمي عَلَقةً وزنُها سبعمائةٍ وخمسونَ درهمًا ودانقانِ فكان كما قال»[2]. وجاءَ إلى أميرِ المؤمنين (ع) تسعةُ إخوةٍ أو عشرةٌ مِن حيٍّ من أحياءِ العربِ ومعَهم أختُهم تَئِنُّ مِن ثقلِ الحَمْلِ، فأخبرَهم أنها بريئةٌ ولكنّها اغتسلت ببُركةٍ فدخلت في فرجِها عَلقةٌ، وأمرَ أن تُجلَسَ في طسْتِ ماءٍ باردٍ، ويُدلَكَ فرجُها فتنزلُ العَلَقةُ»[3] وأما علمُ بأيّ أرضٍ يموتُ المرءُ، فقد تقدم كحديثِ رشيدٍ الهجريِّ ومَيثم التمارِ وعمرو بن الحَمِقِ، وغيرِهم مما ذكرنا. وأكثرُ علم المغيَّباتِ مِن هذا القبيلِ، مِن ذلك تَخلُّفُ عَمْرو بن حَريثٍ، والأشعثِ بن قيسٍ وجريرِ بن عبدِاللهِ البجَليِّ مع خمسة نفرٍ عنه في مَسيرِهِ منَ الكوفةِ إلى المدائنِ، وقالوا: إذا كانَ يومُ الجمُعةِ لحقْناهُ وهو يخطبُ، فخَرَجَ عليهم ضَبٌّ فبايعوه بالإمامةِ، وساروا فدخلوا عليه وهو يخطبُ فقالَ: ليبعثَنَّ يومَ

(١) ينابيع المودة مصدر سابق ج١ ص١٤٠. وانظر العلويون بين الاسطورة والحقيقة ـ تأليف هاشم عثمان ـ مؤسسة الأعلمي بيروت ـ ط١، ١٩٨٠ ص٢٤٢.

(٢) سلوني قبل أن تفقدوني مصدر سابق ص٢٩١. والعاتق: العازبة.

(٣) سلوني قبل أن تفقدوني ج٢، ص٢٩٢ وعيون المعجزات مصدر سابق ص٢٧.

(٤) الحادثة مفصلة في (سلوني قبل أن تفقدوني) ج٢، ص٢٥١.

القيامة نفَرٌ إمامُهم ضَبٌّ ولو شِئتُ أن أسمِّيهم لفَعلتُ، فتغيرَت ألوانُهم وكادُوا أن يُصعقوا[1] ومنه قولَهُ للدهقانِ المنجِّم : أتدري ما حدَثَ البارحةَ؟ لقد وقعَ بيتٌ بالصينِ وانفرَجَ برجُ ماجينَ، وسقَطَ سورُ سَرنديبَ، وانهزَمَ بطريقُ الرومِ بأرمينيا، وفُقِدَ ديانُ اليهودِ بإبلةَ، وهاجَ النملُ بوادي النملِ، وهَلَكَ مَلِكُ أفريقيا... إلى قولِهِ: يُخلَقُ كذا ويموتُ كذا، وهذا منهم، وأشارَ إلى سعدِ بن مسعدةَ، وكان جاسوسًا عليه للخوارجِ فسقَطَ ميتًا وخرَّ الدهقانُ ساجدًا. فقالَ له أميرُ المؤمنينَ: «ألم أروِكَ مِن عينِ اليقينِ؟ قال: بلى. قالَ أميرُ المؤمنين أنا وأصحابي لا شرقيون ولا غربيون، نحنُ ناشئة القطبِ، وأعلام الفَلَكِ فلِمَ تَنهاني عنِ السفرِ؟ وكانَ الدهقانُ قد حَذَّرَه مِن المسيرِ الى حرْبِ الخوارجِ. كان الواجبُ عليكَ أن تحكُمَ لي بهِ لا عَليَّ، أما نورُهُ فضياؤهُ عندي، وأما لهَبُهُ وحريقُهُ فذاهِبٌ عنّي»[2] وبعد أن مرَرْتَ بما نقلتُه لك مجتزئًا غايةَ الاجتِزاءِ، ومقتضِبًا غايةَ الاقتِضاب، كيفَ تجدُكَ الآنَ؟ أقادرًا على إذهابِ حَيرتي، وإنقاذي مِن دَهشتي أنّى لبِشريٍّ مولودٍ مِن والدٍ، أن يَفعلَ فِعلَ اللهِ، ويعلمَ علمَهُ؟!! أآلهة معَ اللهِ؟! وتعالى اللهُ. ومعَ ذلك لا نقدِرُ أن نقولَ إنه اختلاقٌ، فقد رواه جمهورُ المسلمينَ ونقَلَةُ جلِّ علمائِهم، وليس هو بالكراماتِ التي تحدُثُ عادةً للأولياءِ، وليس هو الكشفَ والمشاهدةَ، لكنهُ المعجزُ الخارقُ للعادةِ، والعلمُ بكلِّ شيءٍ، فما المدخلُ وكيف المخرجُ؟!

---

(١) ينابيع المودة مصدر سابق، ج١، ص٧٠.

(٢) الاحتجاج تأليف أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي - تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخرسان. مؤسسة النعمان - بيروت لبنان، ج١، ص٣٥٦-٣٥٧. وانظر مشارق أنوار اليقين - مصدر سابق ص٨٢-٨٣.

هُمْ رِجَالُ الأَعْرافِ وهُم الأَعْرافُ
عليهم السلام

الأعراف: جَبَلٌ بينَ الجنةِ والنارِ يقف عليه جميعُ أهلِ الحَشرِ أي جميعُ الخلائق فيُحاسبونَ ومِن هناكَ إلى الجنةِ أو إلى النارِ، قالَ سبحانَه وتعالى: «وعلى الأعرافِ رجالٌ يعرفونَ كلاً بسيماهم»(١) سُئِلَ الباقِرُ (ع) عن شرح هذهِ الآيةِ فقالَ: «أهلُ الأعرافِ هم آلُ محمد ﷺ لا يدخُلُ الجنة إلا مَنْ عرَفَهم وعرَفوه، ولا يَدخُلُ النارَ إلا مَن أنكرَهمْ وأنكروه، وهم أعرافٌ لا يُعرَفُ اللهُ إلا بسبيلِ معرفتهم»(٢) وعن أمير المؤمنين (ع) «نحن الأعرافُ نعرِفُ أنصارَنا بسيماهمْ ونحنُ الأعرافُ نقف يوم القيامةِ بين الجنةِ والنارِ، فلا يدخُلُ الجنةَ إلا مَنْ عرَفَنا وعرَفْناهُ، ولا يدخلُ النارَ إلا مَن أنكرَنا وأنكرْناه وذلك أن اللهَ عزَّ وجلَّ لو شاءَعرَّفَ الناسَ نفسَه حتى يعرفوهُ ويوحِّدوه، ويأتوه مِن بابِهِ، ولكنَّهُ جعَلَنا أبوابَهُ وصراطَهُ وسبيلَهُ، وبابَه الذي منه يؤتى»(٣). وعن رسولِ اللهِ ﷺ مثلُ ذلك، وقد علَلَ بعضُهم كلامَهم هذا فقالَ: «إنَّ الأنبياءَ والأولياءَ يتنزلونَ بشأنِهمُ الملكوتيِّ عنِ الملكوتِ الأعلى إلى أعلى البرازخِ فيُراقبونَ أهلَ الملك (البشَر) ويراقبون أهلَ الملكوتِ الأعلى (عالَمَ النور) وأهلَ الملكوتِ الأسفلِ (عالَمَ الجنَّةِ والشياطينِ) ويعطونَ

---

(١) سورة الأعراف آية ٤٦.

(٢ و٣) ينابيع المودة ج١، ص١٠١ وبحار الأنوار ج٢٤ ص٢٤٩.

كلاً حقَّه، ولما كانتِ النبواتُ والولاياتُ الجزئيةُ ظلالاً مِنَ الولايةِ الكليةِ وكانَ المتحقّقُ بالولايةِ الكليةِ عليّا وأولادَه الطاهرينَ، صَحَّ تفسيرُ الرجالِ بهم، وحصرُهم فيهم، ولما كانت الأعرافُ مرتبةً مِن مراتِبهم، وشأنًا مِن شؤونِهم، قال عليّ عليهِ السلامُ «نحن الأعرافُ»[1] ولما كانت جهةُ البرزَخِ العليا جهةً يعرِفُ بها كلٌّ مَن عليها غيرَه مِن أهلِ الملكِ والملكوتَينِ وكانَت هي سَبيلَ معرفةِ اللهِ لغَيرِ مَن عليها صحَّ قولُهُم (ع): «نحن على الأعرافِ نعرِفُ أنصارَنا بسيماهم، ونحن على الأعرافِ لا يعرَفُ اللهُ عزَّ وجلَّ إلا بسبيلِ معرفتِنا، ونحن الأعرافُ يوقفُنا اللهُ عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ على الصّراطِ فلا يدخُلُ الجنةَ إلا مَن عَرفَنا وعرّفْناه، ولا يدخُلُ النارَ إلا مَن أنكرَنا وأنكرناه»[2] فانظرْ هذا الشرحَ لكلامِهم هذا وأعطيني رأيك هدانا اللهُ وإياك.

(١ و٢) بيان السعادة مصدر سابق ج٢، ص١٨٣ و١٨٤.

تكلمُّهم في البُطونِ وحينَ الوِلادة

ألا تُحِسُّ بما أُحِسُّ بهِ مِن تبلُّدِ الذهنِ، وتحيُّرِ العقلِ، وتبلبُلِ الفكرِ، ودهشةِ اللبِّ عندَ عرفانِكَ أنه لم يولَدْ إمامٌ مِن الأئمةِ الاثني عشرَ، إلا وشهِدَ عندَ ولادتِهِ بالألوهيةِ للهِ عزَّ وجلَّ ولمحمدٍ ﷺ بالرسالةِ، ولمَن قبلَهُ ولمَنْ بعدَه ولنفسِهِ بالوصيةِ، فما تعليلُ ذلكَ وكيفَ وجهةُ التصرُّفِ بهِ؟!! أنقذني مِن هذا الأمرِ المحيِّرِ أعانَكَ اللهُ. عن جابرٍ عن رسولِ الله ﷺ قالَ: «دخلْتُ على خديجةٍ وكانت وحدَهَا تتكلمُ فسألْتُها: مَن تكلِّمينَ؟ قالَت: إنَّ الجنينَ الذي في بطني يكلمني وأكلِّمُهُ ولي به أنسٌ في وحدتي»[1] وعن الباقرِ عليه السلامُ: «أنَّ الإمامَ يسمعُ الكلامَ في بطنِ أُمِّهِ وإذا وقعَ إلى الأرضِ رُفِعَ له عمودٌ من نورٍ يرى به أعمالَ العبادِ»[2] أوَلا يذهلُك أنَّ أمهاتِ الأئمةِ مطهراتٌ عما ينالُ النساءَ، لا يشعرْنَ بالحمْلِ «ويلدْنَ مِن جنوبِهِنَّ»[3] ومِن أفخاذهن كما ورَدَ أنّ فاطمةَ ولدَتِ، الحسنَ والحسينَ (ع) من فخذها الأيمن[4] وعن العسكريِّ: «إنا لا نُحمَلُ في البطونِ ولكن في الجنوبِ»[5]

---

(١) صحيفة الأبرار مصدر سابق ج٢ ص١٠٤.

(٢) بصائر الدرجات مصدر سابق ص٤٥١.

(٣) عيون المعجزات مصدر سابق ص١٤٢.

(٤) صحيفة الأبرار مصدر سابق ج١ ص٢٨٩.

(٥) عيون المعجزات مصدر سابق ص١٤٢.

وعن أميرِ المؤمنينَ مثلُ هذا القولِ: وعندما وضعَتْ فاطمةُ بنتُ محمد ﷺ وُلِدَتْ طاهرةً مطهَرةً وسبّحت ومجّدَتْ في حالِ ولادتِها، وأقرَّتْ بنبوةِ محمدٍ وإمامةِ عليٍّ وقرأتِ القرآن»[٢] ومِن طرقٍ متعددةٍ أنّ الحسَنَ (ع) وُلِدَ طاهراً مطهَّراً يسبّحُ اللهَ ويهللُ ويقرأُ القرآنَ»[٢]. ولما وُلِدَ الكاظمُ عليه السلامُ وضَعَ يديهِ على الأرضِ ورفَعَ رأسَهُ إلى السماءِ وصلى على رسولِ اللهِ ﷺ وقرأَ: «شهدَ اللهُ أنه لا إله إلا هو والملائكةُ وأولو العلمِ قائمًا بالقسطِ»[٣] وعن رسولِ اللهِ ﷺ: «لما وُلِدَ أميرُ المؤمنينَ (ع) أتاني جبريلُ فقالَ لي إذا وضَعَتْ فاطمةُ بنتُ أسَدٍ عليًا فتلقَّهُ، ففعلْتُ ما أُمِرتُ بهِ، فلما رآني قالَ امدُدْ يدَكَ يا محمد فمدَدْتُ يدي نحوَ أمِّهِ، وإذا بعليٍّ واضعٌ يدَه اليمنى في أُذُنِهِ اليُمنى وهو يؤذِّنُ ويُقيمُ ويشهد للهِ بالوحدانيةِ، ولي بالنبوةِ ثم قالَ السلامُ عليكَ يا رسول اللهِ، ثمّ قالَ: أقرأُ؟ قلتُ: اقرأْ. فوالذي نفسي بيدِهِ، لقدِ ابتدأ بصُحُفِ شيثٍ عليه السلامُ ثم صحفِ نوح (ع) ثم صحفِ إبراهيم (ع) ثمّ التوراةِ، ثم الإنجيل، ثم القرآنِ، حتى وجدتُه يحفَظُ كحفظي له الساعةَ من غيرِ أن أسمعَ منه آيةً، ثمّ خاطبَني وخاطبتُهُ بما يخاطِبُ الأنبياءُ الأوصياءَ، ثمّ عادَ إلى طفولتِهِ»[٤] ولما قمَّطَتْهُ أمُّهُ تحرَّكَ بالقماطِ فقطعَه، ثمّ ضاعفَتْهُ فقطعَهُ، ثمّ ضاعفتْهُ فقطعَهُ، وكانَ من الحرير القباطيِّ، فقالَتْ: ما أدري ما أصنعُ بهذا الغلامِ، فقالَ: «اتركي يدي خارجَ القماطِ فإني أحتاجُ أن أبصبصَ لربي بإصبعي»[٥].

---

(١) نفس المصدر ص٥٨.

(٢) مدينة المعاجز مصدر سابق ص٢٠٢.

(٣) سورة آل عمران آية ١٨.

(٤) مدينة المعاجز مصدر سابق صفحة ٥و٦ وصحيفة الأبرار ج٢، ص٩، مشارق أنوار اليقين ص١٧٥ (م.س).

(٥) صحيفة الأبرار مصدر سابق ج٢، ص٧و٨. أبصبص: أشير.

هُم أوّلُ التَّكوين

مَرَّ عليكَ ـ أصلحَنا اللهُ وإياكَ ومهّد لنا سبيلَ السعادةِ الأبديةِ ـ أنّ اللهَ سبحانَهُ اختَرَعَ أول ما اختَرَعَ جوهرًا غيرَ معروفٍ، وبالصفاتِ غيرِ موصوفٍ، وبه يُشارُ إلى اللهِ ولا يعرَفُ سبحانَه إلا بهِ، وقد تتعجَّبُ تعجبي وتأخذك دهشتي، عندما تقرأ أن الموالِيَ الكرامَ عليهمُ السلامُ هم أولُ التكوينِ ، بعد عرفانك هذا الجوهَرَ الأولَ، والحيرةُ في ذلك كيف يكونُ هذا الجوهرُ الأولُ هو هذا البشريُّ المجبولُ مِن صَلصالٍ كالحَمَأ المسنون، وإلاّ فكيف يكونُ غيرَهُ، فيكون للتكوينِ أولانِ؟! وهذا هو المستحيلُ، ونفيُ أحدهما مكابرةٌ للعصمة، ومغالبةٌ للحقائِقِ ، فأعنّي على فهمِ ذلك أعانكَ اللهُ. عن رسولِ الله ﷺ «أولُ ما خلَقَ اللهُ نوري»[1] وعن أبي جعفرٍ (ع): «إنّ اللهَ أحدٌ واحِدٌ تفرَّدَ في وحدانيتِهِ ثمّ تكلَّمَ بكلمةٍ، فصارتْ نورًا، ثُمَّ خلَقَ مِن ذلك النورِ محمدًا ﷺ، فخلقَني وذريتي مِن ذلك النورِ، ثمّ تكلَّمَ بكلمةٍ، فصارَتْ روحًا فأسكنَهُ اللهُ في ذلك النورِ، وأسكنَهُ في أبداننا فنحنُ روحُ اللهِ، وكلماتُهُ، فبنا احتجَبَ عن خلقِهِ، فما زلنا في ظلَّةٍ خضراءَ، حيثُ لا شمسٌ ولا قمرٌ، ولا ليلٌ ولا نهارٌ»[2] وعن المولى الصادقِ عليهِ السلامُ: «إنّ اللهَ كانَ إذ لا مكانَ، فخَلَقَ الكانَ والمكانَ، وخلَقَ نورَ الأنوارِ، الذي

---

(١) ينابيع المودة مصدر سابق ج١ ، ص٩.

(٢) مشارق أنوار اليقين مصدر سابق ص٤٢.

نورَتْ منه الأنوارُ وهو النورُ الذي خلِقَ منه محمدٌ ﷺ وعليٌّ (ع) ولم يزالا نورَين أولين إذ لا شيء كُوِّنَ قبلَهما »(١). فأفهمْني ـ فهَّمَكَ اللهُ الرشدَ ـ كيف التوفيقُ بينَ هذا التبايُنِ وكيفَ التوحيدُ بين هذا التغايُرِ؟! أأولانِ للخلقِ وابتداءآنِ للتكوين؟! وإن قُلنا غير هذا تلقّانا أمرٌ أصعبُ وطريق أوعَرُ، وهو كيف يكونُ هذا الأولُ آخِرًا، وهذا المجرَّدُ اللطيفُ كثيفًا، وهذا البسيطُ مركَّبًا؟! أعني ـ أعانكَ اللهُ ـ وأنقذني ـ أنقذكَ اللهُ. ولم يقفوا عند هذا الحدِّ بل أوردوا عن رسولِ اللهِ ﷺ بالاتفاقِ والإجماعِ: أنَّ آدم لما رأى أسماءَ محمد وعلي وفاطمةَ والحسَنِ والحسينِ مكتوبةً على اللوحِ ـ وورِدَ على ساق العرشِ ـ قال يا ربِّ خلقْتَ من هو أكرم عليك مني؟ قال اللهُ «يا آدمُ لولا هذه الأسماءُ ما خلقْتُ سماءً مبنيةً ولا أرضًا مدحوةً، ولا ملَكًا مقرَّبًا، ولا نبيًّا مُرسَلاً، ولا خلَقتُكَ أنتَ»(٢) وهمُ الأسماءُ التي علَّمَها اللهُ لآدمَ فتمَّ بتعليمِهِ إياها عِلمُ ما في الأرضِ والسماءِ، ثُمَّ عَرضَ اللهُ سبحانَهُ هذه الأسماءَ على الملائكةِ فقالَ: «انبئوني بأسماءِ هؤلاءِ إنْ كنتُم صادقينَ، قالوا سبحانكَ لا علمَ لنا إلا ما علّمتَنا إنك أنتَ العليمُ الحكيمُ قالَ يا آدمُ أنبئْهُمْ بأسمائِهم، فلما أنبأَهُم بأسمائِهِم قالَ ألم أقلْ لكم إني أعلمُ غيبَ السماواتِ والأرضِ»(٣) وبمعرفةِ هذه الأسماءِ سأله بها أن يتوبَ عليه وهو قولُهُ سبحانَهُ: «وتلقّى آدمُ مِن ربِّهِ كلماتٍ، فتابَ عليه»(٤) وإلى هذا أشار أبو العلاءِ يمدحُ بعضَ الأشرافِ:

---

(١) مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية لسماحة آية الله العظمى الإمام الخميني ـ قدم له السيد أحمد الفهري ـ مؤسسة الوفاء ـ بيروت. لبنان ـ ط١، ١٩٨٣ ص١٠٥. وانظر الأصول من الكافي لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي متوفي /٣٢٨هـ/ مجلد١، ط٣، ١٣٨٨هـ، ص٤٤٢.

(٢) الهداية الكبرى مصدر سابق ص١٠١، وصحيفة الأبرار مصدر سابق ج٢، ص٩.

(٣) سورة البقرة الآية ٣١ و٣٣.

(٤) سورة البقرة آية ٣٧.

يا بن مستعرِضِ الصفوف ببدرٍ ... ومبيدِ الجموعِ مِن غطفانِ
أحدِ الخمسةِ الذينَ همُ الألفا ... ظُ في كلِّ منطقٍ والمعاني
والشخوصِ التي أضاءَ سَناها ... قبلَ خلقِ المرّيخِ والميزانِ(1)

وعن رسولِ الله ﷺ: «نحنُ الكلماتُ التي تلقّاها آدمُ مِن ربِّهِ»(2) وهذا معنى قولِهِ ﷺ: «كنتُ أنا وعليٌّ نورًا واحدًا بينَ يدَي اللهِ قبلَ أن يخلقَ آدمَ بألفَي عامٍ»(3) وأغرَبُ مِن هذا كلِّهِ قولُ الوالبيةِ للباقرِ عليهِ السلامُ: «بالذي أخذَ ميثاقَكَ على النبيينَ أيَّ شيءٍ كنتم في الأظلةِ قالَ: «كنا نورًا قبلَ أن يُخلَقَ آدمُ نسبِّحُ اللهَ فتسبِّحُ الملائكةُ بتسبيحِنا ولم تكنْ قبلَ ذلكَ تسبِّحُ. فلما خَلَقَ اللهُ آدَمَ أجرى فيهِ ذلك النورَ»(4) فعرّفْني عرّفَكَ اللهُ ـ ما معنى قولِ الوالبيةِ للباقرِ عليه السلامُ: بالذي أخذَ ميثاقَكَ على النبيينَ؟ وكيف لم ينكر الباقرُ قولها هذا؟ وأجابَ سؤالها مستبشرًا؟ وعرّفْني كيف أخذَ اللهُ ميثاقَ الباقرِ على النبيين؟ ومثل قولِ رسولِ اللهِ ﷺ للملائكةِ لما عرَجَ إلى السماءِ: «أتعرفونَنا حقَّ معرفتِنا؟ قالوا: فلِمَ لا نعرفُكم يا رسولَ اللهِ، وأنتم أولُ خلقٍ خلَقَهُ اللهُ، خلَقَكم أشباحَ نورٍ مِنْ نورِهِ، وجعَلَ لكم مقاعدَ في مَلَكوتِهِ بتسبيحٍ وتكبيرٍ وتهليلٍ وتقديسٍ وتمجيدٍ، ثمَّ خلقَ الملائكةَ فلما خلَقَنا كنا نمرُّ بأرواحِكم فنسبِّحُ بتسبيحِكم ونحمّدُ بتحميدِكم، فما نزلَ مِن عندِ اللهِ فإليكم، وما صعَدَ إلى اللهِ فمِن عندِكم» وعن رسولِ اللهِ ﷺ: «وكان ذلك في علمِ اللهِ السابقِ أن تتعلَّمَ الملائكةُ منا التسبيحَ والتهليلَ

---

(1) المعري سبقت ترجمته. والأبيات من قصيدة مطلعها:
علّلاني فإن بيضَ الأماني ... فنيتْ والزمانُ ليس بفانِ
(2) الهداية الكبرى مصدر سابق، ص١٠١.
(3) صحيفة الأبرار مصدر سابق ج١، ص٣١٥.
(4) الهداية الكبرى مصدر سابق ص٢٤٠.

والتكبيرَ وكلُّ مَن سبَّحَ اللهَ وهلَّلَهُ وكبَّرَهُ فبتعليمي وتعليم عليٍّ »[1]. « وإن مِن شيءٍ إلا يسبِّحُ بحمدِهِ »[2] ترى المدهشَ المحيِّرَ المذهلَ ولا غروَ بعدَ هذا إن كانَ لهم خَدَمٌ مِن الملائكةِ كما وردَ عنهم « ان الملائكةَ ألطفُ بصبيانِهم منهم »[3] وربَّما وسَّدوا لهمُ الوسائدَ في منازِلِهم وأن الملائكةَ تتقرَّبُ إلى اللهِ بولايتِهم. واقرأ حديثَه ﷺ: « خلَقَني اللهُ وعليًّا مِن نورٍ واحدٍ ثم فتَقَ من نورنا سبطيَّ، ثم فتَقَ مِن نورِنا نورَ العرشِ ومِن سبطيَّ نورَ الشمسِ والقمَرِ، كنا نعلّمُ الملائكةَ التسبيحَ والتهليلَ والتمجيدَ، وخلقَ نورَ فاطمةِ كالقنديلِ، فزهرَت به السماواتُ والأرضُ فتَسمّتِ الزهراءَ »[4] واقرأ حديثَ الزهراء « إنّ اللهَ خلقَ نوري فكان يسبِّحُ اللهَ جَلَّ جلالُهُ ثم أودعَهُ شجرةً مِن شجراتِ الجنةِ فأضاءت فلما دَخَلَ أبي إلى الجنةِ، أوصى اللهُ تعالى إليه أن اقطف هذه الثمرةَ وأدِرْها في لهواتِكَ، فأودعَنيَ اللهُ صُلبَ أبي، ثم أودعني خديجةَ وأنا مِن ذلكَ النورِ أعلم ما كانَ وما يكونُ وما لم يكنْ »[5].

---

(١) بحار الأنوار ج٢٤ ص٨٩.
(٢) سورة الإسراء آية ٤٤.
(٣) بصائر الدرجات مصدر سابق ص١١٠-١١٢ وعيون المعجزات صفحة ٩٥.
(٤) عيون المعجزات مصدر سابق صفحة ٥٦. ومدينة المعاجز صفحة ٢٠٢.
(٥) صحيفة الأبرار مصدر سابق ج٢، ص١٠٤.

إحْياءُ المَوْتَى

ماذا تقولُ وما الذي توطّنُ عليه معتقدَكَ، وتوطّدُ عليه رأيَكَ عندما تعلمُ أنّ لهم إحياءَ الأمواتِ، وقد تكرَّرَتْ لهم هذهِ القضيةُ، أيُحيي البَشريُّ بشرًا مثلَهُ، وقد أدركَهُ الموتُ ودُفِنَ، وأتت عليهِ أيامٌ طوالٌ؟!؟ بلى. إنه الأمرُ المدهِشُ المذهِلُ. «أتى رجلٌ إلى الكوفةِ ومعهُ ميتٌ فقالَ: مَن هو الذي نصرَ محمدًا ﷺ واعتزَّ به سلطانُهُ؟ فقالَ أميرُ المؤمنين عليه السلامُ: أنا يا سعيد بن الفضل بن الربيع ومضى إلى آخرِ نسَبِهِ سَل ما بدا لكَ فأنا كنزُ الملهوفِ، وأنا الموصوفُ بالمعروفِ، أنا الذي قرعتني الصُّمُّ الصلابُ وهطَلَ بأمري صوبُ السحابِ، وأنا المنعوتُ في الكتابِ، أنا الطودُ والأسبابُ، أنا «ق والقرآن المجيد» أنا النبأ العظيمُ، أنا الصراط المستقيم، أنا ذو النبوةِ والسّطوة، أنا العليمُ أنا الحكيمُ، أنا الحفيظُ، أنا الرفيعُ، أنا بفضلي نطقَ كلُّ كتابٍ، وبعلمي شهِدَ ذوو الألبابِ أنا عليٌّ أخو رسولِ اللهِ ﷺ وزوجُ ابنتِهِ. فقالَ الأعرابيُّ. لا. بتسميتِكَ لا برمزِك، فقال عليٌّ عليه السلامُ: اقرأ يا أخا العَرَبِ: «لا يُسألُ عما يفعَلُ وهم يُسألون»[2] قالَ الأعرابيُّ بَلَغنا أنك تُحيي الموتى، وتُميت الأحياء، وتُفقِرُ وتُغني، وتَقضي في الأرضِ وتمضي، ليس لك

(١) سورة «ق» آية ١.

(٢) سورة الأنبياء آية ٢٣.

مطاولٌ يطاولُك، ولا مصاولٌ يصاولُكَ، أفهوَ كذلك؟ فقال (ع) قل ما بدا لكَ، فقالَ: معي ميتٌ نريدُ إحياءَه لنعلَمَ مَنْ قَتَلَهُ. قال عليٌّ (ع) غدًا يأتيك الفرَجُ، فاجتمعَ أهلُ الكوفة بالنجفِ، فقالَ عليٌّ عليه السلامُ للميتِ: يا مدرك بن حنظلةَ بن غسانَ... ومضى إلى آخرِ نسَبِهِ، وكانَ مضى على موتِهِ، أربعون يومًا، فقامَ وهو يقولُ لبّيكَ يا محيي العظامَ، وحُجَّةَ اللهِ في الأنامِ، والمتفرّد في الفضلِ والإنعامِ، لبّيكَ يا عليُّ يا عَلاّمُ، فقالَ عليٌّ عليهِ السلامُ: أتمضي إلى أهلكَ؟ فأبى أن يذهبَ إلى أهلِهِ وبقي عندَ أميرِ المؤمنين (ع) إلى أنْ قُتِلَ معهُ في صِفّينَ»[1]. وقتلَ أبو بكرٍ الصّديقُ أمَّ فروةَ[2] لأنها قالَتْ له: لسْتَ إمامًا. فالإمامُ هو الذي لا يجوزُ عليهِ الجورُ، ويعلمُ ما في الباطنِ والظاهرِ، وما يحدثُ في المشرقِ والمغربِ، ولا يُرَى له فيءٌ في شمسٍ ولا قمرٍ، وأفاضَتْ في كثيرٍ من ذلكَ، وسألَتْهُ أسئلةً أعجزَتْهُ، وسألَها عن قولها في علي (ع) فقالَتْ: ما عسَى أنْ أقولَ في إمامِ الأئمةِ، ووصيِّ الأوصياءِ، مَنْ أشرقتْ بنورِهِ الأرضُ والسماءُ، ومَنْ لا يتمُّ التوحيدُ إلا بحقيقةِ معرفتِهِ، فأمَرَ بقتلِها، وكانَ عليٌّ عليه السلام في وادي القرى، فلما قدِمَ وبلغَهُ قتلُها خرجَ إلى قبرِها وإذا عندَ قبرِها أربعةُ طيورٍ، فرفرفْنَ وقرقرْنَ فأجابَهُنَّ بكلامٍ يُشْبِهُ كلامَهُنَّ ثم قالَ: أفعلُ. فانشقَّ وخرجَتْ أمُّ فروةَ متلفَّعةً بريطةٍ خضراءَ، وقالَتْ: أرادَ ابنُ أبي قحافةَ أن يطفئَ نورَكَ فأبى اللهُ لنورِكَ إلا ضياءً[3]... وإحياؤه سعدَ بنَ

---

(١) عيون المعجزات مصدر سابق صفحة ٢٩-٣٠. وصحيفة الأبرار ج٢، ص٧٦.

(٢) أم فروة أمرأة من الأنصار كانت تحض الناسَ على نكثِ بيعة أبي مكر، وتحض على بيعة علي (ع)، صحيفة الأبرار ج٢، ص٨٢. وفي نهج البلاغة لابن أبي الحديد تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار احياء الكتب العربية، ط٢، ١٩٦٥ ص١٨١. ورد أن أم فروة هي بنت أبي قحافة أخت أبي بكر.

(٣) صحيفة الأبرار ج٢، ص٨٢-٨٣.

مسعدة[١]، وأُتِيَ عليٌّ الهادي بأكمة فأبرأه[٢]، وهيّأ منَ الطينِ كهيئةِ الطيرِ ونفخَ فيه فطارَ، فقيلَ لهُ: لا فَرْقَ بينَك وبين عيسى فقال: إنه مني وأنا منهُ[٣] قل عن هذا وضعفِهِ وأضعافِ ضعفِهِ، واقرنْ إليهِ قولَهُ سبحانَهُ «ومَنْ أحيا نفسًا فكأنّما أحيا الناسَ جميعًا»[٤] وأخبرني بعدَ ذلكَ: هل أُخِذْتَ كما أُخِذْتُ وسُلِبْتَ كما سُلِبْتُ.

---

(١) لم نعثر على هذا الخبر بعينه ولكن عثرنا على كثير من أخبار إحيائه الموتى في مدينة المعاجز.

(٢) عيون المعجزات مصدر سابق ص١٣٤، وصحيفة الأبرار ج٢، صفحة ٢٧٢.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) سورة المائدة آية ٣٢.

نتف من معاجزهم عليهم السلام

إليك نُتَفًا مِن معاجزِهم (ع) تتضمَّنُ بعضَ مالهم مِنَ التصرُّفِ بالماهياتِ والتحكُّمِ التامِّ بالزمانِ والمكانِ، فإذا قرأتَهُ وتدبرْتَهُ أعطِني رأيَكَ وأخبرني عن تأثيرِهِ بكَ هل جلَبَ لكَ الحيرةَ كالعادةِ، أمِ استسغْتَه فتلقَّيتَهُ بالقلبِ الباردِ والعقلِ المطمَئِنِّ أما أنا فواللهِ لم أمُرَّ بشيءٍ مِن هذا القبيلِ حاضِرَ الذهنِ إلا وأحدَثَ فيَّ تغيُّرًا ربَّما ارتعَدَ له جسمي، وتبلبل فكري، فاسقِني مِن بارِدِ فكرِكَ، واجعلْني مِن معرفتِكَ على ما أطمئِنُّ به، وفقكَ اللهُ. «عادَ أميرُ المؤمنينَ (ع) صعصعةَ بنَ صوحانَ ففرحَ فقالَ لهُ: لا تفخَرَنَّ على إخوانِكَ بعيادتي إياكَ، ثُمَّ نظرَ إلى فِهرٍ في وسَطِ دارِهِ، فقالَ لأحدِ أصحابِهِ: ناولنيهِ، فأخذَه وأدارَهُ بكفِّهِ، فإذا به سفرجلةٌ فدفعَها إلى صاحبِهِ وقالَ، قطِّعْها وأعطِ كلَّ واحدٍ قطعةً، وأعطِني قطعةً، فأدارَ قطعتَهُ بكفِّهِ، فإذا هيَ تفاحةٌ فقالَ: قطِّعْها وأعطِ كلَّ واحدٍ قطعةً، وأعطِني قطعَةً، فأدارَ قطعتَه بكفِّهِ، فإذا هيَ فهرٌ، فرمى بهِ إلى صحنِ الدار[1] وهجَم مِن أهلِ الشامِ بصفّينَ على جيش علي (ع) عشرونَ ألفًا على عشرين ألفَ أشهبَ متسربلينَ بالحديد، كأنهم صفحةٌ وواحدةٌ، ما تُرى منهم إلا الحَدَقُ تحتَ المغافيرِ فهالُوا أهلَ العراقِ، فابتدَرَهم أميرُ المؤمنين (ع)، ومَن نجا منهم فَرَّ،

---

(١) مدينة المعاجز ص٧١ وعيون المعجزات ص٥١. والفهر هو الحجر ملء الكف.

فلامَهم معاويةُ فقالَ كلٌّ واحدٍ منهم: كنْتُ أرى عليًّا يحمِلُ عليَّ، وكلما التفتُّ ورائي وجدْتُهُ يقفو أثري، قالَ معاويةُ: ويلَكم، إنَّ عليًّا لواحدٌ فكيفَ كانَ وراءَ كلِّ واحدٍ منكم»[1] ومِن أعجبِ الأمورِ - وكلُّها عجائبُ - «إخراجُهُ مِن صخرةٍ في جبلٍ عدةَ نياقٍ حُمْرِ الوبرِ سودِ المقَلِ، لوفاءِ دَينٍ كانَ على رسولِ اللهِ ﷺ[2]» «وإشعالُهُ النارَ مِن غصنٍ أخضَرَ يقطرُ منه الماءُ»[3] و«كم كلمتْهُ الجماجمُ النَخِرَةُ»[4] و«كم كلمتْهُ السباعُ فشكَتْ إليهِ الجوعَ وعَرَضَتْ عليهِ النصرَ»[5] «ونظرَ مرةً إلى شجرةٍ وقَعَ لحاؤها، وبقيَ عمودُها، فضربَها فاخضرَّتْ وأثمَرَتْ فأكلَ منها أولياؤه، ولم يقدرْ على الأكلِ منها أعداؤه، فقال عليه السلامُ: «وكذلكَ الجنةُ لا يَنالُ منْها إلا أولياؤنا»[6] وأعجبُ مِن هذا العجَبِ كلِّهِ، قلبُهُم الماهياتِ، وتصرُّفُهمُ التامُّ بالمكانِ والزمانِ مَع أنَّ الزمانَ هو الموجدُ الحقيقيُّ الوحيدُ الذي كوَّنَ الجبالَ مِن حُبَيباتِ الرمالِ، ورَفَعَ الخليةَ التي اشتملَتْ على أصلِ الوجودِ النوعيِّ إلى مَقامِ الإنسانِ، وكلُّ ظاهرةٍ وكلُّ حادثةٍ لا تتغيَّرُ ولا تتحولُ إلا بالزمانِ، وورَدَ بما مَعناه: أنَّ النملةَ إذا امتدَّ أمامَها الزمانُ وسعَها أن تجعَلَ الجبلَ الرفيعَ مَهادًا، ولو أنَّ موجودًا تمكَّنَ مِن تصريفِ الزمانِ كما يشاءُ لكانَ صاحبَ القوةِ التي يقرُبُ بها المؤمِن من الواحِدِ الديّان. وأنتَ تعلمُ أنَّ أميرَ المؤمنينَ عليهِ السلامُ قالَ: «أنا الدهرُ، بيدي الليلُ والنهارُ»[7] والمكانُ هو السطحُ الحاوي للسطح المحويِّ فإذا تصرَّفَ بالمكانِ فما بالكَ بالمحويِّ، أليس

---

(1) صحيفة الأبرار ج٢ ص٣٤ و٣٥.

(2) صحيفة الأبرار ج٢ ص٥٥، وإرشاد القلوب ط١٩٧٨، ص٢٧٨.

(3) عيون المعجزات ص٥٠.

(4) صحيفة الأبرار ج٢، ص٨٤ و٨٥.

(5) بحار الأنوار ج٤١ ص٢٣٣.

(6) إرشاد القلوب ص٢٧٨.

(7) بيان السعادة ج٢ ص٧٢. قال أمير المؤمنين «أنا الأعوام والدهور وأنا الأيام والشهور».

يكونُ تحتَ التصرُّفِ أيضًا؟. «قالَ إمامٌ منهم لرجلٍ رَدَّ حكمَهُ وزعمَ أنه ظلَمهُ، أنتَ امرأةٌ بينَ الرجالِ، فخرَجَ، فوجَدَ نفسَهُ امرأةً فهامَ على وجهِهِ فوَصَلَ إلى قريةٍ منكورةٍ وتزوّج وولِدَ له أربعةُ بنينَ، ورجعَ إلى قريتِهِ لِيرى أهلَهُ فوجد نفسَه رجلاً، وعندَما رجعَ إلى بيتِهِ وجدَ البيتَ على حالِهِ لم يتغيّرْ وضعُه كما تركَهُ، فسألهم متى خرجْتُ؟ فقالوا: الساعةَ، لم نأكلْ ولَمْ نشرَبْ بعدَ خروجِكَ فأخبَرهم بما جرى معه»[1] وقالَ رجلٌ لعليٍّ (ع): «قتلْتَ الرجالَ وأيتمْتَ الأطفالَ، وفعلْتَ... وفعلْتَ فقالَ له اخسأْ فصارَ كلبًا»[2] وقد تكررتْ هذه القضايا عنهم جميعًا حتى كانَ أحدُهم ينظرُ للصورةِ على بساطٍ أو غيرِهِ فيقولُ لها قُومي وافعلي و.. والخ... فتقومُ حيّةً «كما جرى للرِّضا عليهِ السلامُ مَع الرشيدَ وقد أحضَرَهُ ليستهزئ به مشعوذٌ عندَهُ، فلما حضَرَ الرِّضا لم يرُقْهُ المجلسُ فأطرقَ، فضَرَب المشعوذُ يدَهُ تحتَ إبطِهِ وأخرجَ رغيفًا وقدَّمَهُ للرِّضا وقالَ: لعلكَ جائعٌ، فلم يرفَعْ رأسَهُ، فضَرَبَ المشعوذُ يدَهُ اليُسرى تحتَ إبطِهِ الأخرى فأخرجَ بيضةً وقالَ هذه إدامُ الرغيفِ، وكانوا على بساطٍ يجمَعُ شتّى صورِ الوحوشِ، فأشارَ الرضا (ع) إلى صورةِ سبعٍ وقالَ: قُمْ فكُلْهُ، فتمطّى أسدٌ عظيمٌ فأكلَهُ، وغَشيَ على الجميعِ، فلما أفاقوا قالَ للأسدِ: عُد لحالِكَ، فعادَ صورة كما كانَ، فرجا الرشيدُ الرضا (ع) أن يُرجِعَ له المشعوذ. فقال: «حتى تُرجِعَ عصا موسى سحرَ السحرة»[3]. «وكانوا يختمونَ الحجَرَ فيُسرِعُ الختمُ كأنه على طينٍ»[4]. «ويحرِّكونَ خيطًا عندَهم ـ وكأنه مِن المواريثِ ـ تحريكًا ضعيفًا، فتقعُ الزلازلُ والاهتزازاتُ

---

(١) بيان السعادة ج٢ ص٤٣٢.

(٢) العلويون بين الحقيقة والأسطورة ص٢٥٣.

(٣) وردت الحادثة منسوبة للإمام موسى الكاظم في صحيفة الأبرار ج١، ص١٩٩ وفي عيون أخبار الرضا ص٩٠.

(٤) مدينة المعاجز ص٥٠٥.

العنيفـةُ أنّـى يشـاؤون »[١] و« يُنبعـونَ الماءَ مـنَ الأرض كلّما شـاؤوا »[٢] و« يُطعمونَ الرطَب في غيرِ أوانِهِ »[٣] و« يكتبُ قلمُهُمْ ما يشاؤونَ دَونَ أن يقبضُوا عليه »[٤] و« يحضرُ واحدُهم معَ شيعتِهِ وهو في السجنِ في أيِّ مكانٍ شاؤوا، فيذهبونَ عنْه بالآياتِ والمعجزاتِ، والموكولونَ به يرونَه في السجنِ لم يبرحْهُ »[٥] واشتكى رجلٌ لأميرِ المؤمنينَ (ع) أنّ صيرفيًا غصبَه زوجتَه فبعَثَ إليه فجاءَ، فقالَ له: يا لعينُ يا بنَ اللعينِ، والزنيمُ بن الزنيمِ، أما تعلمُ أني أعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تَخفي الصدورُ، وأني حُجّةُ اللهِ بينَ عبادِهِ، ثم قَرَعَهُ بقضيبٍ على كبدِهِ، وقالَ اخسأ، فمُسخَ سُلحفاةً. ثم تلا أميرُ المؤمنينَ قولَه تعالى: « ولقد علمتُم الذينَ اعتدَوا منكم في السبتِ فقلنا لهم كونوا قِرَدةً خاسئين »[٦] ثم أنشد عليهِ السلامُ:

يقـــولُ قلــبي لطــــرفي أأنــــتَ كنـــتَ الـــدليــلا
فقــــالَ طـــــرفي لقلـــبي أأنـــت كنـــتَ الرســـولا
فقلــــتُ كُفّـــا جميعًـــا تـــــركتماني قتيـــلا[٧]

فاقرأْ واعجَبْ وأعطِني رأيَكَ، ولا تدّخرْ عني شيئًا.

---

(١) عيون المعجزات ص٨٢-٨٣.
(٢) صحيفة الأبرار ج٢ ص١٥٤.
(٣) عيون المعجزات ص٦٦.
(٤) صحيفة الأبرار ج٢ ص٢٨٤.
(٥) الهداية الكبرى ص٢٦٥- ٢٦٦ من حديث طويل.
(٦) سورة البقرة آية ٦٥.
(٧) الحادثة مفصلة في عيون المعجزات ص٤٢ و٤٣ - وفي صحيفة الأبرار ج٢، ص٩٩.

تَعْرِيفُهُم عَن أنْفُسِهِم عَلَيْهِم السَّلامُ

تعالَ معي - يَرحمُكَ اللهُ - لنرى تعريفَهم عن أنفسِهم، ودلالتهم على مكانتِهم، فهنا واللهِ - الأمرُ العجيبُ والسرُّ الغريبُ الذي أقفُ دونَه متحيرًا، وألجهُهُ مندهشًا، وأخرجُ منه تعبًا وجِلاً فأعنّي على تحليلِهِ وشرحِهِ كما عودتني أيّدَكَ اللهُ. قالَ الباقِرُ (ع): «إنّا مِنَ اللهِ بمكانٍ ومنزلةٍ رفيعةٍ، فلولانا لم يخلقِ اللهُ سماءً وأرضًا، ولا جنةً ولا نارًا، ولا شمسًا ولا قمرًا، ولا جنةً ولا إنسًا، ولا يُقاسُ بنا أحدٌ، بنا - واللهِ - أنقذكُمُ اللهُ، وبنا ألعشكم، وبنا هداكم، نحن - واللهِ - دلّلْنا على ربّكم، فقفوا عندَ أمرِنا ونهيِنا، ولا تردُّوا علينا ما أوردْناه عليكم»[1] وتدبّرْ قولَهُ ﷺ لعليٍّ: «يا عليّ ما عرّف اللهَ إلا أنا وأنتَ، وما عرّفني إلا اللهُ وأنتَ، وما عرفَكَ إلا اللهُ وأنا»[2] فما هذه الشركةُ بالمعرفةِ معَ الانفرادِ؟! ومع هذا فحكمُ ذريتِها الاثني عشرَ حكمُها، وانظرْ قولَ عليٍّ: «لو أرَدْتُ أن أجوبَ الدنيا بأسرِها، والسماواتِ السبعَ بأقلَّ مِن طَرفةِ عينٍ لفعلْتُ»[3]. وقالَ الصادقُ (ع): «لو أُذِنَ لنا أن نعْلِمَ الناسَ حالَنا عندَ اللهِ ومَنزِلتَنا منه لما احتملُوا فقالَ له المفضَّلُ (ع): العلم؟! قالَ:

---

(١) عيون المعجزات ص٨٥.

(٢) صحيفة الأبرار ج١ ص٢٩٥.

(٣) مشارق أنوار اليقين (ص٤٣).

العلمُ أيسرُ مِنْ ذلكَ. إنَّ الإمامَ وَكْرٌ لإرادةِ اللهِ لا يشاءُ الإمامُ إلا ما يشاءُ اللهُ»[1] فعرِّفْني ما هذا السرُّ الذي لم يؤذَنْ لهم بنشرِهِ بعدَ هذا الذي نشروه؟! إنها اللبكةُ بعينِها والارتباكُ بذاتِهِ ثمَّ ألا تزدادُ ارتباكًا عندما تراهم يفضِّلونَ أنفسهم على الرُسُلِ بقولِ الإمام الصادقِ (ع): «إنَّ اللهَ تعالى جعَلَ بينَه وبينَ الرسولِ سبيلاً ولم يجعَلْ بينَه وبينَ الإمام رسولاً. قيلَ له: وكيف ذلكَ؟ قالَ: جعَلَ بينَه وبينَ الإمامِ عمودًا مِن نورٍ ينظرُ به اللهُ تعالى إلى الإمام وينظرُ الإمام به إلى اللهِ فإذا أرادَ علمَ شيءٍ ينظرُ إلى ذلكَ العمودِ النوريِّ»[2]. وأغربُ منه قولُه (ع): «اجعلوا لنا ربًا نؤوبُ إليه وقولوا فينا ما شئتُم. فقيل له: نجعلُ لكم ربًّا تؤوبونَ إليه ونقول فيكم ما شئنا؟! فاستوى وقالَ: وما عسى أن تقولوا؟! واللهِ ما خرَجَ إليكم مِن علمِنا إلا ألفٌ غيرُ معطوفٍ»[3] ومثلُه وأغربُ منهُ قولُ زين العابدين (ع): «إنَّ اللهَ جلَّ ذكرُهُ ما خلَقَ العبادَ إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنَوا بعبادتِهِ عن عبادةِ مَن سواه. فقالَ له رجلٌ: يا ابنَ رسولِ اللهِ ﷺ بأبي أنتَ وأمي، وما معرفةُ اللهِ؟ قالَ: معرفةُ أهلِ كلِّ زمانٍ إمامَهم[4] وعنِ الإمامِ الباقِرِ: «نحنُ واللهِ ندخِلُ أهلَ الجنةِ الجنةَ، وأهلَ النارِ النارَ»[5] وعنِ الإمامِ الكاظِمِ: «إيابُ هذا الخلقِ إلينا، وحسابُهم علينا، فما كانَ مِن ذنبٍ لشيعتِنا بينَهم وبينَ اللهِ حتَمْنا على اللهِ في تركِهِ، فأجابَنا إلى ذلك، وما كانَ بينَهم وبينَ الناسِ استوهبْناه منهم فأجابوا ذلك»[6] وعنِ الصادق (ع)

---

(١) صحيفة الأبرار ج١، ص١٥٣.
(٢) بصائر الدرجات ص٤٦٠ وصحيفة الأبرار ج١، ص٢١٨.
(٣) بصائر الدرجات ص٤٦٠، وصحيفة الأبرار ج٢، ص٢١٨.
(٤) بصائر الدرجات ص٥٢٧ وصحيفة الأبرار ج١ ص٧٠.
(٥) بيان السعادة ج٤ ص١١٦، وصحيفة الأبرار ج١، ص١٠٢.
(٦) بيان السعادة ج٤، ص٢٥١.

مثلَهُ، ألا تَرى أيدكَ اللهُ - مِنَ الحيرةِ هنا كما رأيتَ هناك؟! إيابُ الخَلق وحسابُهم عليهم وهم على بشريتِهم إنها - وربِّكَ - مجاهلُ الحيرة، وبيداءُ الذهول. وسئِلَ الصادقُ «أيهما أفضلُ: الحسنُ أم الحسينُ؟ فقالَ: إنَّ فضلَ أولِنا يلحقُ فضلَ آخرِنا وفضلَ آخرِنا يلحقُ فضل أولِنا، نحنُ مِن شجرةٍ واحدةٍ برأَنا اللهُ مِن طَينةٍ واحدةٍ، نحنُ أمناءُ اللهِ عَلَى خلقِهِ والدعاةُ إلى دينِهِ والحجابُ فيما بينَه وبينَ خلقِهِ، خُلُقنا واحِدٌ وعلمُنا واحدٌ، أوّلُنا محمدٌ، وأوسطُنا محمدٌ وآخرنا محمدٌ، - وفي روايةٍ - وكلنا محمدٌ»[1].

(١) بيان السعادة ج٤، ص٢٥١.



الإسْراءُ وَالمعْراج

انتقلْ معي بعد ذلكَ إلى حيرةٍ أخرى نحلُّ عقدَها، وبلبلةٍ ثانيةٍ نوضحُ مشكلَها وهيَ قضيةُ المعراجِ، اتفقتْ سائرُ الفِرَقِ الإسلاميةِ أنه ﷺ عَرَجَ إلى السماءِ ولكنّهُم اختلفُوا في أنّه عَرَجَ بجسمِهِ البشريّ أم بروحِهِ النوريةِ، وبينَهم على ذلكَ معارِكُ طاحنةٌ، فالذين زعمُوا أنه ﷺ عَرَجَ بجسمِهِ البشريِّ يحمِلُهُ البراقُ ـ دابةٌ لها جناحانِ وجهُها وجهُ رجلٍ جميلٍ، تضعُ رجلَها حيثُ تضعُ عينَها[1] ـ وهم جمهورُ المسلمينَ ويستشهدون على إثباتِ ذلكَ بما رواهُ الرضا عن عيسى بن مريمَ (عليهما السلام): «لا يصعَدُ إلى السماءِ إلا مَن نزلَ منها، إلا راكبُ الجملِ، فإنه يصعدُ وينزِلُ»[2] وعندما يحاججُهم منكرو العروجِ بالجسمِ يقولونَ هكذا أرادَ اللهُ. ومنكرو المعراجِ بالجسمِ يقولونَ: لا يجوزُ أن يعرجَ إلى السماءِ إلا مَنْ نزَلَ منها، وهو رأيُ الفلاسفة مِنَ المسلمين، وكما تعلمُ أنّ الفلاسفةَ لا تستسلمُ عقولُهم إلا لما كانَ معقولاً. فهل يُحَلُّ هذا المشكِلُ بما ورَدَ عنِ الأئمةِ أجمعَ: «أنَّ اللهَ خلقَ

(١) البراق: دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه وسمّي بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه وقيل لسرعة حركته شبه فيها بالبرق. حدائق الأنوار ص٣٨٣.

(٢) راكب الجمل: محمد ﷺ الاحتجاج، ج٢، ص٢٠٨.

أرواحَهم مِن علِّيينَ ولم يجعَلْ لأحدٍ غيرِهم ممن خلَقَهم نصيبًا في ذلك، وخلقَ أبدانَهم مِن دون ذلك من طينةٍ مخزونةٍ تحتَ العرشِ، وخلقَ أرواحَ شيعتِهم مما خلَقَ منه أبدانَهم، ولهذا فإنَّ أرواحَ المؤمنينَ تهوي إليهم»[1] وبالإجماع إنَّ أرواحَ المؤمنينَ أنوارٌ هبَطَتْ مِنَ الملأ الأعلى، وهذا يعني أنَّ أبدان الأئمةِ (ع) أنوارٌ ألطفُ وأشفُّ مِن أرواحِ المؤمنينَ، ومما لا شكَّ به أنَّ كلَّ ما كوِّنَ مِن عالَمِ الغيبِ وعالَمِ الشهادةِ نوعانِ: قديمٌ ومحدَثٌ فالقديمُ لكلٍّ منهم يسمونه روحًا والمحدَثُ يسمّونَه جسمًا، فهل يصحُّ بعدَ ذلك أن نقولَ إنه عرَجَ بروحِهِ وجسمِهِ، وإلا فعلَّكَ تجدُ لنا مخرجًا ثانيًا؟! وليست هذه هي المشكلة الوحيدةُ بالمعراج، بلِ المشكلةُ هي أنَّ العرشَ الذي هو محلُّ استواءِ اللهِ فوقَ عالَمِ الإمكانِ وفوقَ عالَمِ العقولِ والملائكةِ المقربينَ لا يدنو منهم أحَدٌ مِنَ الملائكةِ إلا احترَقَ، ولمّا وَصَلَ ﷺ إلى السماءِ السابعةِ انقطعَ عنه جبريل (ع) فقالَ له ﷺ: أبمثلِ هذا الموضعِ؟! قال جبريلُ (ع): «لو دنوتُ قدرَ أنملةٍ لاحترقْتُ»[2] فإذا ميكائيلُ، فسارَ أمامَهُ ما شاءَ اللهُ، ثُمَّ انقطَعَ، وقالَ: نحن الحافونَ حولَ العرشِ لا نقدرُ أنْ نسلكَ الجبروتَ وإلا احترقْنا بالنورِ، وإذا بصوتٍ يقولُ: ادنُ مني يا محمد، فكلَّمهُ الربّ بلسانٍ كأنه لسانُ علي (ع)، فكيف يا رعاكَ اللهُ - قدرَ محمدٌ ﷺ أن يتجاوز ببشريتِهِ عالَمَ الإمكانِ إلى عالمٍ لا ممكنٍ ولا واجبٍ وهو العرشُ مع أنَّ الحافينَ حولَه لا يقدرون على الوصولِ إليه؟! ويدخل على حضرة الحقِّ سبحانَه، ويتحادثانِ، ويضع اللهُ يدَه على كتِفِ محمد ﷺ. وأغربُ ما فيه - وكلُّهُ غريبٌ - أنه حينَ بلغَ مقامَ القربِ «خاطَبَهُ عليٌّ ومدّ له يدَهُ مِن وراءِ الحجابِ كما هو مبسوطٌ في محلِّهِ، ولكنهم أخرجوا لذلِكَ شرحًا مضمونُهُ أنَّ

---

(١) الأصول من الكافي ص٣٨٩ ج١.

(٢) بيان السعادة ج٢ ص٤٣٢.

عليًا (ع) عرجَ بروحانيتِهِ، وبذلكَ كانَ تكليمُه له، ومَدّ يدَه إليه مِن وراءِ الحجابِ بمقامِهِ العلْويّ لا ببدنِهِ الطبيعيّ، والفضلُ في المِعراجِ للبدنِ الطبيعيّ»[1]. فتفهّمْ هذا جيدًا لعلك تقدر على إخراجي مِن حيرتي به.

(١) نفس المصدر ص٤٣٢.



رَدُّ الشَّمسِ وخطابُها له عليه السَّلام

تعالَ مَعي إلى ما يصغُرُ مَعه ويسهُلُ دونَهُ إحياءُ الموتى وعلمُ المغيّباتِ وهو ردُّ الشمسِ بعدَ مَغيبِها، وأنت تعلمُ أنّ الأفلاكَ: عطاردَ، الزهرة، المرّيخ المشتري، وسائر الكواكبِ السيارةِ تدورُ حولَ الشمسِ. وهذا النظامُ الشمسيُّ لو اختلَّ قيدَ شعرةٍ اختلَّ نظامُ المكوَّناتِ، وأدّى اختلالُهُ إلى فسادِها وخرابِها فما قولُكَ أيدَنا اللهُ وإياكَ بروح منه ـ بردِّ الشمسِ بعدَ مغيبِها إلى أوانِ عصرِها، مع بقاءِ المكوَّناتِ محفوظةً مِنَ الفسادِ والانحلالِ؟ وقد أيدَ هذهِ الواقعةَ أكثرُ العلماءِ منَ الفريقينِ، إنَّ أميرَ المؤمنينَ (ع) ردَّ الشمسَ وبقيتْ إلى أن صلى العصرَ، واستفاضَ هذا الخبرُ حتى كادَ أن يستوطنَ كلَّ كتابٍ، ويفتنَ جميعَ الألبابِ، ولم يُروَ خبرُ ردِّ الشمسِ إلا ليوشعَ بنِ نون وصيِّ موسى عليهما السلام ولعليٍّ وصيِّ محمد (عليهما السلامُ). قال الحميريُّ[1]:

رُدَّتْ عليهِ الشمسُ لما فاتَهُ ... وقتُ الصلاةِ وقد دنَت للمغربِ
حتى تبلّجَ نورُها مِن وقتِها ... للعصرِ ثُمَّ هوَتْ هويَّ الكوكبِ
وعليهِ قد ردَّتْ ببابلَ مرةً ... أخرى وما رُدَّتْ لخلقٍ معربِ
إلا ليوشعَ أو له ولحبسِها ... ولردِّها تأويلُ أمرٍ معجبِ

(١) ترجمة الإمام علي لابن عساكر ص٣٠١.

وقالَ علامةُ المعتزلةِ ابنُ أبي الحديدِ:

يا مَن لـه ردَّتْ ذكـاءُ ولم يَفُـزْ بنظيرِهـا مِـن قبـلُ إلا يـوشَـعُ
تاللهِ لولا حيـدرٌ مـا كـانـت الد نيـــا ولا جمعَ البريـــةَ مجمَعُ(١)

وقالَ حسانُ بن ثابتٍ الأنصاريُّ:

يـا قـومُ مَـــن مِثـلُ عليٍّ وقـد رُدَّتْ عليـهِ الشمسُ مِـن غـائـبِ
أخــو رســولِ اللهِ وصهــرُهُ والأخُ لا يُعـدَلُ بـالصـاحـبِ(٢)

وقال أحدُ شعراءِ الإمامية:

إمامُ هدًى ردّت له الشمسُ جهـرةً فصلّـى أداءً عصرَهُ بعـدَ مَغْـرِبِ
ومِـن قبلِـهِ أفنـى سليمانُ خيلَـهُ رجاءً فلم يبلـغ بها نيـلَ مطلَـبِ(٣)

وأعجبُ مِن هذا خطابُها له بألفاظٍ إلهيةٍ، ونعوتٍ معنوية يَحارُ دونَها اللبُّ ويعجز دونَ حلِها الفهمُ، بعدَ أن شكتْ إلى اللهِ شوقَها لهُ، فأوحى اللهُ إلى محمد ﷺ أن يأمرَ عليًا أن يخرجَ إلى البقيع بعدَ أنْ يصَلِّيَ مع رسولِ اللهِ ﷺ صلاةَ الصبحِ فيسلمَ على الشمسِ فخرَجَ إلى البقيع، يتبعُه ملأٌ مِنَ الناسِ فلما بزغَتْ الشمسُ قالَ لها: «السلامُ عليكِ يا أولَ خلق الله الجديد»، فقالت بلسانٍ عربيٍّ فصيح: «السلام عليك يا أولُ، يا آخِرُ، يا باطنُ، يا ظاهِرُ، يا مَنْ أنتَ بكلِّ شيءٍ عليمٌ»(٤) ففزعَ الناسُ إلى رسولِ الله ﷺ من هَولِ ما سمعُوا، وقد طاشت منهمُ العقولُ وذهلتِ الأحلامُ، فقالوا يا رسولَ

(١) سلوني قبل أن تفقدوني ج١، ص٢٦ وص٢٩.
(٢) ينابيع المودة ج١ ص١٣٧.
(٣) نهج شرح البرغة ابن أبي الحديد م٢، ص١٠٠ «وسلوني» ج١، ص١٦٨.
(٤) عيون المعجزات ص١٤.

اللهِ: سمعْنا الشمسَ تخاطبُ عليًا (ع) كما يخاطَبُ بهِ ربُّ العزةِ. فسكَّنَ قلوبَهم، ولطّفَ مِن حيرتِهم، وقالَ لهم شارحًا قولَها: «بأنه أولُ مَن آمنَ بهِ ﷺ وآخِرُ الأوصياء لآخِرِ الأنبياء، وأنه يعلمُ علمَ الباطنِ مِن رسولِ اللهِ، وأنه ظاهِرٌ بسيفِهِ على الأعداء»[١] قالَ أبو محمدٍ العونيُّ[٢]:

إمامي كليمُ الشمسِ راجعَ نـورهـا   فهل لكليمِ الشمسِ يا قومُ مِن مِثْلِ

وقالَ ابنُ حَمّادٍ[٣]:

مَـن كلمتْـه الشمسُ لما سلّمَـتْ   جهرًا عليه، - وكلُّ شيءٍ يَسمَـعُ -
يـا أولاً، يـا آخِـرًا، يـا ظـاهـرًا   يا باطنًـا، في الحُجْـبِ سرٌّ مـودَعُ

وقالَ ابنُ هانئٍ المغربي[٤]:

والشمسُ حـاسرةُ القِنـاعِ وودُّهـا   لـــو تستطيـــعُ الأرضَ والتقبيلا
وعـــلى أمـــيرِ المؤمنـــينَ غمامـةٌ   نشـــأتْ تظلّـــلُ تـــاجَـــهُ تظليلا
ومديرها مِـن حَيـثُ شـاءَ وطـالما   راحَـــتْ تحتَّ ظلالَـــــهُ جبريلا

وكثيرٌ مِنَ الشعراء مَنْ روى هذين الخبرين مِن يومِها لوقتِنا، فروِّ منها عقلكَ وأشبعْ فهمَكَ وعرّفني ما يَتُمُّ لك بعدُ.

---

(١) نفس المصدر ص١٥.
(٢) مناقب آل أبي طالب ج٢، ص٣٢٣.
(٣ و٤) نفس المصدر ج٢، ص٣٢٣ وص٣٢٤.

إنطاقُهم عليهم السَّلامُ الجمادات

إليكَ ـ رحِمَنا الله وإياكَ ـ أمرًا آخَرَ مِن أمورِهم، وشأنًا متعاظمًا مِن شؤونِهم مُرًّا عرضُه، صعبًا تصديقُهُ، ولكنه ثابتٌ ثبوتًا لا يجوزُ الشكُّ بهِ، وهوَ إنطاقُهم الجمادَ والحيَوانَ. أنّى للجمادِ وهو الأصمُّ الأبكمُ الفاقِدُ الحسَّ والحركةَ وأنَّى للحيَوانِ الأعجمِ الفاقِدِ العقلَ والشعورَ ـ وإذا شعَرَ فلا شعورَ له بشعوره ـ أن يصبحَ كلٌّ منهما ذا عقلٍ مميِّزٍ وشعورٍ تامٍّ يخاطِبُ باللسانِ الفصيح، وبالإدراكِ والتعقُّلِ، أنَّى ذلك؟؟؟! عرّفْني ـ عرَّفكَ اللهُ الخيرَ والسعادةَ. قالَ جابرٌ: كانَ لي ولَدٌ حصلَتْ له عِلةٌ صعبةٌ، فسألْتُ رسولَ الله ﷺ لأجلِهِ، فقالَ: سَلْ عليًا، فتداخلَني قليلُ ريبٍ، وذهبْتُ إليه وهو في الجبّانةِ فحدثْتُهُ بحديثِ رسولِ الله ﷺ فقالَ لنخلةٍ كانت هناكَ: مَنْ أنا؟ قالَتْ أنتَ أميرُ المؤمنينَ، ووصيُّ رسولِ ربِّ العالمينَ، أنت الحُجَّةُ العظمى والآيةُ الكبرى. فقالَ لي: قد زالَ الآنَ الشكُّ مِن قلبِكَ، أكتمْ ما سمعْتَ ورأيتَ عن غيرِ أهلِهِ»[1] وليس هذا ـ على غرابتِهِ ـ بأغربَ مِن احتكامِ زينِ العابدينَ (ع) وعمِّهِ محمدِ بنِ الحنفيةِ إلى الحجرِ الأسودِ، وقد تنازعا لأجلِ الإمامةِ، فلما أتَيا الحجرَ قالَ: إنّ الوصيّةَ والإمامةَ بعدَ الحسينِ بنِ

---

(١) عيون المعجزات ص٤٢.

عليٌّ، لعليِّ بنِ الحسينِ بنِ علي بنِ فاطمة بنتِ الرسولِ»(١). ونظرَ أميرُ المؤمنينَ مرةً إلى السماءِ فقالَ: «أحسنتَ أيّها الطيرُ - إذ نطقتَ بفضلِهِ - فوقعَ الطيرُ على يدِهِ وقالَ السلامُ عليكَ يا أميرَ المؤمنينَ»(٢). قالَ أميرُ المؤمنينَ (ع): «كنتُ أخرجُ معَ رسولِ اللهِ ﷺ إلى أسفلِ مكةَ فلا يمرُّ بحجَرٍ ولا شجرٍ إلا قالَ: السلامُ عليك يا رسول اللهِ» وكانَ يأكُلُ والطعامُ يسبِّحُ»(٣) وقد سألَهُ ابنُ مُكرزٍ آيةً فدعا بتسع حصياتٍ فسبَّحْنَ بيدِهِ، ووضعَهنَّ على الأرضِ فسكتْنَ، فأخذَهنَّ فسبَّحْنَ» وقال لهُ اليهودُ مرةً: «زعمْتَ أنَّ الأحجارَ ألينُ مِن قلوبِنا، وأطوعُ للهِ منا، فاستشهِدْ هذه الجبالَ على تصديقِكَ، فأمَرَ الجبلَ فتحرَّكَ وفاضَ منه الماءُ، وقالَ أشهدُ أنكَ رسولُ ربِّ العالمين»(٤) و«مثلُ ذلكَ خطابُ ضبٍّ»(٥) «وتفجُّرُ الماءِ مِن بينِ أصابعِهِ إلى أن رُوِيَ العسكرُ»(٦) إلى ما لا يكادُ يُحصى. «قالَ أميرُ المؤمنينَ ليهوديٍّ وقد رآه يحملُ حوتين: بكمِ اشتريتَ أبويكَ؟! فصاحَ اليهوديُّ واجتمعَ الناسُ، وأشارَ أميرُ المؤمنينَ إلى أحدِ الحوتين، وقالَ أقسمْتُ عليكَ مَن أنا ومَن أنتَ؟ فقالَ: أنت أميرُ المؤمنين عليٌّ، وقالَ لليهوديِّ: أنا أبوكَ فلانُ بنُ فلانٍ، مُتُّ في سنةِ كذا والعلامةُ في يدِكَ كذا، وأشارَ إلى الأخرى، فأجابَت كالأولى: وقال لليهوديِّ: أنا أمُّكَ، وأعطتهُ علامة الوفاةِ وغيرَها، فآمَنَ اليهوديُّ»(٧) وكانَ عندَ أبي رواحةَ الأنصاري كلبٌ عاقَّ اثنينِ عن

---

(١) الاحتجاج ج٢، ص٤٧ ومدينة المعاجز ص٢٩٦ وصحيفة الأبرار ج٢ ص١٥٠-١٥٠ وعيون المعجزات ص٧٤.
(٢) بحار الأنوار ج٤١، ص٢٤١.
(٣) نور الأبصار ص٣٤، وبيان السعادة ج٢، ص٤٤٣ وحدائق الأنوار ص٢٢٧.
(٤) الاحتجاج ج١ ص٥١.
(٥) حدائق الأنوار ص٢٣١.
(٦) شرح نور اليقين ص٢٧٠.
(٧) عيون المعجزات ص٢٤.

الصلاةِ بأنْ مزّقَ ثيابَ كلٍّ منهما وخدشَ ساقَهُ، فاشتكيا لرسولِ اللهِ ﷺ فقامَ ومعه جماعة ليقتلَهُ فلما قدّمَ له الكلبُ ليقتلَه قالَ: «يا رسولَ اللهِ: إنهما ناصبيان يبغضان عليًّا ولولا ذلكَ ما تعرضْتُ لهما» فتركَهُ وأوصى بهِ خيرًا»[1]. «اختلفت امرأة ورجلٌ على جَملٍ كلاهما يدّعيهِ، فأمَرَ أميرُ المؤمنين عمارًا أن يمنعَ الرجلَ مِن ظلمِ المرأة فقال الرجلُ لعمّارٍ، ليشتغلْ عليٌّ بشغلِهِ ويغسلْ يدَه مِن دماءِ المسلمينَ. فخرج عليٌّ قبلَ دخولِ عمارٍ غاضبًا، فقالَ للرجلِ: خَلِّ عن جملِ المرأةِ. فقالَ: هو لي. فقالَ: كذبتَ يا لعينُ. قال: فمَن يشهدُ لها؟ قالَ: شاهدٌ لا يكذبُ وهو الجملُ. ثم قالَ عليهِ السلام للجمَلِ: لمن أنت؟ فقالَ: إني لهذهِ المرأةِ منذ تسع عشرةَ سنةً»[2] و«أصابَ الناسَ زلزلةٌ ففزعوا إلى عليٍّ فقعدَ على تلعةٍ ثم ضَرَبَ الأرضَ بيدِهِ، ثُمَّ قالَ ما لكِ؟ اسكني، فسكنَتْ. ثم قالَ: أنا الرجلُ الذي قالَ اللهُ تعالى عنه: «إذا زلزلتِ الأرضُ زلزالَها، وأخرجتِ الأرضُ أثقالَها وقالَ الإنسانُ مالها، يومئذٍ تحدِّثُ أخبارَها»[3] وضرَبَ الأرضَ برجلِهِ مرةً فتحركَتْ فقالَ: اسكني، فلم يَئِنْ لكِ. ثم قرأ: يومئذٍ تحدث أخبارها». وهذا البابُ كإخوتِهِ فأخبِرْني بعد وصولِكَ إلى هنا ماذا رأيتَ، وماذا قرأتْ؟ أيدنا الله وإياكَ.

---

(١) عيون المعجزات ص٢٢.

(٢) سلوني ج٢، ص٢٨٠.

(٣) سورة الزلزلة آية ١ـ٥.



أَمْرُهُم عَلَيْهِم السَّلام لا يُعرَفُ

بالرغم من دلالتِهم على مكانتِهم وإظهارِهم أمرَهم، وكثرةِ دعوتِهم العالَمَ إلى معرفتِهم، وتشديدِهم النكيرَ على مَن ندَّ عنهم، ورغمَ إثباتهمُ المعاجزَ لأنفسهم قولاً وفعلاً، وبالرغمِ مِن علمِهم بالمغيباتِ، وإظهارِهم كلَّ هذا فإنَّ أمرَهم - على ما يقولونَ - لا يعرَفُ. «عن رسولِ اللهِ ﷺ إن حديثَ آل محمدٍ صعبٌ مستصعبٌ لا يؤمِنُ بهِ إلا مَلَكٌ مقرَّبٌ أو نبيٌّ مرسَلٌ أو عبد امتحنَ اللهُ قلبَه بالعلم والإيمانِ فما ورَدَ عليكم مِن حديثِ آل محمد ﷺ فلانتْ له قلوبُكم وعرَفتموه فاقبلوه، وما اشمأزّتْ منه قلوبُكم وأنكرتموه فردوه إلى اللهِ وإلى الرسولِ وإلى العالمِ مِن آل محمد ﷺ، فإنما الهالكُ أنْ يحدِّثَ أحدكم بشيءٍ منه لا يحتملُهُ فيقولُ: واللهِ ما كانَ هذا، واللهِ ما كانَ هذا. والإنكارُ هو الكفرُ»[1] وسألَ ثلاثةُ رجالٍ الحسينَ عليه السلامُ أن يحدِّثَ بعضَهم فقالَ: «إنكم لا تطيقونَ، فقالوا: بلى، نحتمل، قال فليتنحَّ اثنانِ وأحدِّثُ واحِدًا، فإن احتمَلَ حدثتكم. فتنحّى اثنانِ وحدَّثَ واحدًا فقامَ طائِرَ العقلِ، ومَرَّ على وجهِهِ، فكلمَهُ صاحباهُ فلم يرُدَّ عليهما فانصرفَ الآخرانِ»[2] و«حدَّثَ الحسينُ رجلاً فشابَ ونسيَ ما حدّثَهُ به»[3] وعن

(١) بصائر الدرجات ص٤١، صحيفة الأبرار ج١ ص٩.

(٢ و٣) صحيفة الأبرار ج١ ص٢١٩، ومقدمة البرهان ص٦٠.

الصادق (ع) قالَ: «حديثُنا صعبٌ مستصعَبٌ، ذكيٌّ ذكوانٌ، أجردُ مقنعٌ»[1] وعنه (ع): «أمرُنا سِرٌّ في سرٍّ، وسِرٌّ مستسِرٌّ، وسِرٌّ لا يُفيدُه إلا سِرٌّ على سِرٍّ وسِرٌّ مقنَّعٌ بسرٍّ»[2] وهذا سرٌّ أمرِ شيعتِهم بكتمانِ أمرِهم. وعن أبي عبدِاللهِ «أما واللهِ لو وجدْتُ منكم ثلاثةَ مؤمنين يكتمونَ حديثي ما استحللْتُ أن أكتمَ شيئًا» وقال عليه السلامُ: «إنَّ لنا حديثًا مَن حفِظَهُ حفظَ اللهُ عليه دينَه ودنياه، ومَن أذاعَه علينا سلبَهُ اللهُ دينَهُ يا معلّى لا تكونوا أسرى في أيدي الناسِ بحديثنا إنْ شاؤوا أمّنوا عليكم وإن شاؤوا قتلوكم، يا معلى إنه مَنْ كتمَ الصعبَ مِن حديثِنا جعَلَهُ اللهُ نورًا بينَ عَيْنَيه ورزقَه اللهُ العزةَ في الناسِ، ومَن أذاعَ الصعبَ مِن حديثِنا لم يَمُتْ حتى يعضَّه السلاحُ»[3] وعنه (ع) قالَ لي أبي (ع) ونعم الأبُ: قالَ ﷺ: «لو أجدُ ثلاثةً أستودِعُهُم العِلمَ وهم أهلٌ لذلكَ لحدثْتُ بما لا يُحتاجُ فيه إلى نظرٍ في حَلالٍ أو حرامٍ ولا في شيءٍ إلى أن يقومَ قائِمُنا - آل محمدٍ -»[4]. إنَّ أمرَنا صعبٌ مستصعَبٌ... «منَ أذاعَ علينا شيئًا مِن أمرِنا فهو ممَّن قتلنا عمدًا ولم يقتُلْنا خطأً»[5]، فما هو هذا الصعبُ المستصعبُ الذي لا يُحملُ مُطلقًا، وما هو هذا الأمرُ الذي لم يجدوا له حَمَلَةً؟! إنَّ هذا لَهُوَ الصعبُ المستصعَبُ عليَّ، فارحمْني بتفهيمي إياه - رحمك الله وما هذا السرُّ الذي كتموه بعدَ الذي أذاعوه وأشبعوه نشرًا؟ ما هو؟ علمني مما علمتَ رشدًا عَلّمك اللهُ.

---

(١) بصائر الدرجات ص٤٢.
(٢) بصائر الدرجات ص٤٨.
(٣) أصول الكافي ج٢ ص٢٢٤.
(٤) بصائر الدرجات ص٤٩٨.
(٥) أصول الكافي ج٢، ص٣٧١.

هُم عَلَيهِم السَّلامُ أسماءُ اللهِ وصِفاتُهُ

قَد تتعجَّبُ تعجُّبي وتستغربُ استغرابي عندما تَرى أنهم أسماءُ الله تعالى وصفاتُه، لأنّ الاسمَ هو الدالُّ على المسمَّى، والصفةَ هي الدليلُ والحلية اللازمةُ بذاتِ الموصوفِ الذي يعرَفُ بها. فاسمُ الشيءِ هو ما دَلَّ على الشيءِ مطلقًا أو ما دَلَّ على الشيءِ ببعض صفاتِهِ سَواء كانت هذه الدلالةُ وضعيّةً، وسواء كانَ الدالُّ على هذا الشيءِ لفظًا أو كتابةً أو مفهومًا ذهنيًا، أو ذاتًا موجودةً عينيَّةً. وكلما كانتِ الدلالةُ في الاسميةِ أقوى كانتِ الاسميةُ أشدَّ، فالدلالةُ الوضعيةُ التي هي الألفاظُ والنقوشُ أضعفُ الأسماءِ لأنّها تحتاجُ إلى كاتبٍ ولافظٍ، والمفهومُ الذهنيُّ مِن أضعفِ الأسماءِ أيضًا لأنّهُ صورةٌ في الذهنِ فقط. فبقيَ أنَّ الموجودَ العينيَّ المدرَكَ لكلِّ أحدِ الدالَّ على غيرِهِ بالطبع كاملاً في الاسميّةِ، لأنَّ دلالته أكملُ، ولهذا قالوا: «كلُّ الأشياءِ أسماءُ للهِ، لدَلالةِ كلِّ الأشياءِ على اللهِ، وأكملُ الأشياءِ دلالة على اللهِ الموالي الكرامُ، ولذا ورَدَ عنهم «نحن الأسماءُ الحسنى»[1] وعنه ﷺ: «لا اسمَ أعظمُ مني، وأنا الاسمُ الأعظمُ»[2] وهذا معنى قولِهم: «عابدُ الاسمِ كافرٌ، وعابدُ الاسمِ والمعنى مشرِكٌ، وعابدُ المعنى بإيقاعِ الأسماءِ عليه بصفاتِهِ التي وصفَ بها نفسَه

(١) الآداب المعنوية للصلاة ص٣٩٦.

(٢) بيان السعادة ج٢، ص١٥٠.

موحّدٌ»[1] ومعنى قوله سبحانَه: «وعَلَّمَ آدمَ الأسماءَ كلَّها»[2] على ما شرحَه المحققونَ أي أفاضَ عليهِ وأودَعَ بهِ علمَ الموجوداتِ كلِّها وصورَها مِن حيثُ هيَ مسمّياتٌ. والتعبيرُ عنِ الموجوداتِ بالأسماءِ للإشعار بعدمِ وقوف آدم عندَ هذه الأسماءِ دونَ الوصولِ إلى الله، والتأكيدُ بلفظةِ «كلَّها» إشارةٌ إلى أنَّها جميعَها مودعةٌ في وجودِ آدمَ لأنَّ الأشياءَ كلَّها دقائقُ للحقائقِ التي أودعَها اللهُ في آدمَ، وقد علمْتَ - علمكَ اللهُ الخيرَ - أنَّ الأشياءَ كلَّها دالةٌ على اللهِ، فكلها أسماءٌ للهِ وأن أعظمَ هذه الأسماءِ الموالي الكرام، لأنَّهم أوفرُ دلالةً على اللهِ بمعاجزِهم وعلومهم مِن غيرهِم باعتبار قولِهم: «نحنُ الأسماءُ الحسنى»[3] كما تقدمَ، فيكونونَ أقربَ الأشياءِ إلى اللهِ، وإذا علمْتَ أنَّ آدمَ بعدَ هبوطِهِ مِنَ الجنةِ توسَّلَ إلى اللهِ بالأسماءِ التي علّمَه إياها، وهي الكلماتُ التي تلقَّاها آدمُ مِن ربِّهِ، وهي محمد علي، فاطمة، الحسنُ، الحسينُ، عليهمُ السلامُ. علمْتَ أنَّ جميعَ الأسماءِ مِن أعلى نورٍ مجرَّدٍ إلى أسفلِ موجودٍ كثيفٍ هي هذهِ الخمسةُ كما تقدم مِنْ أنَّ اللهَ خلقَ الأشياءَ كلَّها دفعةً واحدةً بالجوهرِ الأولِ بالقوةِ، ويشرَح هذا بنظرهم: «أن آدمَ صارَ مسجودًا له لكونِ نورِ هذه الأسماءِ أصبحَ في صلبِهِ»[4] واللهُ سبحانَه وتعالى في غيبِهِ لا اسمٌ ولا رسمٌ، ولا صفةٌ ولا نعتٌ، فهو بأحديتِهِ مصداقُ صفاتِهِ الحقيقيةِ المحضةِ، ومصداقُ صفاتِهِ الحقيقيةِ ذاتُ الإضافةِ، ومصداقُ الإضافاتِ والسلوبِ تمامًا فهي الحيُّ العليمُ القادرُ السميعُ البصيرُ المدرِكُ المريدُ الخ... لكنَّ هذه الأسماءَ غيرُ ظاهرةٍ في مرتبةِ الأحديةِ، فالأحدية هي الغيبُ المنيعُ الذي لا اسمَ له ولا رسمَ ولا خبرَ عنه ولا أثرَ، بل هي ظاهرةٌ في مقام

---

(١) بيان السعادة ج١، ص٧٦.
(٢) سورة البقرة آية ٣١.
(٣) صحيفة الأبرار ج١ ص١٥١.
(٤) بيان السعادة ج١ ص٧٨.

المعروفيةِ المساةِ بنفَس الرحمنِ والحقيقةِ المحمديةِ، إلى غير ذلكَ من الأسماء فهي باعتبارِ يدُ اللهِ وباعتبارِ وجهها إلى اللهِ ووجهها إلى الخلق يدانِ لله «وكِلتا يديهِ يمينٌ»[1]. فإذا مررْتَ بهذا التحليل الفلسفيِّ الوضعيِّ معًا بأن الأشياء كلَّها أسماءُ اللهِ لأنها دالةٌ على اللهِ. وشأن الاسمِ هو الدلالةُ على المسمّى فقط، وأنّ أعظمَ الأسماء هو محمد ﷺ وقد تقدمَ في فضلِ السيدِ محمد قبلَ التكوينِ: أنَّ اللهَ أبدعَ جوهرًا تامَ الأنوار وأنه مرتّبٌ كلَّ موجودٍ مرتبته فهو وجهُ اللهِ الذي لا يبلى، وقبلته التي يتوجه إليها أهلُ الهدى، وأنّ هذا الجوهرَ منزّهٌ عن نعتِ الناعِتينَ ووصفِ الواصفين، ولا يُشارُ إلى ذاتِ اللهِ إلا بهِ، لأنه فعلُ اللهِ وليسَ فعلُ اللهِ غيرَ ذاتِهِ، وفعلُهُ هذا هو الذي فعَلَ المفعولاتِ جميعًا، وأنَّ هذا الجوهَرَ هو الحقيقةُ المحمَديةُ، وعلمْتَ قولَ اللهِ سبحانَهُ: «وللهِ الأسماء الحسنى فادعوه بها»[2]. أظنُّك تحصلُ مِن ذلك على بلبلتي، وتستعيضُ عن معرفتِكَ حيرتي، وإذا قرنْتَ إلى ذلكَ قولَهُم الذي تقدم في تقسيمِ العبادةِ بين الشركِ والكفرِ والتوحيدِ، بأن عابدَ المعنى بإيقاعِ الأسماءِ عليهِ بصفاتِهِ التي وصفَ بها نفسَه، موحّدٌ. يُصبحُ على ما أظنُّ موقفُكَ دون ذلك موقفي، ودهشتُكَ دونَه دهشتي. وإذا علمْتَ أنّ لفظةَ «المعنى» التي اختصَّتْ بها الذاتُ العليَّةُ تشبيهًا بالمعنى اللطيفِ المخبوءِ وراءَ الألفاظِ، هي أيضًا تحتاج إلى ألفاظ تشرحُ هذا المعنى، وتبرزُهُ للأذهانِ، لأنَّ المعنى إذا لم تبرزْهُ الألفاظُ يبقى غيبًا لا خبَر عنه ولا رسمَ ولا أثَرَ، فالمعنى عزٌّ عزُّهُ غيبٌ منيعٌ، وألفاظُ هذا المعنى المبيِّنةُ عندَهم هي الموالي الكرامُ. تبقى باهتَ الفكرِ مشرَّدَ الذهنِ. فتعالَ نتساعدْ ونتساند على حلِّ هذه الألغازِ المستعصيةِ، السهلةِ الواضحةِ الغامضةِ. لعلَّ الله سبحانَهُ يسلكُ بنا فيها الصراطَ المستقيمَ، والنهجَ اللاحبَ.

---

(١) بيان السعادة ج٢، ص٩٤.

(٢) الأعراف آية ١٧٩.



أسْرارُ الرَّحم

علمْتَ مما تقدمَ أنَّ الأسماءَ وُضِعَتْ للتعارفِ فقط، ولا اختصاصَ لها بالألفاظ والأصواتِ، فالأسماءُ الحقيقيةُ لهذهِ الأجسام المحسوسةِ، والأشياء الماديةِ تطلَقُ مَجازًا على العَوالِم الغيبيةِ، أو كلَّ الأشياءِ المطلَقةِ، لتصحَّ لنا معرفتُها بالتعبير عنها، لأنَّ ما غابَ عنا لا نعرفُهُ إلا بما حضَرَ لدَيْنا، كالعقل مثلاً، سَمَّوهُ عقلاً لأنّه يعقِلُ الأشياءَ وهو مِن عالَمِ الغيبِ، والرَّحِمُ مِن تلكَ الأشياءِ، فإذا علمْتَ هذا فاعلمْ أنَّ الرَّحِمَ لا اختصاصَ لها بأرحامِ الأمهاتِ الجسمانيةِ، فإنَّ النفوسَ الحيوانيةَ والبشريةَ هي أرحامُ اللطيفةِ السيارةِ الإنسانيةِ، التي يكونُ خطابُ اللهِ متوجِّهًا إليها، والموادُ الغذائيةُ (الكيلوسُ والكيموسُ)[1] والدماءُ أرحامُ النطفِ التي هي أرحامُ النفوسِ. واللطيفةُ السيارةُ ومراتبُها كلٌّ رحمٌ للأعلى منه، «فالعناصرُ والأفلاكُ آباءٌ للمواليدِ، والعقلُ والنفسُ الكليانِ والدانِ لعالَمِ الطبعِ، إذ بإلقاءِ الأفلاكِ بحركاتِها الدوريةِ، وكواكبها التي هي كالقُوى الإنسانيةِ بإلقائها الآثارَ على العناصرِ وقَبولِ العناصرِ لها كتأثُّر النساءِ بالرّجالِ، وقَبولِ أرحامَهنّ لنطفِهم، تتولّدُ المواليدُ وتنمو وتبقى وهيَ في نمائِها وبقائِها أيضًا محتاجةٌ إلى أولئكَ الآباء

---

(١) الكيلوس: مستحلب الطعام المهضوم قبل ان تمتصه الأمعاء. والكيموس: الطعام المهضوم قبل ان ينصرف عن المعدة (انظر المصطلحات العلمية، مجلد ٣، صفحة ٨٧).

بخلافِ حاجةِ الحيَوانات إلى ابائِها الجسمانيةِ، فإنها بعدَ حصولِ مادّتِها وحصول قِوامِ ما لمادتها مدة كونها في الرحِم غيرُ محتاجةٍ إلى آبائِها، وبإلقاءِ العقلِ الكليِّ نقوشَ العالَمِ على لوحِ النفسِ الكليةِ التي هي كالبذور، يوجَدُ عالَمُ الطبعِ »[1] ولما كانَ الإنسانُ ذا مَراتبَ كثيرةٍ، وكلُّ مرتبةٍ مِن مراتبِهِ لها سببٌ لوجودِها، وهذا السببُ والدُها، فوالدُ جسمانيةِ الإنسانِ أبواهُ الجسمانيانِ وأقرباؤه هم أقرباؤهُ الجسمانيونَ، وسببُ وجودِ مرتبةِ كفرِهِ الشيطانُ وجنودُه، وكلُّ مَن ناسبَ هذه الجهة فهو أخٌ له. وسببُ وجودِ مرتبةِ إيمانِهِ الملَكُ الموكلُ بهِ وأما بحسَبِ التكليفِ الشرعيِّ الإلهيِّ، فوالدُهُ الذي يبايعُ معَه البيعةَ الخاصَّةَ الولائيةَ، وأقرباؤه بتلكَ البيعةِ أقرباؤهُ، وسببُ قوةِ قلبِهِ الإيمانيةِ جبريلُ العقلُ، ومَريمُ النفسُ، ينفخُ جبريلُ العقلُ في جَيبِ مريمَ النفسِ فينعقدُ عيسى القلبُ ويتولَّدُ مِن ساعتِهِ ويتكلم في المَهدِ صبيًّا، واللغيةُ (ابن الزنا) الروحانيةُ كاللغية الجسمانيةِ منفيةُ الحكم والقرابةِ « والولادةُ الروحانيــةُ عبارةٌ عن تنزّلِ صورةِ الوالدِ وظهورها بصورةِ الولدِ »[2]، وتعيُّنُ هذه الولادةِ بما يصدرُ عن مَراتبِها مِنَ المبـايعينَ، مـع شـدةِ تـوحّـدِهـا كضـوءِ الشمسِ المنعكِسِ على المرايا المتعددةِ لا تخُلُّ كثرتُها بوحدةِ الشمسِ، فالوالدُ الروحانيُّ هو الولَدُ، والولدُ هو الوالدُ، ولو ارتفعتِ التعيّناتُ بتعدّدِ الأشخاصِ الجسمانيةِ لم يبقَ إلا الوالدُ الواحدُ فالقرابةُ هنا تنتهي إلى الاتحادِ في الصورةِ بخلافِ الصوَرِ الجسمانيةِ، ويُعرَفُ مِن ذلك سرُّ الاهتمامِ بالوالدين بحيث جعلَهُ اللهُ قرينًا بتوحيدِهِ حيثُما ذكرَه، كقولِهِ تعالى: « فاعبدوا اللهَ ولا تشركوا به شيئا وبالوالدينِ إحسانًا »[3] وقولِهِ سبحانَهُ: « قل تعالوا أتلُ ما

---

(١) بيان السعادة، ج٢، ص١٥و١٦.

(٢) بيان السعادة ج١ ص١٠٩.

(٣) سورة النساء الآية ٣٥.

حرَّمَ عليكم ربُّكم ألا تشركوا به شيئًا وبالوالدينِ إحسانًا »[1] وقولِهِ تعالى: « وقضى ربُّكَ ألا تعبُدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا »[2] وبهذا شرحوا قولَهُ عزَّ وجلَّ: « واتقوا اللهَ الذي تساءلونَ به والأرحامَ إنَّ اللهَ كانَ عليكم رقيبا »[3] وقولِ رسولِ اللهِ ﷺ: « الرحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الإيمان »[4]. والوالدان الجسمانيان كالروحانيينِ لما لهما مِنَ الفضل، وهذا الإحسانُ المذكورُ في هذه الآياتُ هو الطاعةُ، ولهذا كان محمدٌ ﷺ وعليٌّ (ع) أبَوي هذهِ الأمةِ، بدليل قولِهِ ﷺ: « أفضلُ والديكم وأحقُّهم لشكركم محمدٌ وعليٌّ »[5] وعن عليّ (ع): « سمعْتُ رسولَ اللهِ يقول: « أنا وأنتَ أبوا هذه الأمةِ، ولحقُّنا عليهم أعظمُ مِن حقِّ أبوَي ولادتِهم، فإننا ننقذهم مِنَ النارِ إن أطاعونا إلى دارِ القرارِ ونلحقُهم مِنَ العبوديةِ بخيارِ الأحرار »[6] ولهذا تراهم يَقسمونَ الأوادمَ إلى آدمٍ مُلْكي وآدم مَلكوتيٍّ، وآدم جبَروتيٍّ، وآدمٍ لاهوتيٍّ. إنَّ كلَّ مرتبةٍ مِن مَراتب عالَمِ النورِ لها أبٌ كانت عنه. وبهذا المعنى وردَ في خطبِ أمير المؤمنينَ « أنا آدم الأولُ »[7]، ولعالمِنا عالمِ الطبعِ بشموسِهِ وأفلاكِهِ صورةٌ ومِثالٌ في عالَمِ المِثالِ أي العالَمِ الذي هو فوقَنا وكنّا عنه بحيثُ لو رآه راءٍ لقالَ هوَ هوَ بعينِهِ. ولعالَمِ المثال هذا حقيقةٌ في عالَمِ العقولِ، ويعَبَّرُ عن تلكَ الحقائقِ بالذرِّ، فالعالي مِن أولئكَ الأوادمِ أتَمُّ وأظهرُ وأحقُّ بهذا الاسمِ المطلَقِ عليه، فآدمُ اللاهوتي المعبرُ عنه بالحقيقةِ المحمديةِ، والحقّ

---

(١) سورة الأنعام جزء من الآية ١٥١.

(٢) سورة الإسراء جزء من الآية ٢٣.

(٣) سورةالنساء جزء من الآية ١.

(٤) بحار الأنوار ج٢٣، ص٢٦٥. (الرحم شجنة من الله عز وجل) وفي لسان العرب جاء « الرحم شجنة معلقة بالعرش تقول: اللهم صل من وصلني واقطع مَن قطعني ».

(٥) بحار الأنوار ج٣، ص٢٥٩.

(٦) بيان السعادة ج١ ص١١٠.

(٧) بيان السعادة ج٢، ص٢١٦.

المخلوقِ بهِ، والإضافة الإشراقيةِ وغير ذلكَ، أحقُّ باسمِ آدم من آدم الجبروتي وهكذا... إلى آدم الناسوتيّ. فكلُّ دانٍ مِنَ العوالِمِ النوريةِ بالنسبة لعاليه بطنٌ للولادةِ، وكلُّ عالٍ ظهرٌ. قالَ سبحانَه: «وإذ أخذَ ربُّكَ مِن بني آدمَ مِن ظهورهِم ذريتَهم وأشهدَهم على أنفسِهِم: ألسْتُ بربّكم قالوا: بلى»[1]. وقالَ سبحانَهُ: «هو الذي أخرجكم مِن بطونِ أمهاتِكم»[2] إشارةً إلى ما ذكرْنا، وبهذا شرحُوا قولَ الرسولِ ﷺ: «أنا وأنتَ يا عليُّ أبوا هذه الأمةِ ولعَنَ اللهُ عاقَّ والدَيهِ»[3] ووردَ عنهم: «يومَ ظهورِ القائم يرثُ المؤمِنُ أخاهُ المؤمنَ» أي تبطلُ الوراثةُ الجسميةُ، وتحلُّ محلَّها الوراثةُ الروحيةُ. وبهذا قالَ الشاعرُ[4]:

إنَّ آبـــاءنــــا الذيـــن هـــمُ قَـدْ أوقعـونـا في ورطـةِ التلَـفِ
مَـــنْ علَّــمَ العلمَ كــانَ خَيرَ أبٍ ذاكَ أبـو الروحِ لا أبُـو النُّطَـفِ

ولهذا قال ﷺ: «سَلمانُ منا ـ أهلَ البيتِ ـ»[5] وإلى هذا أشارَ أبو فراسٍ الحمدانيُّ:

كـــانَـــتْ مــودّة سلمانٍ لهم رَحِمًا ولم يكنْ بينَ نوحٍ وابنِـهِ رَحِـمُ[6]

وقالَ اللهُ سبحانَهُ ردًا على نبيِّه نوحٍ (ع) بقولِهِ: «ربِّ إنّ ابني مِن أهلي، قالَ إنه ليسَ مِن أهلِكَ، إنه عمَلٌ غيرُ صالحٍ»[1] قرأتَ هذه الفلسفةَ

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٢.
(٢) سورة النحل آية ٧٨.
(٣) صحيفة الأبرار ج١ ص٩٥.
(٤) لم نعثر على هذا الشاهد.
(٥) بصائر الدرجات ص٣٧.
(٦) الغدير في الكتاب والسنة والأدب ج١٠ ص٢٤٠.
(١) سورة هود آية ٤٥.

عن أسرارِ الرحمِ ، وعرفْتَ مراميَها الجميلةَ الكريمةَ، فكيفَ رأيتها؟ إنني لم أرَ بها شيئًا إلا استسغتُهُ واستجدتُهُ، ولم يدخلْني كغيرِهِ في حَيرةٍ داجيةٍ، أُخرجُ يدي بها فلا أكادُ أراها، إلا ما به مِن أنَّ آدمَ اللاهوتي هو الحقيقةُ المحمدية، وقولِ أميرِ المؤمنينَ (ع): أنا آدمُ الأولُ. فأخرجني مِن هذه الحيرةِ برشدِكَ، جعَلَ اللهُ لكَ من كلِّ همٍّ فرَجًا، ومِن كلِّ ضيقٍ مَخرجًا.

﴿بَيْعَةُ الغَدِير﴾

لا شكَّ أنّكَ ستجمَعُ متفرقَ حسِّكَ، وتحضُرُ ذهنَكَ، وتلمُّ شتاتَ فكرِكَ وتفكُّرِكَ لتقرأ بيعةَ الغديرِ قراءةً واعيةً، وتطالعَها مطالعةً مكتشِفةً لتساعدَني علَى فهمِها كأخَواتِها، وتحلَّ لي غوامضَها كرفيقاتِها، وأقصُّ عليكَ كلامَ الفلاسفةِ الإلهيينَ بأسرارِ البيعةِ: إنَّ النفوسَ البشريةَ خُلِقَتْ متعلِّقةً بما سِواها مِن عالِمِ الغيبِ، لأنها عنه كانَت، وهذا التعلُّقُ هو مميِّزٌ لها عن الجواهرِ الصِّرفةِ، وهو منشأُ شوقِها إليها وعندَ البلوغِ إلى أوانِ التكليفِ يكون تعلقُها هذا اختياريًّا فإما أنْ تتعلَّقَ بمظاهِرِ الشيطانِ فتَهلِكَ، وإما أن تتعلّقَ بمظاهِرِ العقولِ المجرَّدَةِ الذينَ همُ الأنبياءُ وخلفاؤهم فتنجو، ولتطابقِ العوالِمِ بتمثُّلِ كلِّ رتبةٍ ما فوقَها، وللزومِ سَرَيانِ حكمِ كلِّ عالَمٍ إلى ما دونَه، أمَرَ اللهُ سبحانَهُ، بأخذِ هذه البيعةِ على العوالِمِ النوريةِ. وهذه البيعةُ عندنا لا تكونُ إلا بصورةٍ محسوسةٍ، تشتمِلُ على التعلقِ الجسمانيِّ بعقدِ يدَي المتعلِّق والمتعلَّق به، وتعلُّقِ سمعِ كلٍّ منهما بلسانِ الآخَرِ وصورتِهِ، ليكونَ التعلقُ النفسانيُّ موافقًا للجسمانيِّ وبدونِ هذه البيعةِ يكون الدينُ مأخوذًا على طريقِ الرسمِ والملةِ فقط، وبهذا شرحُوا قولَه سبحانَه: «بئرٌ معطَلَةٌ وقصرٌ مشيدٌ»[1] فالبئرُ المعطلةُ إشارةٌ إلى التحقق بالدينِ بما فيه معَ تحققِ البيعةِ. وقصرٌ مشيدٌ إشارةٌ

(١) سورة الحج آية ٤٥

إلى صُورةِ الدينِ المأخوذةِ على طريقِ الرسمِ والملةِ مِن دونِ التحققِ بهِ، ولا ينافيهِ قولُ الشاعرِ[١]:

بئــرٌ معطلــةٌ وقصرٌ مشرفُ   مَثَــلٌ لآلِ محمــدٍ مستطـرَفُ
فالقصرُ مجدهمُ الذي لا يُـرتَقَـى   والبـئـرُ علمُهـم الذي لا ينـزَفُ

لأنَّ الشرعَ الشريفَ على طريقِ الرسمِ والملةِ هو شرعُهم، والتحققَ هو التحققُ بهمْ. فمَنْ بايعَ هذه البيعةَ الخاصّةَ الولائيةَ، وقبلَ هذه الدعوةَ الباطنةَ، دَخلَتْ كيفيةُ المبايَعِ في قلبِهِ وصارَ المبايعُ ابنًا له وبهذِهِ البيعةِ يستحقُّ الكرامةَ مِنَ اللهِ وبها يستحي اللهُ أن يعذبَه، وبها يصدُقُ عليهِ اسمُ العلويِّ والفاطميِّ والهاشميِّ والعالِمِ والمتعلِّمِ والعارفِ والموحِّدِ والمؤمِنِ والعابدِ والتقيِّ، وبها يُسمَّى وليَّ اللهِ. وما ورَدَ مِنَ الأحاديثِ والرواياتِ مِن مثلِ قولِهِ ﷺ: «مَنْ ماتَ ولم يعرِفْ إمامَ زمانِهِ ماتَ ميتةً جاهليةً»[٢].

فهذه وما أشبَهَ، تدلُّ على أنَّ سائِرَ الأعمالِ بدونِ هذه البيعةِ لا نفعَ بها، إذ هي الأصلُ وما دونَها مبنيٌّ عليها، وإذا تحقَّقتَ مِن هذا وعلمْتَهُ عَلِمْتَ أنَّ هذهِ البيعةَ لا تكونُ إلا مع المظاهرِ البشريةِ، لعدَمِ إمكانِ الوصولِ إلى اللهِ مِن غيرِ توسطِ تلكَ المظاهرِ، وقد تحقق أنّ وجودَ تلكَ المظاهرِ وجودُ اللهِ، لا وجودَ أنفسِها ولكنَّ القاصرينَ عن الفهمِ والمعرفةِ لا يرونَ هذه البيعةَ إلا مع المظاهرِ فقَط مِن غيرِ نظرٍ إلى الظاهرِ. ولذلك قالَ سبحانه بطريقِ الحصرِ: «إنَّ الذين يبايعونَكَ إنما يبايعونَ اللهَ»[٣] فمَن قَبِلَ الولايةَ بهذِهِ البيعةِ تنعقدُ فعلياتُهُ بوليِّ أمرِهِ كما تنعقِدُ النخلةُ بالتأبيرِ، والفستُقُ بالتلقيحِ،

---

(١) بحار الأنوار ص١٠٢، والشاعر هو محمد بن الحسن بن أبي خالد الأشعري «شنبولة».
(٢) مشارق أنوار اليقين ص١٣٢.
(٣) سورة الفتح آية ١٠.

واللبَنُ بالأنفحةِ، فإذا انعقدَ قلبُهُ بالولاية، بسببِ هذهِ البيعةِ، تحققتْ نسبةُ الأبوةِ بينَه وبينَ وليِّ الأمرِ، ولذلكَ قالَ عيسى (ع): «أنا ابنُ اللهِ»[١] وهو قولُهُ تعالى: «اليومَ يئِسَ الذينَ كفروا مِن دينكم»[٢] و«اليومَ أكملْتُ لكم دِينَكم وأتمَمْتُ عليكم نعمتي ورضيت لكمُ الإسلامَ دينًا»[٣] وقولُهُ تعالى شأنُهُ: «اليومَ أُحِلَّ لكمُ الطيباتُ»[٤] بتعليقِ بأسِ الكفّارِ وإكمالِ الدينِ وإتمامِ النعمةِ والرضا بالإسلام دينًا وإحلالِ الطيباتِ على البيعةِ، وتعليقُ هذا كلِّهِ على البيعةِ يدلُّ دلالةً قطعيةً على أنْ لا حلّيَةَ لشيءٍ ما بدونِ الولايةِ. وكلُّ ما ذكِرَ مِن نقضِ عهدٍ وميثاقٍ، فالمقصودُ منه نَقْضُ البيعةِ، وأهلُ هذهِ البيعةِ بسرِّ الولايةِ هُم أهلُ العِلمِ المشارُ إليهم بقولِ الموالي (ع): «شيعتُنا العلماءُ وغيرُهم الهمَجُ الرعاعُ»[٥]. وبالجملةِ والتفصيلِ إنَّ الولايةَ ذروة الخيرِ وسَنامُهُ، ومفتاحُ الأشياءِ، وبابُ الأبوابِ، ورضى الرحمٰنِ، وجَنّةُ الرضوانِ، وأصلُ الخيراتِ وأساسُ الجناتِ، وهي الحكمة[٧] التي مَن أُوتيها فقد أوتي خيرًا كثيرًا. وأنتَ تعلمُ ما جرَى للنعمانِ بنِ الحارثِ الفهريِّ لما سمعَ قولَ النبيِّ ﷺ في عليٍّ عليهِ السلامُ عندَ البَيعةِ: «اللهمَّ والِ مَن والاه وعادِ من عاداهُ»[١] فقالَ يا محمد، هذا مِنْ عندِكَ أم مِنْ عندِ اللهِ؟ فقالَ: لا. بل من

---

(١) بيان السعادة ج١، ص٢٢٤.

(٢ و٣) سورة المائدة آية ٣.

(٤) المائدة آية ٦.

(٥) بصائر الدرجات ص٢٨ وبيان السعادة ج١، ص٢٢٥.

(٦) الحكمة هي العلم في الأمور ووضع الأشياء في مواضعها، والحكيم يزن بالقسط ولا يغلب هواه عقله، ولا عقله ضميره، ولا ضميره ما أوحى الله به، وكل كلام وافق الحق فهو حكمة والحكمة نوعان: حكمة منطوق بها، وهي علوم الشريعة والطريقة، وحكمة مسكوت عنها وهي أسرار الحقيقة التي لا يُطلع عليها علماءُ الرسومِ والعوامّ فتضرهم أو تهلكهم.

(١) جاء في مسند أحمد بن حنبل: حدثنا حماد بن سلمة عن زيدِ بن علي عن ثابت عن البراء ابن عازب قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فنزلنا بغدير خم، ونودي فينا للصلاة جامعة، =

عندِ اللهِ. فتوَلّى إلى راحلتِهِ وهو يقولُ: إن كانَ محمدٌ صادِقا فيما يقولُ: «فأمطِرْ علينا حجارةً مِنَ السماءِ أوائتِنا بعذابٍ أليم»[2] فنزَلَت على رأسِهِ حجرةٌ صغيرةٌ نزلَتْ مِن بطنِ راحلتِهِ، ونزَلَ بهِ قولُهُ سبحانَهُ: «سألَ سائلٌ بعذابٍ واقعٍ للكافرين ليسَ له دافعٌ»[3].

= فصلى الظهرَ وأخذ بيد علي عليه السلام فقال:

ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى. قال:

ألستم تعلمونَ أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى. فقال لهم: آخذًا بيد علي: من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال مَن والاه، وعادِ مَن عاداه».

قالَ: فلقيه عمر بن الخطاب (ر) فقال: هنيئًا لك يا بن أبي طالب، أصبحتَ مولى كل مؤمن ومؤمنة. وقد أخرج هذا الحديث بلفظه الثعلبي.

ينابيع المودة ـ الجزء الأول ـ صفحة ٢٨.

(٢) سورة الأنفال ـ الآية ٣٢.

(٣) سورة المعارج ـ الآية وانظر البرهان في تفسير القرآن، ج٤، ص٣٨٢.

هم عَلَيهمُ السَّلامُ باطِنُ التَّكليفِ

إليك غريبةَ الغرائبِ ومنتهى العجائبِ، أزفُّها إليكَ معَ أخواتِها، وأدبِّجُها بخليلاتِها ولعلكَ - وقد زففتُها إليكَ عاطلةً - تردُّها إليَّ محلاَّةً بشروحِكَ إياها متبرجةً بتعليقِكَ عليها، وهذه الغريبةُ هي أنّهم باطنُ التكليفِ الشرعيِّ. عن الصادقِ عليه السلامُ «أصلُ الدين معرفةُ الرسلِ وولايتُهم»[1] إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أحَلَّ حلالاً، وحرَّمَ حرامًا، فجعَلَ حلالَه حلالاً إلى يومِ القيامةِ، وجعَلَ حرامَه حرامًا إلى يومِ القيامةِ، فمعرفةُ الرسلِ وطاعتهم وولايتُهم هيَ الحَلالُ. فالمحللُ ما حللوهُ والمحرَّمُ ما حرّموه، وهم أصلُهُ ومنهمُ الفروعُ الحَلالُ فمِن فروعِهم أمرُهم شيعتَهم وأهلَ ولايتهم بالحلالِ: مِن إقامةِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ والصومِ والحجّ والعُمرةِ، وجميع ما أمرَ اللهُ به. وعدوُّهم هو الحرامُ المحرمُ وهمُ الفواحشُ مَا ظهرَ منها وما بَطنَ، والخمرُ والميسرُ والرِّبا والزِّنا والميتةُ والدمُ. ولحمُ الخنزيرِ هو رجلٌ. وأنا أعلمُ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد حَرَّمَ هذا الأصلَ وحَرَّمَ فروعَه، ونَهى عنه، وجعَلَ ولايتَه كمَن عبَدَ مِن دونِ اللهِ وثَنًا، ومَنْ دعا إلى نفسِهِ كفِرعَونَ إذ قالَ: «أنا ربُّكُمُ الأعلى»[2]

(١) صحيفة الأبرار ج١، ص٢٩١ ومقدمة البرهان ص١٣.

(٢) سورة النازعات آية ٢٤.

فهذا كلّهُ على وجهٍ إن شئتَ قلتَ هو رجلٌ، وهو إلى جهنَّمَ، فإنّه مثلُ قولِ اللهِ سبحانَهُ: «حَرَّمَ عليكمُ الميتةَ والدمَ ولحمَ الخنزير»[1] ثُمَّ إني لو قلتُ إنه رجلٌ وهو ذلك لصدقْتُ، وقالَ: ثمّ أُخبِرُكَ أنَّ أصلَ الدينِ هو رجلٌ، وذلك الرجلُ هو اليقينُ وهو الإيمانُ، وهو إمامُ أهلِ زمانِهِ فمَن عرفَه عرَفَ اللهَ ودينَهُ، ومَن أنكرَه أنكرَ اللهَ ودينَهُ، ومَن جهلَهُ، جهلَ اللهَ ودينَه، ولا يُعرَفُ اللهُ بغيرِ ذلك»[2]. وعنه (ع): «لو قُلتُ: إنَّ الصلاةَ والزكاةَ والحَجَّ والعمْرةَ والمسجدَ الحَرامَ والمشعَرَ الحرامَ والطهرَ والاغتسالَ مِنَ الجنابةِ وكلَّ فريضةٍ كانَ ذلك هو النبيَّ الذي جاءَ بهِ مِن عندِ ربِّهِ لصدقْتُ، لأنّ ذلك... إلخ، إنما يعرَفُ بالنبيِّ ﷺ، ولولا معرفةُ النبيِّ والإقرارُ بهِ لما عُرِفَ شيءٌ مِن هذا فهذا كلّهُ النبيُّ، وإنما أنكرَ دينَ اللهِ مَن أنكرَهُ بأنْ قالَ: «أبعثَ اللهُ بشرًا رسولاً»[3] ثم قالَ: «أبشرٌ يهدونَنا، فكفروا»[4] بذلكَ الرجلِ وكذّبوا وتولّوا عنه وهم مُعرِضونَ وقالوا: «لولا أُنزِلَ عليه مَلَكٌ»[5] فقالَ لهمُ اللهُ تبارك وتعالى: «ولو أنزلناهُ مَلَكًا لجعلناهُ رجلاً»[6] واللهُ تبارَكَ وتعالى أَحَبَّ أن يُعرَفَ بالرجالِ وأن يطاعَ بطاعتِهِمْ. ومَن يُطعِ الرسولَ فقد أطاعَ الله»[7].★ وعن رسولِ اللهِ ﷺ: «أنا ميزانُ العلمِ وعليٌّ كفّتاهُ والحسَنُ والحسينُ خيوطُهُ وفاطمةُ علاقتُهُ، والأئمةُ مِن بعدِهِم يَزِنونَ المحبينَ والمبغضينَ»[8] وعنِ الباقرِ عليه السلام ـ وقد ذُكِرَ رمضانُ بحضرتِهِ ـ فقالَ: «لا تقولوا هذا رمضانُ، ولا ذهبَ رمضانُ، ولا جاءَ رمضانُ؛ فإنَّ رمضانَ

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٣.

(٢) هذا الحديث أخذه الشيخ المؤلف بتصرف من مقدمة البرهان وبصائر الدرجات ص٥٤٦-٥٥٦.

(٣) سورة الإسراء آية ٩٤.

(٤) سورة التغابن آية ٦.

(٥ و٦) سورة الأنعام آية ٨ و٩.

(٧) النساء. آية ٨٠.

(٨) صحيفة الأبرار ج١ ص١١١.

اسمٌ مِن أسماءِ اللهِ، لا يَجيءُ ولا يذهبُ، وإنما يجيءُ الزائلُ، ولكنْ قولوا: شهرُ رمضانَ فالشهرُ مضافٌ إلى الاسمِ، والاسمُ اسمُ اللهِ، وهو الشهرُ الذي أُنزِلَ فيهِ القرآنُ»[1] وقال (ع) أيضًا: «نحنُ الميزانُ»[2] وعنِ الصادقِ (ع): «أهبطَ اللهُ الحجرَ عندما أهبَطَ آدمَ مِنَ الجنةِ، فجعَلَهُ في ركنِ بيتِهِ، وأهبطَ آدمَ على الصَّفا، فمكَثَ ما شاءَ اللهُ، ثُمّ رآهُ في البيتِ فعرَفَهُ، وعرَفَ ميثاقَهُ، وكانَ الحجرُ قدِ التَقَمَ ميثاقَ الخلقِ كلِّهم عندَ الذرِّ قبلَ الهبطةِ، ولذلكَ يقولُ الحاجُّ عِندَ استِلامِ الحجرِ: أمانتي أَدَّيتُها، وميثاقي تعهدتُه. واللهِ ما يؤدّي ذلكَ إلا شيعتُنا، وأنهم ليأتونَ فيعرِفهم، ويأتيهِ غيرُهم فينكرُهم، ولقد كانَ هذا الحجرُ مَلَكًا عظيمًا مِن ملائكةِ الجنةِ، وهو أولُ مَن آمنَ باللهِ فاتخذَهُ أمينًا على جميع خلقِهِ، وألقَمهُ ميثاقَ الذرِّ وأودعَهُ عندَه»[3]. ودَخَلَ قاضٍ مِن قضاةِ الكوفةِ على زينِ العابدينَ (ع) فقالَ: ما معنى قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: «وجعلْنا بينَهم وبينَ القرى التي باركنا فيها قُرىً ظاهرةً وقدَّرْنا فيها السيرَ، سيروا فيها لياليَ وأيامًا آمنين»[4] قال عليه السلامُ: ما يقولُ الناسُ فيها قِبَلكم؟ قالَ: يقولونَ: إنها مكةُ. قال وهل رأيتَ السَّرْقَ في موضعٍ أكثرَ منه في مكةَ؟ قالَ: فما هو؟ قالَ (ع): إنما عنى الرجالَ. قالَ وأينَ ذلكَ من كتابِ اللهِ تعالى؟ فقالَ (ع): أوَما تسمَعُ قولَهُ عزَّ وجَلَّ: «وكأيِّنْ مِن قريةٍ عتَتْ عن أمرِ ربِّها ورسلِهِ»[5] وقالَ: «وتلكَ القرى أهلكْناهم»[6] و«واسأل القريةَ التي كنا فيها، والعِيرَ التي أقبلنا فيها...»[7] أيسألُ القريةَ؟ أوِ الرجالَ؟

(١ و٢) صحيفة الأبرار ج١ ص١١١.

(٣) البرهان في تفسير القرآن ج٢، ص٤٨-٥٠ «بتصرّف».

(٤) سورة سبأ آية ١٨.

(٥) سورة الطلاق. آية ٨.

(٦) الكهف. آية ٥٩.

(٧) يوسف آية ٨٢.

أو العيرَ؟ وتلا آياتٍ في هذا المعنى. قالَ القاضي: جُعِلْتُ فداكَ، فمَن هُم هؤلاءِ الرّجالُ؟ ★ قالَ: نحن هم. أوَما تسمَعُ قولَهُ تعالى: سيروا فيها لياليَ وأيامًا آمِنينَ - مِنَ الزيغ - فتمَعَّنْ هذه التأويلَ الغريبة على العقلِ، وأنعِمِ النظرَ فيها وفيما قبلَها مِنَ أنَّ الدينَ رجالٌ، ومُحلَّلُهُ ومحرَّمَهُ رجالٌ، وأعطِني ما يتضحُ لكَ مِن آراءِ هؤلاءِ المعصومينَ والأئمةِ المطهَّرينَ، لعلكَ تحمِلني مِن كلٍّ ذلكَ على الصراطِ المستقيم والطريق السويِّ.

(★) نقل العلامة المؤلف قول الإمام الصادق بتصرف من مقدمة البرهان ص١٣ وبصائر الدرجات ص٥٤٦-٥٥٦ وصحيفة الأبرار ص٢٩١.

وللتوسع أكثر اقرأ حديث القاضي مع الإمام وين العابدين في كتاب البرهان في تفسير القرآن المجلد الثالث، الصفحة ٣٤٨.

الوِلايَةُ

واعجَبْ إن كانَ ثمّةَ مِن عجَبٍ، واستغرِبْ إنْ كانَ ثمّةَ ما يُستَغْرَبُ، أليسَ مِن دهشةِ العقولِ وحيرةِ الألبابِ، أنْ تُعرَضَ ولايتُهم على كلِّ شيءٍ، على الحي والمَواتِ على الحجرِ والشجرِ، على الناطِقِ والأعجمِ؟!! فاقرأْ ما أمليهِ عليكَ، وتدبرْه مليًّا، وأدرْهُ في لَهَواتِ علمِكَ، وأذقْ طعْمَهُ عقلَكَ، وعرّفني ما عرَفْتَ، وعلمْني ما علمْتَ إنَّ الولايةَ بنظرِهم هي الغايةُ، وما سواها مِن كلِّ الأمورِ الدينيةِ هو وسيلةٌ هذهِ الغايةِ، وبغيرِ الولايةِ لا يُطَهَّرُ شيءٌ مِنَ الأشياءِ حتى الصَّلاةُ وغيرُها مِنَ الحدودِ الخمسةِ. قال ﷺ: «سمعْتُ الملائكةَ يومَ عرجْتُ إلى السماءِ يقولونَ: الحمْدُ للهِ الذي صدَقَنا وعدَهُ. ثمَّ قالوا يا رسولَ اللهِ، إنّ اللهَ تبارَكَ وتعالى خَلَقَنا أشباهَ نورٍ مِن نورِكَ، وعَرَضَ علينا ولايَتِكم فقبلْناها، وشكرْنا اللهَ على ما مَنَّ به علَينا مِن مَحبتِكم»[1]. وقالَ ﷺ: «لما خلقَ اللهُ السماواتِ والأرضَ دعاهُنَّ فأَجَبْنَهُ، فعرَضَ عليهِنَّ نبوتي وولايةَ عليٍّ فقبلْنَها، ثم خلقَ العالَمَ ففوَّضَ إلينا أمرَ الدينِ، فالسعيدُ مَن سعِدَ بنا، والشقيُّ مَن شقيَ بنا، نحنُ المحلّلونَ لحلالِهِ، والمحرِّمون لحرامِهِ»[2] وعنِ الصادقِ عليه السلامُ: «جعَلَ اللهُ لِكلِّ شيءٍ

---

(١) البحار.

(٢) بحار الأنوار ج٢٧، ص٧٥ (السعيد من احب عليا في حياته وبعد موته والشقي من ابغضه =

سببًا، وجعَلَ لكلِّ سببٍ شرحًا، وجعَلَ لكلِّ شيءٍ مفتاحًا، وجعَلَ لكلِّ مفتاحٍ علمًا، وجعَلَ لكلِّ علمٍ بابًا ناطقًا، مَن عَرَفَهُ عَرَفَ اللهَ، ومَن أنكرَهُ أنكرَ اللهَ وذلك هو رسولُ اللهِ ونحنُ»[1]. وعنه (ع) في شرحِ قولِهِ سبحانَهُ: «مِنكم كافِرٌ ومنكمْ مؤمنٌ»[2] قالَ: عَرفَ اللهُ إيمانَهم بولايتِنا، وكفرَهم بِها يومَ أخذَ اللهُ عليهمُ الميثاقَ في صلبِ آدمَ وهم ذرٌّ»[3] وعنه ﷺ: «إنه إذا كانَ يومُ القيامةِ يُحشَرُ الخلقُ حَولَ الكرسيِّ كلٌّ على طبقاتِهم، الأنبياءُ والملائكةُ المقرَّبونَ، وسائرُ الأوصياءِ، فيؤمرُ الخلقُ بالحسابِ، فينادي اللهُ عزَّ وجَلَّ: «قفوهم إنهم مسؤولون» عن ولايةِ عليٍّ. قيلَ لهُ: ومحمدٌ ﷺ يُسألُ عن ولايةِ علي (ع)؟ قالَ: نعَم، ومحمدٌ يُسألُ عنها»[4]. وعن عليٍّ عليه السلامُ قالَ: «بولايتي أكمَلَ اللهُ لهذهِ الأمةِ دينَهم، وأتَمَّ عليهمُ النِّعَمَ ورضيَ لهمُ الإسلامَ دينا، إذ يقول يومَ الولايةِ لمحمّدٍ: يا محمدُ، أخبرْهم أني أكملْتُ لهمُ اليومَ دينَهم، وأتممْتُ عليهم نعمتي ورَضيتُ لهمُ الإسلامَ دِينًا»[5] وكم وردَ من مِثْلِ: «أعداءُ عليٍّ همُ الخالدونَ في النارِ، وإن كانوا مِن أديانِهمْ على غايةِ الورَعِ والزهدِ والعبادةِ»[6]. و«وليُّ عليٍّ لا يأكُلُ إلا الحلالَ، وعدوُّهُ لا يأكُلُ

= في حياته وبعد وفاته) وانظر مقدمة البرهان ص١٣ ففيها إن طاعة الرسل وولايتهم الحلال، فالمحلل ما حللوه والمحرم ما حرموه».

(١) صحيفة الأبرار ج١، ص١٦.

(٢) سورة التغابن آية ٢.

(٣) بصائر الدرجات ص١٠١.

(٤) بصائر الدرجات ص٩٢-٩٥. قال رسول الله ﷺ: ألا إن جبرائيل أتاني فقالّ يا محمد، ربك يأمرك بحب علي بن أبي طالب ويأمرك بولايته.

(٥) تجد هذا الحديث وأمثاله في البرهان في تفسير القرآن ج١، ص٤٣٥.

(٦) قال الإمام جعفر الصادق (ع) ليس من شيعتنا من قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا، ولكن شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه، واتبع آثارنا، وعمل أعمالَنا، أولئك هم شيعتنا، وعلى هذا فأعداء علي هم الذين يخالفونه في أعماله ويسلكون غير سلوكه، يحللون الحرام ويحرمون الحلال هؤلاء هم الخالدون في النار. أما من كان في غاية الزهد والعبادة والورع =

إلا الحرامَ »[1] إنَّ ظاهِرَ هذا الحديثِ قد يوهِمُ بالإباحيةِ لمُحبِّ عليٍّ والمرادُ منه : أنَّ محبَّ عليّ (ع) يتمسَّكُ بالشرعِ ، وولايتُه لعليٍّ تطهّرُ كلَّ ما أحَلَّ له الشرعُ، وعدوَّ عليٍّ جميعُ ما أتاهُ مِن الأفعالِ والأعمالِ حرامٌ وإن كان شرعيًّا. وورد ما معناه: لَو أنَّ رجلاً وقفَ على شطِّ الفراتِ وغسَلَ يديهِ وأخذَ بها ماءً ، وذكرَ اسمَ اللهِ عليهِ ثم شرِبَهُ ولم تكن له ولايةُ عليٍّ (ع) لشرِبَهُ حرامًا ، كما أنَّ مَن تزوَّجَ على حسَبِ مفترضِ الشرع ولم تكن له ولايةُ عليٍّ لكانَ زواجُهُ سِفاحًا... وأشباهُ ذلكَ كثيرةٌ. يُفسِّرُ هذا ما وردَ « لو أنَّ عبدًا عبدَاللهَ تحتَ الميزابِ سبعين خريفًا ، قائمًا ليلَهُ صائمًا نهارَه، ولم تكنْ له ولايةُ عليٍّ لأكبَّهُ اللهُ على منخريه في النار »[2] وأعجبُ منْ هذا كلِّهِ قولُ رسول اللهِ ﷺ لابنِ عبّاسٍ : « عليكَ بولايةِ عليٍّ، فلو أنَّ الملائكة المقربينَ والأنبياءَ والمرسلينَ اجتمعُوا على بغضِ عليٍّ مع ما يقعُ مِن عبادتهم في السماوات لعذّبهم اللهُ في النارِ »[3] وأعجبُ منه قولُه ﷺ : « إنَّ اللهَ أخذَ عهودَ مودتِنا على كلِّ حَيوانٍ وَنباتٍ، فمَن قبِلَ الميثاقَ كانَ عذبًا طيّبًا ، ومَن لم يقبلْ كانَ مُرًّا زعاقًا »[4] ★ .

= فلا يكون من أعداء علي إلا إذا كان زهدُهُ وعبادته وورعه نفاقًا ، إذ (رب متفقه بالدين كان عبدًا للشيطان) « ورب مصل وصلاته تلعنُه » ممن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم يزدد من الله إلا بعدًا » ومَن كان هكذا كان عدوًا لله وعبدًا للشيطان وهو من أهل النار.

(١) بيان السعادة، ج٢ ، ص٧١.

(٢) بيان السعادة ج٢ ، ص١٤٠.

(٣) قال رسول الله ﷺ : « علي قسيم الجنة والنار » أي أن حبُه يُدخِلُ الجنة، وبغضه يدخل النار - ينابيع المودة ج١ ، ص٥٣.

(٤) وقال ﷺ لعلي (ع): « إن الله تعالى أخذ حبكَ على البَشَر والشجر والثمر والبذر فما أجاب إلى حبك عذب وطاب وما لم يجب مرّ وخبُثَ » ينابيع المودة ج٢، ص٣٨. وفي مقدمة البرهان ص ٢٦.

(★) بيان السعادة ج١ ص٢٢٤. وفي حديث قدسي قال الله سبحانه: « لأعذبن كل رعية في =

وجاءَ أنّ أميرَ المؤمنينَ أخذَ بطيخةً فوجدَها مُرّةً، فرمى بها وقالَ: «بُعدًا وسُحقًا»(١) فقيلَ لهُ: وما هذه البطيخةُ؟ فروى حديثَ رسولِ اللهِ ﷺ المتقدمَ، وقد علّلَ بعضُهم هذا الحديثَ بأنَّ جميع ما تنبتُهُ الأرضُ مِن مراجعِ الأبدانِ البشريةِ بعد استحالتِها ترابًا، فما طابَ منها وعَذُبَ فمِن مراجعِ أبدانِ المؤمنينَ، وما خَبُثَ طعمُهُ فمن مراجعِ أبدانِ الكافرينَ، فتدبَّرْ هذا التعليلَ فإني قد رأيتُهُ مستساغًا عذبًا، وأعذبُ منه أو مثلُهُ قولُهُ ﷺ لعليٍّ عَلَيهِ السلام «لا يحبُّكَ إلا مَن طابَتْ ولادتُهُ»(٢) وفي هذا المَعنى كثيرٌ مِنَ الأحاديثِ، قال الشاعرُ:

بحُبِّ عليٍّ تــــزولُ الشكـــــوك ... ويـزكـوا الولاء ويعلـو النجـارْ(٣)
فـــإمّـــا رأيـــتَ محبًّـــا لـــهُ ... فثَـــمَّ العلاءُ وثَـــمَّ الفخـــارْ
وإمـــا رأيـــتَ بغيضًـــا لـــه ... ففـــي أصلِـــهِ نَسَـبٌ مستعَـــارْ
فلا تعـــذلـــوه على بغضِـــهِ ... فحيطـــانُ دارِ أبيـــهِ قصـــارْ

وقالَ آخَرُ:

كـلُّ مَـنْ شـكَّ بـــه أو شكَّكـــا ... فهْو مِن حَيضٍ نشـا أو مِـن زِنـا
أو عُتُلٌّ قِيلَ فيهِ أو زنيم

وأعجبُ مِن هذه الأعاجيبِ وأغربُ مِن هذه الغرائب أنّ الدعواتِ

الاسلام دانت بولاية أمام جائر ليس من الله، وان كانت الرعية في اعمالها برة تقية. ولأعفون عن كل رعية في الاسلام دانت بولاية إمام عادل من الله، وان كانت الرعية في انفسها ظالمة سيئة. بيان السعادة ج١ ص٢٥٧.

(١) ينابيع المودة ج٢، ص٣٨. وصحيفة الأبرار ج١ ص٢٣٤.

(٢) بحار الأنوار ج٢٧ ص١٤٥.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢٠٨. والأبيات للصاحب بن عباد ٩٣٨-٩٩٥م كان تلميذًا وكاتبا لابن العميد فوصله بالأمير مؤيد الدولة بن بويه الديلمي فاتخذه وزيرًا.

الإلهيةَ جميعَها وبعثاتِ الرسلِ، مقدمةٌ للإسلامِ ولبعثةِ محمدٍ ﷺ. والإسلامُ بنبيّه ومعاجزِه وقرآنِه وإعجازِه وحرامِه وحَلالِه كلُّهُ مقدمة لبيعةِ الغدير. قالَ الشاعِر:

إنما محكَمُ الأنـاجيـل والتـو　　راةِ طُـرًّا ومحكَمـاتِ الزَّبـورِ
ودعـاءُ الدعـاةِ للهِ والمعْـ　　ـجزُ بـينَ العصـا وبـين السريـرِ
واصطفاءُ الأمينِ والذكـر والتهـ　　ديـدُ يُتـلى لجانـبِ التبشير
كلُّها كـالمقـدمـات لمـا كـا　　نَ بيـومِ الأيـامِ يـوم الغـديـرِ

وبالجملة، والتفصيلِ فالاسلامُ بنظرِهم طريقُ الإيمانِ ولا فائدة منه إلا حفظُ الدماءِ وجَواز المناكحةِ، وصحة التوارُثِ، والإيمانُ حُبٌّ عليٍّ كما تقدمَ، ولا شكَّ أنك مررْتَ بهذا مَرَّ المستيقظِ الخبيرِ، فحلِّلْ وأوِّلْ ما شاءَ لك التحليلُ والتأويلُ، عَلَّ اللهَ سبحانَهُ يجعلُ لي بكَ مِن بلابلي مخرجًا، ومِن ضيقي فرَجًا.



الرُّؤْيَةُ والتَجَلّي

هنا أرجوكَ أنْ تتأنّى متدبّرًا، وتتدبّرَ متأنيًا، مستحضرًا ذهنَكَ جامعًا عَقلَكَ لترشدَني إلى حلِّ اختلافِ العلماءِ برؤيةِ اللهِ سبحانَه وتجلّيهِ، فانهمُ انقسمُوا قسمَينِ، قسمًا أنكرَها متشدّدًا، وقسمًا اثبتَها متثبّتًا، وكلٌّ منهما يوردُ مِن الأدلّةِ والبراهينِ، والأحاديثِ والآياتِ، ما يكادُ يجعلُكَ تصدّقُ رأيَه وتنزلُ عندَ معتقدِه. فالقسمُ الذي أثبتَ الرؤيةَ والتجلّي يستشهدُ بقولِهِ سبحانَهُ: «ولما جاء موسَى لميقاتِنا، وكلّمَهُ ربُّهُ قالَ ربِّ أرني أنظرُ إليكَ، قالَ: لن تراني ولكن انظرْ إلى الجبلِ فإن استقرَّ مكانَه فسوف تراني، فلما تجلّى ربُّهُ للجبلِ جعَلَهُ دكًا وَخرَّ موسى صَعِقًا»[1] وموسى (ع) يعلمُ ما يجوزُ على اللهِ، وما يمتنعُ، فكيف سألَ اللهَ الرؤيةَ وهو يعلم أنها غيرُ جائزةٍ عليه. لكنَّ المنكِرين للرؤيةِ يستشهدونَ بقولِهِ تعالى: «لن تراني». وعلى كلٍّ فالتجلي ثابتٌ لِقولِهِ جَلَّ جلالُه: «فلما تجلى ربُّه للجبلِ» وبقولِهِ سبحانَهُ: «وجوه يومئذٍ ناضرةٌ، إلى ربِّها ناظرة»[2] وبقوله سبحانَهُ: «للذين أحسنوا الحسنى وزيادةٌ»[3] فقد شرَحَ أميرُ المؤمنينَ (ع) الزيادةَ بأنها رؤيةُ اللهِ. وقالَ تعالى في

---

(١) سورة الأعراف آية ١٤٣.

(٢) سورة القيامة، آية ٢٢و٢٣.

(٣) سورة يونس آية ٢٦.

حقِّ الكفارِ: «كلا إنهم عن ربِّهم يومئذٍ لمحجوبون»[1]. وأخرجَ الشيخانِ البخاريُّ ومسلمٌ: «قالَ أناسٌ يا رسولَ اللهِ، هَلْ نرى ربَّنا يومَ القيامةِ؟ قالَ ﷺ: هل تمارون بالشمسِ ليسَ دونَها سحَابٌ؟ قالوا: لا. قال: هل تمارونَ بالقمرِ ليلة البدرِ؟ قالوا: لا. قالَ: فإنكم ترونَه كذلكَ يومَ القيامةِ»[2] إلى كثيرٍ مِن أمثالِ ذلك فالذينَ ينكرونَ الرؤيةَ يزعمون أن رؤية اللهِ لا تجوز مطلَقًا، لأنَّ الرؤية لا تكونُ ما لم يكنْ بينَ الرائي والمرئي هواءٌ لينفذَ البصرُ، وهذه لا تكونُ إلا مِن قِبَلِ الأجسام، ويستشهدونَ بمثل قولِهِ تعالى: «وإذا قلتُم يا موسى لن نؤمِنَ لكَ حتى نرَى الله جهرةً، فأخذتكمُ الصاعقةُ وأنتم تنظرون»[3] وقولِهِ سبحانَهُ: «لا تدرِكُهُ الأبصارُ وهو يدرِكُ الأبصارَ»[4] وقولِهِ عَزَّ شأنُهُ: «ولا يحيطونَ به علمًا»[5] وقولِهِ: «ليسَ كمثلِهِ شيءٌ»[6] وقولِهِ «وقال الذين لا يرجونَ لقاءَنا لولا أُنزِلَ علينا الملائكةُ أو نرى ربَّنا، لقدِ استكبروا في أنفسِهِم وعَتَوا عُتُوًّا كبيرًا»[7].

وقال الشاعِرُ:

لجماعةٌ سمَّوا هواهم سنةً ... وجماعةٌ حمرٌ لعَمْري مؤكفهْ
قد شبَّهوه بخلقِهِ وتخوَّفوا ... شنعَ الورى فتستروا بالبلكفه[8]

---

(١) سورة المطففين آية ١٥.
(٢) شرح جوهرة التوحيد ص٢٦٣ وصحيح البخاري ج١ ص٢٠٤.
(٣) البقرة. آية ٥٥.
(٤) الأنعام آية ١٠٣.
(٥) طه آية ١١٠.
(٦) الشورى آية ١١.
(٧) الفرقان آية ٢.
(٨) أعيانُ الشيعة ص٤٦٣: والبيتان منسوبان لأحد شعراء المعتزلة.
مؤكفة: آثمة. والإكاف ما يوضع على الدابة.
بلكفة: أي بلا كيف.

ومِثلُ هذا مِن حُجَجِهم كثيرٌ وكثيرٌ. فانظرْ إلى حُجَجِ الفريقين، تراها قويةً خليقةً بالإكبار والإعجاب، وقد أتى عنِ الموالي الكرامِ القولُ بكلا الرأيين. ونؤكّدُ أنّ المعصومَ لا يخطئ وكذلك القرآنُ الكريمِ والحديثُ الشريفُ اتفقا على تحقيقِ الرأيين. فما العمَلُ إذًا؟ ألا نُخْطِئ إذا قلْنا أنّ اللهَ لا يُرى؟! وآياتُ التجلّي في القرآنِ الكريمِ كثيرةٌ وقد مَرَّ بعضُها وجاءَ في الصحيحِ أنه ﷺ قالَ «رأيتُ ربي في أحسنِ صورةٍ»[1] وفيه عنه ﷺ: «إنَّ اللهَ جلّتْ قدرتُهُ يتجلى يومَ القيامةِ في صورٍ متنوعةٍ متعددةٍ، ويتحوَّلُ مِن صورةٍ أدنى إلى صورةٍ غيرِها»[2] ومَراتبُ التمثيلِ في آيةِ النورِ: «اللهُ نورُ السماواتِ والأرضِ، مثَلُ نورِهِ كمشكاةٍ فيها مصباحٌ»[3] ـ وإن يكنِ المثلُ غيرَ الممثولِ، فإنه دالٌّ عليه، وأخذُ الميثاقِ يومَ الذرِّ الأولِ على بني آدمَ، وإشهادُهم على أنفسِهِم أنه ربُّهُم المذكورُ بقولِهِ تعالى: «وإذ أخذَ ربُّكَ مِن بني آدمَ مِن ظهورِهم ذريتَهم وأشهدَهم على أنفسهم: ألستُ بربّكُم؟ قالوا: بلى...»[4] ـ كلٌّ ذلك يدلُّ على التجلّي بالذاتِ. ومَنْ تتبَّعَ كتبَ الصوفيةِ تحيَّرَ لكثرةِ ما فيها منَ الظهوراتِ والتجلي والحَجْبِ، والحِجابُ عندَهم هو التجلي نفسُه. قال ابن عربي في شرحِ الحديث الشريفِ «للهِ سبعونَ حجابًا من نورٍ وظلمةٍ لو أظهرَها كشفًا لأحرقَتْ سبُحاتُ وجهِهِ ما أدركَهُ بصَرُهُ مِنْ خلقِهِ»[5]: فما ألطفَ هذه الحجَبِ!.. قالَ سبحانَه «نحنُ أقربُ إليهِ من حبلِ الوريدِ»[6] مع وجودِ هذه الحجبِ المانعاتِ مِن رؤيتِهِ

(١) نهج البلاغة شرح ابن ابي الحديد المجلد الأول ص٦٥٧.

(٢) صحيح مسلم م٢ صفحة ٢٧.

(٣) النور آية ٣٥.

(٤) الأعراف آية ١٧٢.

(٥) مشارق أنوار القلوب ص١٢٤ ومشكاة الأنوار ص١٢١.

(٦) سورة «ق» آية ١٦.

سبحانَه، ومعَ القربِ العظيمِ وما نرى لهذهِ الحجبِ عينًا فهيَ أيضًا محجوبةٌ عنا. قال تعالى: «ونحن أقربُ إليهِ منكم»(١) فهذا القربُ هو سببُ عَدَمِ الرؤيةِ، فغايةُ القربِ حجابٌ، كما أنَّ غايةَ البعدِ حجابٌ، ولو رفِعَتِ الحُجُبُ بينَ اللهِ والعالَمِ مِن كونِهِ موصوفًا بالسبحاتِ الوجهيةِ لاحترقَ ما أدركَهُ بصَرُ اللهِ بسُبُحاتِ وجهِهِ، وبالنورِ صحَّ وجودُ العالَمِ، فكيفَ يُعدَمُ به العالَمُ واللهُ سبحانَهُ عينُ الحُجُبِ ولهذا احتجَبَتِ الحُجُبُ معَ كونِها نورًا وظلمةً. فهو الظاهرُ والباطِنُ، وما حُجِبْنا عنه إلا بهِ، وللحجابِ عندَ العارفينَ معانٍ متعددةٌ لا تخرجُ عما ذُكِرَ، وقد ينزّهونَ اللهَ سبحانَهُ عنِ الحجابِ بالمعنى المتعارفِ عليه لأنه لا شيءَ أكبرُ منه فيحجبُه، فكيف يحجبُهُ شيءٌ، وهو الذي أظهرَ كلَّ شيءٍ، وظهرَ بكلِّ شيءٍ، والظاهِرُ قبلَ كلِّ شيءٍ، ويقولونَ إن من ليس له طريقٌ إلى معرفةِ اللهِ إلا الاستدلالُ بفعلِهِ على صفتِهِ، وبصفتِهِ على اسمِهِ وباسمِهِ على ذاتِهِ، أولئك ينادَونَ مِن مكانٍ بعيدٍ. ومَن حمَلَتْه العنايةُ الإلهيةُ وطرحتْه إلى حَرَمِ الشهودِ، يشهدُ المعروفَ تعالى جَدُّه، بعدَ المشاهدة السابقةِ في مَعْهَدِ ألسْتُ بربّكم، ويعرِفُ بهِ أسماءَه وصفاتِهِ، عكسَ ما يعرفُه العارف الأولُ، وبينَ العارفينِ فرقٌ بيِّنٌ، إذ الأولُ لقيَهُ معروفُهُ كنائمٍ يرى خَيالاً غيرَ مطابقٍ للواقعِ، والثاني لشهودِ معروفِهِ كمتيقِّظٍ يرى مشهودًا حقيقيًا مطابِقًا. والعجَبُ كلَّ العجبِ أنه تعالى ما ظهرَ بشيءٍ مِن مَظاهِرِ أفعالِهِ إلا وقد احتجَبَ بهِ نفسِهِ. قالَ الشاعِرُ:

بدَتْ باحتجابٍ واختفَتْ بمظاهـرٍ   على صبغِ التلوينِ في كلِّ بـرزةِ(٢)

ولقد أحسنَ مَن قالَ:

منعَتْهـــا الصفـــاتُ والأســـماءُ   أنْ تُـــرى دونَ بـــرقـــعٍ أســـماءُ

---

(١) الواقعة آية ٨٥.

(٢) ديوان ابن الفارض ص٧٠.

ويزعمونَ أنَّ موسى (ع): حُجِبَ عنِ الرؤيةِ لأنّه سَرى إلى اللهِ بقدَمِ نفسِهِ غيرَ مُنْسَلِخٍ مِن أنانيتِهِ، فكانَ جزاؤهُ مِنَ اللهِ سبحانَهُ «لن تراني». ومحمد ﷺ سرى بقدَمِ ربِّهِ كما يظهَرُ ذلكَ مِن قولِهِ سبحانَهُ: «سبحانَ الذي أسرى بعبدِهِ ليلاً مِنَ المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى»[1] فاستحقَّ رؤيةَ اللهِ وسَماعَ كلامِهِ، بدليل قولِهِ ﷺ: «كلّمَني ربي وكلّمْتُه»[2]. وقالَ الشاعِرُ:

زِدني بفـرطِ الحبِّ فيــكَ تحيُّــرا وارحَمْ حَشًى بِلظى هواكَ تَسعَّرا[3]
وإذا سـألتـــكَ أن أراكَ حقيقـــةً فاسمحْ ولا تجعَلْ جوابيَ لن تَـرى

أرى أن تقسيمَ أسماءِ اللهِ سبحانَه وترتيبَها يدلُّ على إثباتِ الظهورِ والتجلي معًا. فاللهُ سبحانَهُ قبلَ التكوينِ لا اسمٌ له ولا خبرٌ عنه ولا... ولا... وهو المشارُ إليه بقولِهِ ﷺ «إذا وصَلَ الكلامُ إلى الذاتِ فأمسِكوا»[4] فأولُ أسماءِ اللهِ سبحانَهُ الـ«هُو» وهو مقامُ الغيبِ الذي لا يصرحّ شهودُه للغيرِ، كغيبِ الْهُويةِ المعبَّرِ عنها باللاتعيُّنِ، وهو أبطنُ البواطِنِ، فهذا الاسمُ وإنْ كانَ مِنَ المضمَراتِ - فهو أعرفُ المعارفِ لأنه لا يخصُّ إلا موجودًا معروفًا ظاهِرًا؛ فمنه إليكَ قولُهُ هو، ومنكَ إليهِ قولُكَ هو. فتعبيرُهم عن هذا الاسمِ بأنه لا يصحُّ شهودُه، يدلُّ على أنَّ غيرَه يصحُّ شهودُه. ثُمَّ ثاني الأسماءِ وهو الأحدُ فهو اسمٌ للذاتِ معَ اعتبارِ تعدُّدِ الصفاتِ والأسماءِ، والغيبِ والتعيناتِ، ثمَّ الحضرةُ الأحديةُ، وهو يتعيَّنُ بالتعينِ الأولِ، وقبلَه لا تعين للذاتِ الأحديةِ،

---

(١) سورة الأعراف آية ١٤٣.

(٢) بصائر الدرجات «قال رسول الله ﷺ لقد أسرى بي ربي فأوحى إليَّ من وراء الحجاب وكلمني» ص٥٣٤. وقال ﷺ: «خاطبني ربي بلغة علي وألهمني أن قلت يا رب خاطبتني أنت أم علي؟» ينابيع المودة ج١ ص٨١.

(٣) ابن الفارض - انظر ديوانه ص١٦٩.

(٤) بيان السعادة ج٢، ص٣٥٣.

لأنه محلّ الكثرة، ومكانُ ظهورِ الحقائقِ ، وهذهِ الأسماءُ كلها قبلَ اسمِ الجلالةِ الذي هو اللهُ. واللهُ اسمٌ مأخوذٌ مِن أَلِهَ إلاهةً (عَبِدَ عبادةً) أو مِن لاهَ الخلقَ يَلوهُ، بمعنى خلقَهم. فالله «فعّالٌ» مِن المبالغةِ (أي خلاّق). ولم يَتَسَمَّ بهذا الاسمِ إلا بعدَ أن فتقَ الخلقَ مِن رتقِهِ، فالرتقُ هو إجمالُ المادةِ الوحدانيةِ المسماةِ بالعنصرِ الأعظمِ المطلَقِ المرتوقِ قبلَ خلقِ السماواتِ والأرضِ ، المفتوقِ بعدَ تعيُّنِها بالخلقِ وقد يطلَقُ الرتق على نسَبِ الحضرةِ الواحديةِ باعتبارِ ظهورها ، وعلى كلِّ بطونٍ وغيبةٍ. فالاسمُ (الله) تنطوي فيه جميعُ حقائِقِ الأشياء ، والاسمُ (الرحمنُ) تظهرُ فيه جميعُ الكثراتِ، ومشيئةُ اللهِ مظهَرٌ للاسمِ (اللهِ) باعتبارِ احتوائِهِ على جميع الحقائقِ فالمشيئةُ بالاعتبارِ الأول عرشُ الرحمنِ (الرحمنُ على العرشِ استوى)[1] وبالاعتبار الثاني كرسيٌّ. (وسعَ كرسيُّهُ السماواتِ والأرضَ)[2]. وما أشبهَ ذلك من شروحِ أسماءِ اللهِ، فقولُهم: الرتقُ يُطلَقُ على البطونِ والغيبِ، والمشيئةُ مظهَرٌ لفظِ الجلالةِ، ومظهرُ الرحمنِ وسواءٌ أكانَ العرشُ والكرسيُّ أمرينِ معقولينِ أم شيئينِ محسوسَينِ ، فكلٌّ منها مُعَدٌّ للجلوسِ والاستواء. أشمُّ مِن كلِّ ذلكَ رائحةَ الظهورِ ، ولعلني أخشُمُ، فأرشدْني ـ أرشدَكَ اللهُ.

(١) سورة طه آية ٥.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٥٥.

أسماءُ أميرِ المُؤْمنينَ عِنْدَ الأُمَمِ السّالِفَة

ثُمَّ أليسَ أدهى وأمرَّ مِن كلِّ ما مَرَّ أن يكونَ لأميرِ المؤمنينَ (ع) أسماءٌ في التوراةِ والإنجيل والزبور والقرآنِ، وعندَ جميعِ الأممِ السالفةِ قبلَ وجودِ أميرِ المؤمنين؟؟! وقد خطبَ مرةً فقالَ: «اسمي في صحفِ إبراهيمَ حزبيلُ وفي العبرانيةِ بلقياطيسُ وفي السريانيةِ شروحيلُ، وفي التوراةِ بريا، وفي الزبورِ أريا، وفي الإنجيل إيليا، وفي الصحُفِ حجر العينِ، وفي القرآن علي، وعندَ النبيِّ ناصرٌ، وعند العرَبِ مليا وعند الهندِ كنكرُ، وعندَ الرومِ بطريسُ، وعندَ الأرمن فريقٌ وقيلَ أطفاروسُ، وعند الصقلابِ فيروق، وعندَ الفرسِ خير - وقيل فيروز - وعندَ التركِ (تنير أو عنبر) وقيلَ راج. وعندَ الخزرِ برين، وعندَ النبطِ كريا، وعندَ الديلم بني وعندَ الزنجِ حنين، وعندَ الحبَشِ تبريكَ - وقالوا كرمتنا - وعندَ الفلاسفةِ يوشعُ وعند الكهنةِ بوا، وعندَ الجنِّ حبين، وعندَ والدِهِ حرب وقيلَ ظهيرٌ، وعندَ أمِّهِ حيدرة وعِندَ ظئرِهِ(★)، ميمون وعندَ اللهِ عليّ»[1] ألا وإني مخصوصٌ في القرآنِ بأسماءِ احذروا أن

---

(١) مناقب آلِ أبي طالب ج٣، صفحة ٢٧٦. وفي صحيفة الأبرار ج٢، ص٣ ورد قول رسول الله ﷺ، يا علي كنتَ مع كلِّ بني سرًا ومعي جهرًا. وانظر بيان السعادة جزء٢، ص٢١١، ومشارق أنوار اليقين ص٨٥.

(★) الظئرُ: مهموز: العاطفة على غير ولدها، المرضعة له من الناس والإبل الذكر والانثى في =

تَغْلِبوا عليها فتضلوا في دينكم. وأتى عن الراهبِ بحيرا أنّ عليّا (ع) أعرفُ في الكتابِ مِن أصحابِ عيسى. وعنِ الراهبِ أبي المويهبِ أن صفةَ محمدٍ ﷺ بالنبوةِ، وابن عمِّهِ عليٍّ سيد العربِ وبانيّها وذي قرنيها يُعطى السيفَ حقّهُ، اسمُه في الملأ الأعلى علي، وهو أعلى الخلائقِ يومَ القيامةِ بعدَ الأنبياء ذكرًا. ومثلُ هذا عن قسِّ بنِ ساعدةَ الإياديِّ، وغيرِهِ كثيرٌ وكثيرٌ. فما الذي تراه لي؟ أنجِدْني أنجدَك اللهُ.

= ذلك سواء، وفي الحديث: ذكر ابنه إبراهيم عليه السلام فقال « إنَّ له ظئرًا في الجنة » انظر لسان العرب.

الغُلُوُّ وأَسْبابُهُ

أنتَ تعلمُ أنَّ الغُلوَّ هو تجاوزُ الحدّ، فالغلوُّ بأميرِ المؤمنينَ هو الاعتقاد بأنّهُ اللهُ تعالى، وقد تأخذُكَ الحيرةُ والتعجُّبُ كيفَ يعتقدُ الناسُ الألوهيةَ برَجُلٍ بشريٍّ يأكلُ الطعامَ ويمشي في الأسواقِ، وهو مِن أعظمِ الفِرْياتِ، لا بل مِن أكبر الكبائرِ، وهل يُظَنُّ بعاقِلٍ مهما بلغَ بهِ التهورُ أن يرتطمَ بهذِهِ المهلكةِ، ويتحدَّرَ إلى هذه الموبقَةِ. غالى كثيرٌ مِنَ الناسِ بأمير المؤمنينَ وبأولادِهِ المعصومينَ عليهمُ السّلامُ، فالمغالونَ بهم زهاءُ ستينَ فرقة: مِن فِرَقِ الإسلامِ، والذي يأخذكَ ويُذهلُكَ، ويُقيمُكَ ويقعدُكَ هو أنك تجدُ بهؤلاء المغالينَ الثقاتِ الكمَّلَ والعلماءَ الأماثلَ والعرفاءَ الشامخينَ. والذي دعاهم للغلوِّ بهِ ما كانُوا يرونَه ويسمعونَه مِن خوارقِ العاداتِ، والإخبارِ بالمغيباتِ، كإحياءِ الموتى، وإنطاقِ الجمادِ، ومخاطبةِ الحيوانِ، وقلبِ الماهياتِ، والتصرفِ التامِّ بالزمانِ والمكانِ، وعلمِهِ كلَّ العلوم وجميعَ اللغاتِ، حتى خاطبَ أهلَ كلِّ لغةٍ بلغتِهم، بل خاطَبَ العجم بلغاتِها. وعروجِهِ إلى السماءِ على الغمامِ، وعلمِهِ بالمغيباتِ الخمسِ التي حصَرها اللهُ تعالى بنفسِهِ لقولِهِ: «إنَّ اللهَ عندَه علمُ الساعةِ، وينزلُ الغيثَ، ويعلمُ ما في الأرحامِ وما تدري نفسٌ ماذا تكسبُ غدًا، وما تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموتُ»[1] وغير ذلكَ مما كانَ به حيرةُ

---

(١) سورة لقمان آية ٣٤.

العلماءِ ودهشةُ العقلاءِ، حتى قالَ قائلُهم ما معناه: «واللهِ ما نَدري ماذا نصنَعُ بعلي بنِ أبي طالبٍ، إنْ أحببْناه حقَّ حبِّهِ غلونا، وإنْ قصرْنا كفرْنا» وقد أوردَ علامةُ المعتزلةِ للشافعيِّ:

حارَ الوَرَى كلُّهمْ في أمرِ حَيدرةٍ والعالمونَ بمعنى أمرِهِ تاهوا
فإنْ أقُلْ بشرٌ فالعقلُ يمنعُني واتقي اللهَ في قولي هو اللهُ[1]

وأوردَ له أيضًا:

يموتُ الشافعيُّ وليسَ يدري عليٌّ ربُّهُ أم ربُّهُ اللهُ[2]

وقال علامةُ المعتزلةِ:

هو الآيةُ الكبرى ومستنبَطُ الهدى وحيرةُ أربابِ النهى والبصائرِ[3]

وكثيرٌ مِنَ العلماءِ والشعراءِ مَن زعَمَ أنه حيرةُ العقولِ والألبابِ ومَضلَّةُ البصائرِ والأبصارِ. فمِنَ الأسبابِ التي دعَتْ للغلو به، ما جاءَ بخُطبِهِ مِن مثلِ: «إنَّ لي الكَرَّةَ بعدَ الكرَّةِ، والرجعةَ بعدَ الرجعةِ، وأنا صاحِبُ الكراتِ والرجعاتِ، وصاحِبُ النقماتِ والصولاتِ، والدولاتِ العجيباتِ»[4] وقولِهِ: «أنا أسماءُ اللهِ الحُسْنى، وأمثالُهُ العليا، وآيتُهُ الكبرى. وأنا صاحبُ الجنةِ والنارِ، أسكِنُ أهلَ الجنةِ الجنةَ وأهلَ النارِ النارَ، وإليَّ إيابُ الخلقِ جميعًا. أنا الذي سُخِّرَت لي السَّحابُ والرعدُ والبرقُ، والظلَمُ والأنوارُ، والرياحُ والجبالُ،

---

(١) سلوني قبل أن تفقدوني ج٢، ص٣٧.

(٢) المسلمون العلويون: ص١٢٩ ولماذا اخترت مذهب الشيعة ص٢٣٨ الذي أورد فيه المؤلف بيتا آخر يقول فيه:

لو أن المرتضى أبدى محلَّه لباتَ الخلقُ طرًّا سجّدًا لَهْ

(٣) الروضة المختارة ص١٢٥.

(٤) صحيفة الأبرار ج١ ص٩٣.

والبحارُ والنجومُ والشمسَ والقمرُ. وأنا الذي ذللْتُ الجبابرةَ، وأنا صاحِبُ مَدْينَ، ومُهلِكُ فرعونَ، ومنجي موسى وأنا فاروقُ الأمةِ، وأنا الهادي، وأنا أحصيْتُ كل شيءٍ عددًا »[1] وسُئِلَ مَرةً: كيفَ أصبحْتَ؟ فقالَ: « أصبحْتُ وأنا الصِّدِّيقُ الأكبرُ، والفاروقُ الأعظم »[2] و« أنا وصيٌّ خيرِ البشرِ، وأنا الأولُ، وأنا الآخِرُ، وأنا الباطِنُ، وأنا الظاهرُ »[3] و« أنا بكلِّ شيءٍ عليمٌ، وأنا عينُ اللهِ، وأنا جَنبُ اللهِ، وأنا أمينُ اللهِ على المرسلين بِنا عُبِدَ اللهُ، ونحنُ خزَنةُ اللهِ في أرضِهِ وسمائِهِ، وأنا أحْيِي وأميْتُ، وأنا حيٌّ لا أموت »[4] وخطبَ مرةً في جامعِ البصرةِ فقالَ: « يا معشَرَ المؤمنينَ والمسلمين، إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أثنى على نفسِهِ فقالَ: هو الأولُ - يعني قبلَ كلِّ شيءٍ - والآخِرُ - يعني بعدَ كلِّ شيءٍ - والظاهِرُ على كلِّ شيءٍ، والباطن لكلِّ شيءٍ. سلوني قبلَ أن تفقدوني فأنا الأولُ وأنا الآخِرُ، أنا دحَوْتُ أرضَها، وأنشأتُ جبالَها، وفجّرْتُ عيونَها وشقّقْتُ أنهارَها، وغرسْتُ أشجارَها »[5] و« أطعمْتُ ثِمارَها، وأنشأتُ سحابَها، وأسمعْتُ رعدَها، ونوَّرْتُ برقَها، وأضحَيْتُ شمسَها فيها. أنا جَنْبُ اللهِ، وكلمتُهُ، وقلبُ اللهِ، وبابُهُ الذي منه يؤتى، ادخلوا البابَ سجَّدًا، أغفرْ لكم خطاياكم، وأزيدُ المحسنينَ، فيَّ وعلى يديَّ تقوم الساعةُ، وفيَّ يرتابُ المبطلون »[6].

ألا ترى بهذِهِ الخُطْبةِ الغريبَ العجيبَ، كيفَ استهلَّها بقولِ اللهِ تعالى مُخْبِرًا عن نفسِهِ أنه الأولُ والآخِرُ... وثنّى - أي أميرُ المؤمنينَ - بقولِهِ عن

(١) صحيفة الأبرار ج١ ص٩٣.
(٢) مشارق أنوار اليقين ص١٦٤ وينابيع المودة ج١ ص١٥٠.
(٣) مشارق أنوار اليقين ص١٦٨.
(٤) « أن أحيي وأميت » مشارق أنوار اليقين ص١٦١ وجاء في الحديث القدسي في مشارق أنوار اليقين ص١٧١ « عبدي أعطن اجعلك مثلي؛ أنا حي لا أموت، أجعلك حيًا لا تموت ».
(٥) صحيفة الأبرار ج١ ص٨٧.
(٦) مشارق أنوار اليقين ص١٧٢.

نفسِهِ: أنه الأولُ والآخِرُ... وأردفَ ذلكَ بما قرأتَهُ، إنه الغريبُ العجيبُ، والمحيِّرُ المدهِشُ، ولو نقلتُ مِن خُطَبِهِ مِن هذا النوعِ المشكِلِ لجمَعْتُ كتابًا ضخمًا. وقد يعدُّونَ مِنَ الأمورِ المستغرَبَةِ، صعودَ أميرِ المؤمنينَ (ع) على كَتِفِ محمّدٍ ﷺ لإنزالِ هُبَل، وقد رُوِيَ أنّ الملائكة أحاطتْ بظهرِهِ حينَ صعدَه أميرُ المؤمنينَ فنالَ شيئًا لم ينلْه أحَدٌ. ورويَ عن الصادِق (ع) ما معناه إذ سألَهُ سائلٌ: أخبرني يا بنَ رسولِ اللهِ لِمَ رفعَ النبيُّ عليًّا على كتفيهِ؟ فقالَ ليعرِفَ الناسُ مَقامَه ورِفعتَهُ، فقالَ: زِدني يا بنَ رسولِ اللهِ، فقالَ: ليعلَمَ الناسُ أنه أحقُّ بمقامِ رسولِ الله. فقال: زدني. فقال: ليعلمَ الناسُ أنه الإمامُ بعدَه والعلَمُ المرفوع. فقالَ: زدني. فقالَ: هيهاتَ، واللهِ لو أخبرْتُكَ بكنْهِ ذلك لقُمْتَ عني وأنتَ تقول: إنّ جعفرَ بن محمد كاذب في قولِهِ أو مجنون!! وكيف يطّلعُ على الأسرارِ غيرُ الأبرار»[1] فما الذي كتَمَه جعفرٌ بعدَ هذا القولِ الذي أظهرَهُ؟ وفي هذا قالَ الشافعيُّ:

قِيلَ لي: قُلْ في عليٍّ مِدَحًا ... ذِكرُهُ يُخمِدُ نارًا مؤصدَهْ
قلْتُ لا أقدِمُ في مدح امرئٍ ... ضَلَّ ذو اللبِّ إلى أن عبدَهْ
والنبيُّ المصطفى قالَ لنا ... ليلةَ المعراجِ لما أصعدَهْ
وضعَ اللهُ بظهري يدَه ... فأحسَّ القلبُ أن قد بردَه
وعليٌّ واضِعٌ أقدامَهُ ... في مَحَلٍّ وضعَ اللهُ يدَه[2]

وقالَ علامةُ المعتزلةِ:

رقَيْتَ باسمى غاربٍ أحدَقتْ بهِ ... ملائكُ يتلونَ الكتابَ المسطَّرا
بغاربِ خيرِ المرسلينَ وأشرفِ ... الأنامِ وأزكى ناعلٍ وطئ الثرى

---

(١) مشارق أنوار اليقين ص١٧.
(٢) ينابيع المودة ج١ ص١٣٩ الضوج: الجانب أو الناحية (لسان العرب).

فسبَّحَ جبريـلٌ وقـدَّسَ هيبـةً   وهلَّـلَ إسرافيـلُ رعبًـا وكبَّـرا
فيا رتبةً لو شِئتَ أن تلمسَ السهـا   بها، لم يكـنْ مـا رمْتَـه متعـذِّرا
ويـا قـدَميـهِ أيَّ قُـدْسٍ وطِئتُما،   وأيَّ مقـامٍ قمتما فيـهِ أنـورا
بحيثُ أفاءَت سدرة العرشِ ظلَّهـا   بضَوجَيهِ فاعتدَّتْ بـذلـك مفخـرا
وحيثُ الوميض الشعشعاني فائـضٌ   مِنَ المصدرِ الأعلى تباركَ مصدَرا[1]

وكثيرٌ مِنَ الشعراءِ والكتابِ تغنّى بهذه الواقعة متحيّرًا متعجّبًا. ومن دواعي الغلوِّ ـ وهو أعجبُ مِن كلِّ عجيبٍ ـ اعتقادُ هؤلاء الغلاة أنَّ أميرَ المؤمنين (ع) هو النارُ التي تجلّتْ لموسى مِن الشجرةِ، استنادًا إلى قولِهِ في إحدى خُطَبِهِ: «أنا ذلك النورُ، وأنا صاحِبُ الطورِ»[2] ولا شَكَّ أنَّ الذي ناجى موسَى على الطورِ هوَ اللهُ ـ نار موسى ـ كما جاءَ في القرآنِ الكريمِ وسائِرِ الكتبِ الإلهاميةِ... أما هذه هي الورطةُ المُهلِكةُ؟!! والتكذيب لا يجوزُ، والتحقيقُ عسيرٌ. قالَ علاّمةُ المعتزلةِ:

وشِهـابُ مـوسى حينَ أظلمَ ليلُـهُ   رُفِعَـتْ لـه لألاؤهُ تتشعْشـعُ
لَولا حُدوثُكَ قلتُ إنكَ جاعـلُ الأ   رواح في الأشبـاح والمستنـزعُ
واللهِ لولا حيـدرٌ مـا كـانـتِ الدّ   نيـا، ولا جَمَعَ البريـةَ مجمَعُ[3]

وله أيضًا:

يـا أيُّهـا النـارُ التي شَـبَّ السَّنـا   منهـا لموسى والظلامُ مُجلِّـلُ
لولاكَ ما خُلِقَ الزمـانُ ولا دجـا   غِبَّ انبلاجِ الفجـرِ ليـلٌ ألْيَـلُ[4]

(١) الروضة المختارة ص١٠٥-١٠٦.
(٢) مشارق أنوار اليقين ص١٦٩.
(٣) سلوني قبل أن تفقدوني ج١، من قصيدة طويلة ص٢٦-٢٩.
(٤) الروضة المختارة ص١٥٥.

وقالَ آخَرُ:

وهـو النـورُ على الطـورِ أضـا لابـنِ عمـرانَ لمنهـاجِ الرِّضـا
ظنّـهُ نـارًا فلما أنْ مَضى جـاءَه يبغـي اقتبـاسًا للسَّنـا
خلعَ النعْلَ ووافى كالسليمْ

وقالَ غيرُه:

يـا بني الزهـراءِ والنـورِ الذي ظـنَّ مـوسى أنـه نـارُ قبَسْ
لا أُوالي قَـطُّ مَـنْ عـاداكُمُ إنَّهـم آخِـرُ سَطـرٍ في عبَسْ[٢]

وقد زعموا ـ استنادًا إلى الحديثِ الشريفِ ـ «يا عليُّ كنْتَ مع كلِّ نبيٍّ سرًا ومعي جهرًا» ـ أنّ جميعَ معاجزِ الأنبياءِ كانت بعليّ بنِ أبي طالب. قالَ الشاعِر:

فلولاكَ لم ينجُ بن متّى ولا خبَتْ سعيرٌ لإبـراهيمَ بعـد تلهُّـبِ
ولا فلقَ البحرَ ابنُ عمرانَ بالعَصـا ولا فرَّتِ الأحزابُ عن أهلِ يثربِ
ولا قُبِلَتْ مِـن عـابـدٍ صلـواتُـهُ ولا غفـرَ الرحمٰنُ زلـةَ مُـذْنِـبِ
ولم يغلُ فيكَ المسلـمـونَ جهـالـةً ولكـنْ لسِـرّ في عُلاكَ مغيَّـبِ[٣]

ومِن هذه الأسبابِ قصةُ رمْيِهِ بالمنجنيقِ، وهي قصَّة غريبةٌ مستغرَبَةٌ وصعبةٌ مستصعبةٌ «وذلك لوضع أميرِ المؤمنينَ بكفةِ المنجنيق، ثم قذفَه في الهواءِ، عِوَضًا عنِ الحجرِ، ولما لم توصلْه الرميةُ إلى فوقِ الحصنِ خطا في الهواءِ حتى بلغَ الحصنَ ثمّ نَزلَ وقلَعَ البابَ الذي كان لا يقدِرُ على فتحِهِ

(٢) نور الأبصار ص٢١٢ وعنى بقوله آخر سطر في عبس قوله تعالى: «أولئك هم الكفرة الفجرة» الآية الأخيرة من سورة عبس.

(٣) أحد شعراء الإمامية لم يذكر اسمه (سلوني قبل أن تفقدوني) ج١، ص١٦٩.

وإغلاقِهِ إلا أربعة وأربعونَ رجلاً وتترّسَ به بأن حمَلَهُ بيدٍ واحدةٍ، وجعَلَ يضربُهم مِن تحتِهِ حتى هزَمَهم وحملَ البابَ إلى خارجِ الحصنِ ، وجعلَهُ جسرًا على الخندقِ، فلما لم يصِلْ إلى طرَفي الخندقِ وصلَه بيدِهِ، إلى أن قطعَ الجيشُ كلُّهُ عليهِ»[1] فقذفةُ في المنجنيقِ وخطوُه في الهواءِ ، وخلعُهُ البابَ، وحمْلهُ إياه ووضعُهُ جسرًا يصلُه بيدِهِ كلُّهُ مِنَ الأمورِ المدهشةِ التي دعَتِ الشعراءَ للتغني بها مندهشينَ متعجّبينَ قال علامةُ المعتزلة:

يا قالعَ البابِ الذي عن هزِّهِ ... عجزَتْ أكفٌّ أربعونَ وأربعُ[2]

وقال أحدُ شعراءِ السنّةِ:

وبابُ خيبرَ لو كانَ مسامِرُهُ ... كلُّ الثوابتِ حتى القطبُ لا نقلَعا[3]

وقالَ الأزريُّ:

وبرى مرحبًا بكفِّ اقتدارٍ ... أقوياءُ الأقدارِ مِن ضُعَفاها
ودحا بابَها بقوةِ بأسٍ ... لو حمَتْهُ الأفلاكُ منه دحاها[4]

وقالَ آخرُ في قصةِ المنجنيقِ :

رمَى إلى ذاكَ عليًّا في الهوا ... بالمنجنيقِ في أمانِ المقتدِرْ
فكانتِ الرميةُ غيرَ واصلٍ ... فمَرَّ يمشي في الهوا حتى انحدرْ

(١) بحار الأنوار ج٢١، ص٤.
(٢) سلوني ج١ ص٢٧.
(٣) الشاعر عبد الباقي العمري الموصلي والأبيات في كتاب الكلام الجلي في ولاية أمير المؤمنين علي ص١٨.
(٤) من القصيدة الأزرية المشهورة بالشمسية.

فـــاستسلمـــوا لما رأوا أفعـــالَـــهُ تجلُّ قدرًا عَـن أفـاعيـلِ البشرْ(١)

ولقد زعمَ الغلاةُ أنَّ الآيةَ الكريمةَ «وظنُّوا أنّهم مانعتُهم حصونُهم مِنَ اللهِ فأتاهمُ اللهُ مِن حيثُ لم يحتسبوا وقذفَ في قلوبِهمُ الرعبَ...»(٢) نزلت في فتح خيبرَ وخطو عليٍّ في الهواء. وتزعُمُ الغلاةُ أيضًا أنَّ عليّا لما أظهرَ مِن نفسِهِ المعجزاتِ التي لا يقدر عليها إلا اللهُ، دَلَّ على أنه إلهٌ، ولمّا ظهرَ بصفاتِ المحدثينَ العاجزينَ لبَّسَ عليهم وامتحنَهم لِيعرفوه فيكونَ إيمانُهُمْ اختِيارًا مِن أنفسِهم قالَ أحدُهم:

وقلتُ ما قلتُ مِن قولِ الغلاة ومـا على الغلاةِ إذا قالوا الذي وجبَـا(٣)

ومِن أقوالِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلامُ ما اتخذَهُ الغلاةُ ذريعةً: «جميعُ أسرارِ الكتبِ السماويةِ في القرآنِ وجميعُ ما في القرآنِ في الفاتحةِ وجميعُ ما في الفاتحةِ في البسملةِ وجميعُ ما في البسملةِ في النقطةِ، وقالَ أنا النقطةُ»(٤) لقد مَرّ بك طرَفٌ من ذكْرِ القرآنِ، وكيف هو كلُّ شيءٍ، وجامِعُ كلِّ شيءٍ (ومنتهى الكلامِ إلى الحروف ومنتهى الحروف إلى الألفِ ومنتهى الألف إلى النقطةِ. والنقطة عندَهم عبارة عن نزول الوجود المطلق الظاهر بالباطِنِ »(٥) لا عبارةٌ ولا إشارة. ولذلكَ قالَ أميرُ المؤمنين (ع): «العلمُ نقطةٌ كثَّرها الجاهلونَ

---

(١) من قصيدة السروجي في «مناقب آل أبي طالب»، ج٢، ص٢٩٩.

(٢) الحشر، آية ٢.

(٣) قيل لابن نما - وهو اسماعيل بن محمد بن نما الحليّ الفقيه - وقد دعي بهذا اللقب اناس كثيرو، وقيل انه للشاعر الحميري من قصيدة طويلة منها:

قـــوم غلـــوا في علي لا ابـــا لهم وأجشمـــوا انفســـا في حبّـــه تعبـــا
قـالـوا هـو الابـن جـل الله خـالقنـا مـن ان يكـون ابـن ام أو يكـون ابـا

(٤) ينابيع المودة ج١ ص٦٨.

(٥) مشارق أنوار اليقين ص٢٣.

والألف وحدةٌ عرَفَها الراسخون»[1] وقالَ عليهِ السلام: «أنا القرآنُ العظيمُ»[2] وقالَ ألعُمَريُّ في مدحِهِ:

وأنتَ نقطة بـــاءٍ مَعْ تـوحُّـدِهـا   بها جميعُ الذي بالذكْرِ قد جُمِعَـا[3]

وبينَ المنزِّهةِ والمجسِّمةِ معاركُ علميةٌ طاحنةٌ تدور على البراهينِ الدامغة والحُججِ القاطعةِ، يقولُ المنزِّهونَ ما ملَخَّصُهُ أنَّ اللهَ سبحانَه منزَّهٌ عنِ الرؤيةِ والإدراكِ وحتى عن توهُّمِ الأوهامِ، وخطراتِ القلوبِ، لا يُعرَفُ ولا يُعلَمُ، لا تُضرَبُ به الأمثالُ ولا لقائلٍ فيه مَقالٌ، غيبٌ منيعٌ، فمَن زعمَ أنه يُرى أو يُحَسُّ أو يُعايَنُ فقد شبَّهَهُ بخلقِهِ وكفَرَ بهِ. وتقولُ المشبِّهةُ: أنه سبحانه ـ كما تقولُ المنزِّهةُ ـ لا يُرى كشفًا ولا يُحَدُّ، ولا... ولا... الخ؛ غيرَ أنّه لا يجوزُ عليه سبحانَهُ الحصرُ والتحديدُ ولا يجوزُ إلا أن يظهرَ لخلقِهِ[4]، ليدلَّهم على نفسِهِ، وإلا كانَ المقصودُ سِواه، وكيفَ تكونُ المعرفةُ بدونِ الرؤيةِ؟!! ومَن لا يُعرَفُ كيفَ يُعبَدُ سُئِلَ أميرُ المؤمنينَ عليه السلامُ: هَل ترى اللهَ؟ قال: «ما كنْتُ أعبُدُ ربًا لا أراه»[5] وهكذا وكما ترى أن حُجَجَ الفريقين تلوحُ على كلٍّ منها أنوارُ الحقِّ وأضواءُ العِلمِ، فاللهُ سبحانَه لا يُرى، ولو ظهرَ بذاتِهِ كشفًا لاضمحلّتِ المكوّنات واحترقَتْ مِنْ نورِ السبحاتِ. وأنتَ تعلم ما جرى لكليمِهِ موسى (ع) حينَ طلبَ الرؤيةَ، فقد

(١ و٢) ينابيع المودة ج١، ص٦٨.

(٣) الكلام الجلي في ولاية أمير المؤمنين علي ص١٨.

(٤) إنَّ الله لا يُرى بذاته كشفًا ولو ظهر كشفًا لأحرق المكونات ما علا منها وما سفل، ومحمد والمعصومون من آل بيته ﷺ هم المظاهر الإلهية الكبرى، ومظاهره غيره، ولكن لا يعرف ولا يعبد إلا عن طريق هذه المظاهر قال الصادق (ع): «بنا عرف الله وبنا عبد الله» وقال أمير المؤمنين (ع) «الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه».

(٥) نهج البلاغة ـ دكتور صبحي الصالح ص٢٥٨.

تلاشَى الجبلُ وصُعِقَ موسَى مغشيًا عليه، ولكن كيف تجوزُ عبادَةُ غائبٍ لا يُرى ولا يُعلَمُ،؟ أبالإخبارِ كبعثةِ الرسُلِ وما أشبهَ؟ وهذا غيرُ كافٍ بنظرهم، بل لا بُدَّ من تجليهِ سبحانَه بما تُطاقُ به رؤيتُه حتى يُعرَفَ ويُعبَدُ. ألا ترى ـ أراكَ اللهُ الخيرَ ـ أنَّ الحيرةَ هنا تجلّتْ بكلِّ مظاهرِها وقوّتها؟! بلى، إنها كادَتْ أن تقطعَ عليّ سبيلَ تفكيري، وتسد طُرَقَ معارفي، لأنني ـ لأوّلِ وهلةٍ ـ رأيتُ أنَّ المنزِّهينَ هم المحقون الموقنون والمحققونَ العارفون. وكيف يجوزُ أن يُرى اللهُ أو يُخاطَبَ... أو... أو...؟؟ والرؤيةُ والمخاطبةُ وشبهُهما، لا تكونُ إلا بتناسُبِ السنخيةِ[1] والنوعِ، ولكنْ أنَّى جازَ لهؤلاءِ المشبِّهةِ ـ وفيهمُ العقلاءُ والعلماءُ ـ تشبيهَ اللهِ بخلقِهِ؟ وبمَ يحتجّونَ لإثباتِ نِحلتِهم؟ فرجعْتُ إلى مفكّرتي متسائلاً ماذا يجبُ أن يكونَ احتجاجُ المشبِّهةِ، وعلى أيِّ شيءٍ بنَوا معتقدَهم؟ فالذينَ ردوا على معتقدهم وكفَّروهم لم يكتبوا عنهم إلا التشويةَ والتكفيرَ فقط، وبعدَ لأيٍ اتضحَ لي أنه ربَّما كانَ احتجاجُهم ما أعرضُه عليك، وأكادُ أجزمُ أنّه هو، وسواءٌ أكانَ هو أم لم يكن فإني اعرضُ عليكَ هذه الحُجَجَ فتدبرْها وأعطني رأيك بها. إنَّ اللهَ ـ وله العظمةُ والمجدُ ـ منزَّهٌ بكلِّ أنواعِ التنزيهِ، وعن كلِّ أنواعِ التنزيهِ أيضا، ولكنَّ تنزيةَ هؤلاءِ المنزِّهةِ نوعٌ مِنَ الحصرِ، لأنهم حصَروه في جانبِ التنزيهِ فقط، باطنٌ لا يظهرُ، غيبٌ منيعٌ، ولا يجوز عليه سبحانَه هذا الحصرُ والتحديدُ، فكما أنَّ له البطونُ يجبُ أن يكونَ له الظهورُ، وكما أنّ له الظهورُ، يجبُ أن يكون له البطونُ، وإنْ كانَ في جانبٍ منهما دونَ الآخَرِ فهو الحصرُ والتحديدُ. فاللهُ سبحانَهُ يجبُ أنْ يكونَ دائمًا جامعًا بينَ الحالَين: الغيبِ والشهادَةِ والبطونِ والظهورِ. ألا تَرى أنه ـ سبحانَه ـ لا يَشغَلُهُ مكانٌ عن مكانٍ، ولا زمانٌ عن زمانٍ، ولا سماءٌ عن أرضٍ، ولا أرضٌ عن سماءٍ،

---

(١) السنخية: الاصلُ والجنس (لسان العرب).

فكيف يشغلُهُ بطونٌ عن ظهورٍ، وغيبٌ عن شهادةٍ، وإلا فإنَّ هذا التنزيهَ هو الحصرُ والتحديدُ، لا بل هو الحظرُ والمنعُ، ويستندونَ في ذلك إلى الأحاديثِ الشريفةِ، بتجليهِ سبحانَهُ، مثلِ قولِهِ ﷺ: «يجمعُ اللهُ الناسَ يومَ القيامةِ... إلى قولِهِ: فيأتيهم - أي الله - في غيرِ الصورةِ التي يعرفونَ، فيقولُ: أنا ربكم. فيقولونَ نعوذُ باللهِ منك، هذا مكانُنا حتى يأتينا ربُّنا. فيأتيهم بصورتِهِ التي يعرفون فيقولُ أنا ربكم. فيقولونَ أنت ربُّنا فيتَّبعونَه»[1] ومثلُ هذا كثيرٌ جدًا، وكثيرٌ مِن آيِ الذكرِ الحكيم كقولِهِ جلَّ جلالُهُ: «وإذا أخذَ ربكَ مِن بني آدمَ مِن ظهورِهِم ذريتَهم وأشهدَهم على أنفسهم: ألستُ بربكم قالوا بلى»[2] فهل كانت هذه المخاطبةُ إلا بالتجلي؟! وكقولِهِ سبحانَهُ: «وكلَّمَ اللهُ موسى تكليما»[3] ومثلُ «وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدونِ، ما أريدُ منهم مِن رزقٍ، وما أريدُ أن يطعمون»[4] يشرحُهُ الحديثُ القدسيُّ: «كنتُ كنزًا مخفيًّا فأحببْتُ أن أعرَفَ فخلقتُ الخلقَ لكي أعرَفَ، وبي عَرفوني»[5] دالاً دلالةً قطعيةً أنهم عرَفوهُ بذاتِهِ، ومعرفتُهُ بذاتِهِ لا تكونُ إلا بتجليهِ. وهذا وأشباهُهُ مِنْ آياتٍ وأحاديث التجلي هو الذي دلَّنا - بحيثُ لا نجدُ مخرجًا مِن هذه الدلالةِ - على تجلي اللهِ سبحانَهُ - لِتُستطاعَ رؤيتُهُ - بخلقِهِ لخلقِهِ فيعرَفَ. وآياتُ وأحاديثُ التنزيهِ كثيرةٌ، عَرَّفَتْنا أنَّ اللهَ سبحانَهُ لا يُرى بكنْهِ ذاتِهِ، كما أنَّهُ لا يُعرَفُ بكنْهِ ذاتِهِ. ولما رأينا بعدَ معرفتِنا هذهِ الآياتِ والأحاديثَ، رؤيةَ العينِ، وسمعْنا سَماعَ الأذُنِ ما وصفَ اللهُ سبحانه به نفسَه، وجميعَهُ

---

(١) انظر كلمة حول الرؤية ص٧٧-٧٩ وصحيح مسلم ج١ باب الرؤية وصحيح البخاري ج٤ باب الصراط.

(٢) سورة الأعراف آية ١٧١.

(٣) سورة النساء آية ١٦٤.

(٤) سورة الذاريات آية ٥٦-٥٧.

(٥) الآداب المعنوية للصلاة. ص٤٤٢.

مجموعٌ في شخصٍ ما[1]، وقالَهُ في نفسِهِ مِرارا، ورأيْنا صدقَ قولِهِ، قلنا الذي قلْناه. هذا هو الذي تجلّى لي مِن استعراضِ فكرتِهِم، وربَّما كانَت حُجَجُهم أشدَّ وأقوى، وأمرَّ وأدهى. فأعنِّي على التخلّصِ مِن هذه النازلةِ المزعجةِ والبليةِ المتلفةِ، كما عودْتَني، أعانك اللهُ.

(١) إذا كان المقصود بقوله: «بشخص ما» رسولَ الله ﷺ أو أميرَ المؤمنين (ع) فكلاهما المظهر الإلهي الأتم وكل ما قيل فيه وما قاله في نفسه ـ مما يوهم بالألوهية ـ لا يعدو كونه عبدًا لله فعل ما فعل من معاجز وقدر بإذن الله لا بذاته ولكم تكرر عنه وعن الأئمة (ع) من بعده قولهم (اجعلوا لنا ربًا نؤوب إليه وقولوا فينا ما شئتم» وقول أمير المؤمنين (ع) (هلك فيَّ اثنان محب غال ومبغض قال» ـ اللجنة ـ
وقوله: «وأنا عبدالله، واخو رسول الله» وقوله: «الهي كفاني فخرا أن تكون لي ربا، وكفاني عزّاً أن أكون لك عبدا، انت كما اريد افجعلني كما تريد». ـ اللجنة ـ.

المُقارَنَةُ بَيْنَ عيْسَى ومُحَمَّد عليهما السَّلام

رأيت كثيرًا مِنَ الشبابِ تروقهُم دعوةُ عيسى (ع) أكثرَ مما تروقُهم دعوةُ محمد ﷺ وذلكَ لما بدعوةِ عيسى (ع) مِنَ الرفقِ واللينِ، ولأنها قامَتْ بالمعجزة فقط، ودعوةُ محمد ﷺ قامَتْ بالسيفِ كما زعَمَ النصارى، لذلكَ أحببْتُ أن أكتبَ مقارنة بينَ الدعوتَينِ، فاقرأها - أيّدكَ الله - وعلّمْني مما علمْتَ رحمك اللهُ. أنت تعلمُ أنّ اللهَ سبحانَه خلقَ الأشياء كلَّها ذواتِ ظواهرَ وبواطِنَ، يُعرَفُ باطنُها بواسطةِ ظاهِرِها، وخلقَ اللهُ كلَّ ما خلقَ مِنَ الأضدادِ في عالَمِ الكونِ والفسادِ، لأجلِ الإنسانِ، لأنَّ الإنسانَ صفوةُ الأكوانِ، وخلاصةُ العوالِمِ ومجتمَعُ الحقائقِ، فلو قابلَ نسخةَ العالَمِ الكبيرِ على نسخةِ العالَمِ الصغير لرأى نفسَهُ جامعًا للجميعِ، ووجَدَ نفسَه نباتًا وحيَوانًا ومَلَكًا روحانيًا، ماديا جسميًّا، ومجردًا صِرفًا، ومحسوسًا بحتًا، ماءً ونارًا، وهواءً وترابًا، رحمانًا وشيطانًا سبْعًا وشاةً، وهكذا... من كلِّ محسوسٍ ومعقولٍ، وحيٍّ ومَواتٍ، وساكنٍ ومتحركٍ وهو خَليفةُ اللهِ في الولايةِ والحِفظِ والرعايةِ، له وجهٌ في الحِدْثِ، يمدُّ به الخلقَ وهو النفسُ، ووجهٌ في القِدْم يستَمِدُّ بهِ من الخالِقِ وهو العقلُ، وخلعَ على هذا الخليفةِ أسماءَهُ وصفاتِهِ بإلقاءِ مقاليدِ الأمور إليهِ، وتنفيذِ تصرُّفاتِهِ في مُلكِهِ ومَلَكوتِهِ، وتسخيرِ الخلائِقِ له بحكمِهِ وجبروتِهِ، وجعَلَ له بحكمِ اسميهِ

الظاهرِ والباطِنِ حقيقةٌ باطنةٌ وصورة ظاهرةٌ ليتمكَّنَ بها مِنَ التصرُّف. فحقيقتُه الباطنةُ هي الروحُ الأعظمُ، والعقلُ وزيرُهُ، والنفسُ الكليةُ خازنُهُ. أما صورتُهُ الظاهرةُ فهي صورةُ العالَمِ مِنَ العرشِ إلى الفرْشِ. هكذا قالَ الجميعُ ولذلكَ جعَلَ اللهُ للإنسانِ تكاليفَ تقودُهُ إلى اللهِ مناسبةً لتركيبِهِ، فلطيفُهُ يجبُ أن يكونَ تكليفُه لطيفًا، ومحسوسُه يجب أن يكونَ تكليفُه محسوسًا، فأرسلَ الرسُلَ مبشِّرينَ ومنذِرينَ، مُحَلِّلينَ ومُحرِّمينَ، تطهيرًا لأجسامِ البشر وعقولِهم وتصفيةً لأرواحِهم ونفوسِهِم وتوسعةً لمعارِفِهم وعلومِهِم. ولكنّ الدعَواتِ الإلهيةَ تمشَّتْ مع المدعوينَ بقدرِ عقولهم واستحقاق قبولهم لطفًا مِنَ اللهِ، ورحمةً مِن تكليف ما لا يُطاقُ، وفرْض ما هوَ فوقَ المحتمَلِ. فكانتِ الشريعةُ الموسويةُ ماديةً صرفةً ودنيويةً بحتةً. «مَن آمَنَ بهِ وصدَّقَهُ خصبَتْ زروعُهُ ودرّتْ ضروعُهُ وتضاعَفَ نبتُه وكثُرَ خيرُهُ... ومَن كذَّبَه افتقَرَ وذَلَّ، وأخذَتْه البلايا والمِحَنُ مِنْ صواعقَ محرقةٍ، إلى ضفادعَ مؤذيةٍ، إلى قلبِ الماءِ دمًا إلى طوَفانِ القَملِ والجَرادِ وما أشبَهَ»[1]. ليسَ بها أثَرٌ للآخرةِ، فلا جَنّةٌ ولا نارٌ كما هو مبسوطٌ في محَلِّهِ. ثُمَّ كانَتِ الدعوةُ العيسويةُ أخرويةً بحتةً وروحانيةً صرفةً، «مَن ضربَكَ على خدِّكَ الأيمن فحوِّلْ لهُ الأيسَرَ أيضًا»[2] و«مَن سخَّركَ ميلاً فتسخَّرْ له ميلَين»[3] و«مَن طلبَ رداءَك أعطِهِ ثوبَك ورداءَك»[4] و«لا تدّخِرْ مؤنًا فالذي يرزقُ الطيرَ تغدو خماصًا وتعودُ بطانًا يرزقُكم»[5] كلُّ هذهِ الدعوةِ الشريفةِ على هذا

---

(١) المزامير مزمور ٧٨ الآيات ٢٤-٣٠ ومن ٣٠-٥٢.

(٢) لوقا إصحاح ٦ آية ٢٩.

(٣) متى إصحاح ٥ آية ٤٢.

(٤) متى إصحاح ٥ آية ٤١.

(٥) قال رسول الله ﷺ في هذا المعنى: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا» المحجة البيضاء ص٣٧٩.

النمطِ، بل تزيدُ على ذلك بالحريةِ التي تكادُ تكونُ مطلقةً بالمآكلِ والمشاربِ كقولِهِ عليه السلامُ: «أما تفهمون أنّ كلَّ ما يدخلُ الإنسانَ مِن الخارجِ لا ينجسُهُ، لأنه لا يدخُلُ إلى القلبِ بل إلى الجوفِ ثمّ يذهبُ في الخلاءِ»[1] وفي قولِهِ هذا جعَلَ الأطعمةَ كلّها طاهِرةً، ثُمَّ قالَ لهم: «ما يخرجُ مِنَ الإنسانِ هو الذي ينجِّسُ الإنسانَ لأنّه مِن باطِنِ الناسِ ومِن قلوبهم تنبعثُ مَقاصِدُ السوء. فالفحشُ والسرقةُ والقتلُ والزنا والطمَعُ والخبثُ والغشُّ والفجورُ والحسدُ والنميمةُ والكبرياءُ والسَّفَهُ... جميعُ هذه المنكَراتِ تخرجُ من باطِنِ الإنسانِ فتنجَسُه»[2] «وأما الأكلُ بأيدٍ غير مغسولةٍ فلا ينجِّسُ الإنسانَ»[3]. وهذا هوَ الذي هوَّنَ على أتباعِهِ أكلَ المحرّماتِ في التوارةِ كالخنزير والحلزونِ وغيره، لا يفرقون بينَ شيء وشيء. وقد قدّموا للمسيح (ع) امرأةً قُبِضَ عليها وهي تزني، فقالوا له: إنَّ موسى أوصانا، أنّ مثل هذه تُرجَمُ فانحنى يكتبُ باصبعِهِ على الأرضِ فاستمرّوا في سؤالِهم فقالَ: مَن كانَ منكم بلا خطيئةٍ فليرمِها بحجر، فخرجُوا وبقيَ المسيحُ والمرأةُ فقالَ لها: أما أدانَكِ أحَدٌ فقالت: لا. فقالَ: وأنا لا أُدينُكِ، اذهبي ولا تُخطِئي»[4].

أبمثلِ هذا تكونُ شَريعةٌ صالحةٌ لقيادةِ البشَرِ وتنظيمِ أمورِهم؟ وأيُّ نفسٍ ليس لها وازعٌ مِن حِكمٍ ورادعٌ مِن شرعٍ تقدِرُ على ضبطِ أمرها وحزمِ شأنِها فتسيرُ حيثُ الأوامِرُ الإلهيةُ وقد هيِّئ لها أن تنشَطَ مِن عقالِ الشَرعِ وعقابِهِ؟ لا بل مِن عذابِ الضميرِ وخوفِ التشهيرِ أيضًا؟! لأنها أحكامُ نبيٍّ داعٍ إلى اللهِ بمعاجِزَ وقُدَرٍ، ونصائحَ وعبرٍ. يقولُ بولُس في رسالتِهِ لأهلِ رومية: «وأما أنتَ فلماذا تدين أخاك؟ وأنتَ أيضًا لماذا تزدري بأخيكَ؟

(١ و٢) مرقس إصحاح ٧ الآيات ١٣-٢٣.

(٣) متى: إصحاح ١٥ آية ٢٠.

(٤) يوحنا إصحاح ٨ الآيات ١-١١.

لأننا جميعًا سوفَ نقفُ أمامَ كرسيِّ المسيحِ ، لأنه مكتوبٌ أنا حيٌّ، يقولُ الربُّ: إنه لي ستجثوا كلُّ ركبةٍ وكلُّ لسانٍ سيمجِّدُ اللهَ. فإذا كلُّ واحدٍ منا سيعطي عن نفسِهِ حسابًا للهِ، فلا يحاكمْ أيضًا بعضُنا بعضًا »[1] وأما شريعةُ محمدٍ ﷺ فإنها جمعَت بينَ المحسوسِ والمعقول، والماديِّ والمعنويِّ، وأعطتْ لكلٍّ أحكامًا على قدرِهِ مصداقًا لقولِهِ ﷺ: « لكلِّ نفسٍ تكليفٌ »[2] « والطرقُ إلى الخالقِ بعددِ أنفاسِ الخلائق »[3] فدعوتُهُ ﷺ ثلاثُ رُتَبٍ: الرتبةُ الأولى: الشريعة: وهي أحكامُ المحللاتِ والمحرَّماتِ، والأوامرِ والنواهي، ويندرجُ تحتَ أحكامِها العمومُ، العالِمُ والجاهِلُ والمتعلمُ والأمي والذكَرُ والأنثى. « السارقُ تُقطَعُ يدُه »[4] و« الزاني يُجلَدُ »[5] و« القاتِلُ يُقتَلُ »[6] لا يُستثنى من هذه الأحكامِ أحَدٌ هَرَبًا مِنَ الفوضى العاملةِ على تهديمِ الأخلاقِ، وتحطيمِ النظامِ. « ولكم في القصاصِ حياةٌ يا أولي الألباب »[7] الرتبةُ الثانيةُ وهي الطريقةُ: فكأن الشريعةَ بجميعِ أحكامِها طريقٌ إلى معرفةِ ما وراءَها مِن أسرارٍ وأحكامٍ ، لا يجوزُ أن يعرفَها رجلُ الشريعةِ، وإذا عرَفَها لا يجوزُ أن تُفرَضَ عليه أحكامُها ، حتى تظهَر آثارُها عليه فتكيِّفُ أعمالَه وتسيرُ به إلى امتثالِ أوامرِها ، فهو مكلَّفٌ بأحكامِ الشريعةِ فقط. وصاحبُ الطريقةِ يُكلَّفُ علاوةً على التكاليفِ الشرعيةِ بما فرضَتْ عليهِ أحكامُ الطريقةِ ، بأن يصفحَ عن المسيءِ ، وأن يواسيَ أخاه بكلِ الموادِ الدنيويةِ والأخرويّةِ ، وأن يُنفِقَ على

---

(١) رسالة بولس ـ الإصحاح ١٤ الآيات ١٠-١٤ .

(٢) بيان السعادة ج٢ ، ص١٨ ولم ينسبها لأحد .

(٣) الدين والإسلام ج١ ، ص٦٨ .

(٤) « السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » المائدة آية ٣٨ .

(٥) الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مئة جلدة » النور آية ٢ .

(٦) يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى، الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالانثى » البقرة الآية ١٧٨ .

(٧) سورة البقرة ١٧٩ .

إخوانِهِ مِن فضَلاتِ رزقِهِ. «ويسألونكَ ماذا يُنفقونَ قُلِ العفوَ»[1]. أي الزيادة، وهذا زيادةٌ عما فُرِضَ على الرجلِ الشرعيِّ، لأنَّ الرجلَ الشرعيَّ لم يُكلَّفْ إلا بالنصابِ المذكورِ في كتُبِ الشريعةِ. فهو مِنَ الذهبِ والفضةِ جزءٌ مِن أربعينَ جزءًا وكذلك الحبوبُ وغيرُها فرضَ على كلٍّ منها فرضٌ خاصٌّ، وذلكَ لأنَّ الرجلَ الشرعيَّ باقٍ على استغراقِهِ في حبِّ المادةِ لم يروضْهُ العلمُ الإلهيُّ، ولم تهذبْهُ الأخلاق الشرعيةُ، ولم يتذوقْ بردَ الإيمانِ وحلاوتَهُ، فيرى أنّ التقربَ للهِ سبحانَه بالأشياء الماديةِ الفانيةِ أولى مِن تمتّعِهِ بها وادّخارها

الرتبةُ الثالثةُ: الحقيقةُ مِن وراءِ الطريقةِ: وكأنَّ الطريقةَ بكلِّ معارفِها وأعمالِها طريقٌ مؤدٍّ إلى الحقيقةِ، ولها شروطٌ وأحكامٌ وآدابٌ تتعالى عن معرفةِ صاحبِ الطريقةِ، فلم يرضَ ﷺ مِن صاحبِ الحقيقةِ أن يعفوَ عنِ المسيءِ كما رضيَ بذلك مِنْ صاحبِ الطريقةِ، بل أمرَهُ بالإحسانِ إليه ولم يكتفِ منه بالنصابِ الشرعيِّ ولا المواساةِ بل فَرَضَ عليهِ المساواةَ، وهي أن يُقاسِمَ أخاهُ جميعَ ما يملُكُ؛ جاهَهُ وسيفَهُ وسراريهِ، وكلَّ شيءٍ يَملكُهُ دونَ زوجِهِ، لأنَّ زوجَه ليسَتْ مُلْكًا له، لا بل أمَرَهُ أن يؤْثِرَ أخاهُ على نفسِهِ. «يؤثَرونَ على أنفسِهم ولو كانَ بهم خصاصةٌ»[2] فصاحبُ الشرعِ شأنُهُ القيامُ بالأعمالِ الشرعيةِ وأحكامِها، فإنْ تعدى نواهيها اقتُصَّ منه رياضةً لنفسِهِ، ورعايةً للمجتمعِ الإنسانيِّ، ولأنه لم يروَّضْ بعدُ، ولم يقدرْ على احتمالِ أذى الآخرينَ لكبْرٍ في نفسِهِ وعنجهيةٍ ممقوتةٍ تملك عليه ميولَهُ وأهواءَه، رضيَ اللهُ له أن يقتصَّ لنفسِهِ مِن ظالِمِه ولكنْ بالعدلِ قال سبحانَهُ: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم»[3]. وقال علي (ع): «ردوا الحجَر مِن حيثُ جاءَ فإنَّ الشرَّ لا يدفعُهُ إلا الشرُّ»[4] وإنفاقُهُ مِن مالِهِ بحسبِ ما

(١) سورة البقرة آية ٢١٩.

(٢) سورة الحشر آية ٩.

(٣) سورة البقرة آية ١٩٤.

(٤) شرح نهج البلاغة محمد عبده ج٣، ص٢١١.

فرضَ الشرعُ فقط. وصاحبُ الطريقةِ باقٍ تحتَ أحكامِ الشريعةِ يأتمرُ بأوامرها، وينتهي عن نواهيها، وعليه أحكام لنفسِهِ خاصةٌ، فحكمُهُ في مقابلةِ العدوانِ الصفحُ عنِ المسيءِ، وحكمُه في الإنفاق أن يُنفِقَ مِن مالِهِ جميع ما لا يحتاجُهُ علاوةً على الزكاةِ المفروضةِ، وحكمُهُ معَ إخوانِهِ أن يواسيهم في سائرِ الشؤونِ، وصاحبُ الحقيقةِ، باقٍ تحتَ أحكامِ الشريعةِ، وله أحكامٌ لنفسِهِ خاصةٌ لم يرضَ له الشارعُ الأعظمُ ﷺ مقابلةَ المسيءِ ولا العفوَ عنه، بل فرضَ عليهِ الإحسانَ، ولم يرضَ منه النصابَ من مالِهِ ودوابِّهِ... الخ.. ولم يرض منه المواساةَ بل فرَضَ عليه المساواةَ، وهو أنْ يقاسِمَ أخاه بكلِّ ما لَهُ مِن مالٍ وجاهٍ وغيرِ ذلك، وهو قولُهُ ﷺ: «لكلِّ نفسٍ تكليفٌ» و«الطرقُ إلى الخالقِ بعددِ أنفاسِ الخلائقِ». وقولُهُ ﷺ: «حسناتُ الأبرارِ سيئاتُ المقربينَ»(١). يدلُّ على هذا. وعليه أن يؤثِرَ إخوانَه على نفسِهِ، وعلى هذا إنّ الذي يُعطي الثوبَ والثوبين، ويتسخَّرُ الميلَ والميلين هو محمد ﷺ لا السّيّد المسيحُ وحده عليه السلام فتكليفُ المسيح عامٌّ بوجهٍ واحِدٌ، ولا تكليفَ هناكَ يزجرُ النفوسَ ويَضبِطُها، فالنفوسُ تألَفُ الفواحِش ما ظهرَ منها وما بطنَ، وتحن إليها ما لم تروّضها الشريعة على سلوكِ الطريقة لاعتناقِ الحقيقة. فإذا تُرِكَت هذه النفوسُ الملأى بالشرِّ مِن فرعِها إلى قدمِها بدونِ وازعٍ شرعيٍّ وقانونٍ للاقتصاصِ الإلهيِّ، كانتِ الفوضى وعمَّت الإباحيةُ. أتردعُها كلمةُ المسيحِ صلواتُ اللهِ عليه وسلامُه (لا دينونةَ إلا للهِ)(٢)؟ وأما المعاجزُ فلم تكنْ لعيسى عليه السلامُ معجزةٌ مِن إحياءِ ميتٍ وإبراءِ أكمهَ أو أبرص وما أشبهَ إلا كانَ لمحمّدٍ ﷺ ضعفُها مِن نوعِها، ولمحمدٍ ﷺ معاجزُ لم يكنْ لعيسى مثلُها وهي معاجزُه السماويةُ كعروجِهِ إلى السَّماءِ ببدَنِهِ، وردِّ الشمسِ

---

(١) بيان السعادة ج٢، ص١٨ ولم ينسب القول لأحد.

(٢) جاء في إنجيل لوقا: الإصحاح السادس آية ٣٦ (لا تدينوا فلا تدانوا وفي إنجيل متى الإصحاح ٧ الآية ١ لا تدينوا لكي لا تدانو. وفي إنجيل يوحنا الإصحاح ٥ الآية ٢٢: «إن الأب لا يدين أحدًا بل قد أعطى كل الدينونة للابن».

وشقّ القمرِ وما أشبه ذلكَ، ناهيكَ عن المعجزةِ الخالدةِ التي لا يقوى الدهرُ على إخفائها وهي القرآنُ الكريمُ الذي «لا يأتيهِ الباطِلُ مِن بينِ يديه ولا مِن خلفِهِ»[1] وأما نطقُهُ في المهدِ صبيًّا، فلم يكنْ له وحدَه، بل كانَ ذلك لكلٍّ الموالي الكرام زدْ عليه نطقَهم في البُطونِ. أما ولادته عليه السلامُ مِن غير أبٍ، فمحمد ﷺ أولَ مبتدَعٍ مِن نورِ الله، وهو الأداة التي كوَّنَ بها المكوناتِ، فهو أبو الآباءِ كما مَرَّ، وهو على ذلك أبٌ للمسيحِ، ولا أتعدّى الحقيقةَ إذا قلتُ: إنّ دعوةَ موسى عليه السلامُ - وقد أتَتْه وهو شيخ - ودعوةَ عيسى (ع) أتتْه وهو صبي. ودعوةَ محمدٍ ﷺ أتته وهو شابٌّ، وإنّ كمالَ كلٍّ مِن هذه الدعواتِ بكمالِ صاحبِها، وهذا هو المقصودُ بقولِهِ سبحانَهُ «محمدٌ رسولُ اللهِ والذين معَهُ أشدّاءُ على الكفارِ رحماءُ بينَهم تراهم ركعًا سُجّدًا، يبتغونَ فضلاً مِنَ اللهِ ورضوانًا سيما هم في وجوهِهم مِن أثَرِ السجود، ذلك مثَلُهم في التوراةِ ومثلُهم في الإنجيلِ...)[2] وقد يضربون أمثالاً لهذهِ الدعواتِ الثلاث، مِن هذه الأمثالِ: النظر إلى المرآةِ. فمِنَ الناسِ مَن ينظرُ إليها مِن حيثُ صفاؤها واستدارتُها وتحدُّبُها وتقعُّرُها، مِن غير رؤيةِ صورةٍ فيها، أو مِن غير شعورٍ بصورةٍ فيها، وهو مثَلُ الشريعةِ الموسويةِ. ومنهم مَن ينظرُ إليها مِن حيَثُ كمالُها وصفاؤها، وهو مثَلُ الدعوةِ العيسويةِ. ومنهم مَن ينظرَ إلى الصورةِ التي فيها، وقد ينظُرُ إليها في حالِ كونِها لا حكمَ لها في نظرِهِ سوى إراءتِهِ الصورةَ شاعِرًا بنفسِهِ، بنظرِهِ إلى المرآةِ، وشاعِرًا بنظرِهِ إلى صورِ الأقسامِ الثلاثةِ السابقةِ، وهو مَثَلُ الدعوةِ المحمدية. وأنتَ ترى أنّ النظرة الأخيرة في المرآةِ هي الجامعةُ لجميع مفاعيل المرآةِ. ويشيرُ إلى هذا قولُه ﷺ: «إنما العلمُ ثلاثةٌ: آيةٌ محكمةٌ، وفريضةٌ عادلةٌ، وسنةٌ قائمةٌ، وما خلاهنَّ

---

(١) سورة فصلت الآية ٤٢.

(٢) سورة الفتح آية ٢٩.

فضلٌ،[1] فالشريعةُ المحمدية هي الجامعةُ بين المحسوسِ والمعقولِ، والماديِّ والمجرَّدِ، والوحدةِ والكثرةِ، وما أشبَهَ، كما اتفقَ عليهِ نظرُ أكثرِ الفلاسفةِ القدماءِ والمعاصرين، حتى الماديين منهم. فهي الدعوةُ الصالحةُ للحياةِ العامّةِ والخاصّةِ دونَ غيرِها مِنَ الدعواتِ. وأما أنَّ دعوةَ محمدٍ ﷺ قامَتْ بالسيفِ، فهذا ما أوجبَه لدعوتِهِ ﷺ جَميعُ الفلاسفةِ الذين درسوها. وكذلكَ جميعُ الأنبياءِ حاربُوا وحُوربوا، وقاتَلوا وقوتِلوا، كما في التوارةِ وغيرِها. فالنفوسُ التي لم تعمل بها الدعوةُ الحكيمةُ، والموعظةُ الحسنةُ، والمعجزةُ الباهرةُ، فما عسى أن يكون دواؤها وإذا نقصَ الجوهرُ عنِ العيارِ فلا مطهِّرَ له إلا النارُ. على أنَّ هؤلاءِ الأنبياء الثلاثةَ صلواتُ اللهِ عليهم، كلٌّ منهم كلمةُ اللهِ سبحانَهُ، غيرَ أنَّ مِنَ الكلماتِ الإلهيةِ ما هو كامِلٌ، ومنها ما هو أكملُ. وكانَ بودِّنا التوسُّعُ بهذِهِ المقالةِ غيرَ أننا آثرنا الإيجازَ بها كغيرِها مِن مواضيع هذهِ العُجالةِ، لأنَّ استكناهَ أيِّ شيءٍ من كلِّ فنٍّ مِنَ الفنونِ يعبِّرُ عنه، وعَرَضَ شيءٍ مِن أي نوعٍ مِنَ الأنواعِ يدلُّ عليه. وما توفيقي إلاّ باللهِ، وصلى اللهُ على سيدِنا محمدٍ وآلِهِ وسلمَ. والحمدُ للهِ وحدَه.

تَمّ كتابُ الحيرات بعَوْنِ اللهِ

جبلة ـ حلّة عارا.

أحمد محمد حيدر

في ٢٩ محرم الحرام سنة ١٣٧٧ هجرية

(١) بيان السعادة ج١ ص١٢٧.

فهرس الآيات القرآنية

عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ». (ص٥٨).

١٤- لا رطب ولا يابس. ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. (ص٦٣).

١٥- وكلمته ألقاها إلى مريم.. « كل شيء أحصيناه في إمام مبين.
لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولوجئنا بمثله مددا. (ص٦٤).

١٦- ألم تر كيف ضرب الله مثلًا كلمة طيبة كشجرة طيبة. (ص٧٣).
فبدت لهما سوءتهما. (ص٧٤).

١٧- ووجدك ضالًا فهدىٰ - ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذ باليمين ثم لقطعنا منه الوتين - كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلهج كل حين باذن ربها.
كشجرة خبيثة إجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار - شجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين - شجرة تخرج من أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين. (ص٧٥).

١٨- ويضرب الله الأمثال للناس. (ص٧٦).

١٩- وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرىً ظاهرة وقد رنا فيها السير. سيروا فيها ليالي وأيامًا آمنين. (ص٧٦).

٢٠- كن فيكون - ألا له الخلق والأمر. (ص٧٩).

٢١- هذا نذير من النذر الأولىٰ - قالوا لولا أنزل عليه ملك، ولو أنزلنا ملكًا لقضي الأمر ثم لا ينظرون، ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلًا وللبسنا عليهم ما يلبسون.
وما منع الناس أن يؤمنوا إذا جاءهم الهدىٰ إلا أن قالوا: أبعث الله بشرًا رسولًا قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكًا رسولًا. (ص٨١).

٢٢- وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليمًا غفورًا . (ص٨٧) .

٢٣- قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك. (ص٩٣) .

٢٤- إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير . (ص١٠٣) .

٢٥- وعلى الأعراف رجال يعرفون كلّا بسيماهم. (ص١٠٧) .

٢٦- انبئوني باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. (ص١١٢) .

٢٧- وتلقي آدم من ربه كلمات فتاب عليه . (ص١١٢) .

٢٨- لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . (ص ١١٥) .

٢٩- ومن أحيا نفسًا فكأنما أحيا الناس جميعًا . (ص١١٧) .

٣٠- ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين. (ص١٢٢) .

٣١- إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الانسان مالها . (ص١٣٧) .

٣٢- يومئذ تحدث أخبارها . (ص١٣٧) .

٣٣- وعلم آدم الأسماء كلها . (ص١٤٢) .

٣٤- ولله الأسماء الحسنىٰ فأدعوه بها . (ص١٤٣) .

٣٥- فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين احسانًا . (ص١٤٦) .

٣٦- قل تعالوا أتل ما حرم عليكم ربكم ألا تشركوا به شيئًا وبالوالدين احسانًا . (ص١٤٦) .

٣٧- وقضىٰ ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانًا . (ص١٤٧) .

٣٨- واتقوا الله جلذي تساءلون به الأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا. (ص١٤٧).

٣٩- وإذا أخذ ربك من بني آدم ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلىٰ. (ص١٤٨).

٤٠- هو الذي أخرجكم من بطون أمهاتكم. (ص١٤٨).

٤١- رب إن إبني من أهلي، قال: إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح. (ص١٤٨).

٤٢- بئر معطلة وقصر مشيد. (ص١٥١).

٤٣- إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله. (ص ١٥٢).

٤٤- اليوم يئس الذين كفروا من دينكم - اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا - اليوم أحل لكم الطيبات. (ص١٥٣).

٤٥- فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. (ص١٥٤).

٤٦- سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع. (ص١٥٤).

٤٧- أنا ربكم الأعلى. (ص١٥٥).

٤٨- حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير. (ص١٥٦).

٤٩- أبشر يهدوننا فكفروا. (ص١٥٦).

٥٠- ومن يطع الرسول فقد أطاع الله. (ص١٥٦).

٥١- وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله. (ص١٥٧).

٥٢- وتلك القرىٰ أهلكناهم - وأسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها. (ص١٥٧).

٥٣- منكم كافر ومنكم مؤمن. (ص١٦٠).

٥٤- فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقًا. (ص١٦٥).

٥٥- وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة. (ص١٦٥).

٥٦- كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجبون. (ص١٦٦).

٥٧- وإذا قلتم يا موسىٰ لن نؤمن لك حتى نرىٰ الله جهرة، فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون.

«لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار».

«ولا يحيطون بشيء من علمه» - «ليس كمثله شيء».

«قال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عنوا كبيرا». (ص١٦٦).

٥٨- الله نـور السماوات والأرض، مثـل نـوره كمشكـاة فيهـا مصبـاح. (ص١٦٧).

٥٩- نحن أقرب إليه من حبل الوريد. (ص١٦٧).

٦٠- ونحن أقرب إليه منكم. (ص١٦٨).

٦١- سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. (ص١٦٩).

٦٢- الرحمن على العـرش استـوى - وسـع كـرسيـه السماوات والأرض. (ص١٧٠).

٦٣- وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا، وما تدري نفس بأي أرض تموت. (ص١٧٣).

٦٤- وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب. (ص١٨٠).

٦٥- وكلم الله موسى تكليما. (ص١٨٣).

٦٦- وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون. (ص١٨٣).

٦٧- ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب. (ص١٨٨).

٦٨- يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلىٰ، الحر بالحر، والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى. (ص١٨٨).

٦٩- ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو. (ص١٨٩).

٧٠- يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. (ص١٨٩).

٧١- فمن اعتدىٰ عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدىٰ عليكم. (ص١٨٩).

٧٢- لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. (ص١٩١).

٧٣- محمد رسول الله والذين معه أشداء علىٰ الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا، يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل... (ص١٩١).

فهرس الأحاديث النبوية

١ ـ المسلم من سلم الناس من لسانه ويده. (ص٣٨).

٢ ـ اللهم زدني فيك تحيرًا. (ص٣٩).

٣ ـ أنا المنذر وعلي الهادي وبك يا علي يهتدي المهتدون. (ص ٤٠).

٤ ـ من كنت مولا فعلي مولاه. (ص٤٠).

٥ ـ علي مني كنفسي، طاعته طاعتي، ومعصيته معصيتي، أنا من علي وعلي مني لحمه لحمي ودمه دمي وهو مني بمنزلة هارون من موسى، علي قسيم الجنة والنار، علي مع الحق والحق مع علي لا يفترقان. (ص ٤١).

٦ ـ أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك. (ص٤٢).

٧ ـ لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر. (ص٤٦).

٨ ـ أنا من الله والكل مني. (ص٤٧).

٩ ـ إن حديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان... الخ. (ص٥٣).

١٠ـ أو ما خلق الله نوري. (ص٦٤).

١١ـ أنا أصغر من ربي بسنتين. (ص٦٨).

١٢- إنما العلم ثلاثة: آية محكمة أو فريضة عادلة أو سنة قائمة وما خلاهن فضل. (ص ٧١).

١٣- كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث. (ص ٨٠).

١٤- لو دنوت قدر أنملة لاحترقت. (ص ٨٢).

١٥- كنت نبيًا وآدم بين الروح والجسد. أول ما خلق الله روحي وأول ما خلق الله نور نبيك يا جابر. (ص ٨٣).

١٦- من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي وأن يسكن جنة عدن التي وعدني ربي فليوال عليًا وليوال وليه وليقتد بالأئمة من ولده من بعده... إلخ. (ص ٨٩).

١٧- أيها الناس إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي آل بيتي... الخ. (ص ٨٩).

١٨- إني سائلكم عن اثنين القرآن وعترتي أهل بيتي، لا تقدر موهما فتهلكوا - القرآن والعترة ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له.

وسئل « ﷺ » ما بقاء الناس بعدهم؟.. فقال « ﷺ »: بقاء الحمار إذا كسر صلبه.

والذي نفسي بيده لا ينفع عبدًا عمله إلا بمعرفة حقنا، ولو أن رجلًا صفن بين الركن والمقام وصلى ألف عام وعام وهو مبغض لآل محمد « ﷺ » دخل النار. (ص ٩٠).

١٩- لما هبطت - أي من المعراج - جعلت أخبر عليًا ويخبرني، فعلمت أني لم أطأ موطئًا إلا وكشف لعلي عنه حتى نظر إليه. (ص ٩٤).

٢٠- لما ولد أمير المؤمنين « ع » أتاني جبريل فقال لي: إذا وضعت فاطمة بنت

أسد عليًا فتلقَّهْ ففعلت... إلخ. (ص١١٠).

٢١- أول ما خلق الله نوري. (ص١١١).

٢٢- لما رأى آدم سماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين مكتوبة على اللوح، قال: يا رب خلقت من هو أكرم عليك مني؟ قال الله: يا آدم لولا هذه الأسماء، ما خلقت سماء مبنية ولا أرضًا مدحوةً ولا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا، ولا خلقتك أنت. (ص١١٢).

٢٣- نحن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه. (ص١١٣).

٢٤- كنت أنا وعلي نورًا واحدًا بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام. (ص١١٣).

٢٥- قال رسول الله للملائكة: أتعرفوننا حق معرفتنا؟ قالوا: فلم نعرفكم يا رسول الله وأنتم أول خلق خلقه الله... إلخ. (ص١١٣).

٢٦- كان ذلك في علم الله السابق أن تتعلم الملائكة منا التسبيح والتهليل والتكبير وكل من سبح الله وهلله وكبره فبتعليمي وتعليم علي. (ص١١٤).

٢٧- خلقني الله وعليًا من نور واحد، ثم فتق من نورنا سبطيَّ، ثم فتق من نورنا نور العرش ومن سبطي نور الشمس والقمر.. إلخ. (ص١١٤).

٢٨- يا علي ما عرف الله الا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا. (ص١٢٣).

٢٩- الرحم شجنة من الإيمان. (ص١٤٧).

٣٠- أفضل والديكم وأحقهم لشكركم محمد وعلي. (ص١٤٧).

٣١- أنا وأنت يا علي أبو هذه الأمة ولعن الله عاق والديه. (ص١٤٨).

٣٢- سلمان منا ـ أهل البيت. (ص١٤٨).

٣٣- من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية. (ص١٥٢).

٣٤- اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه. (ص ١٥٤).

٣٥- أنا ميزان العلم وعلي كفتاه والحسن والحسين خيوطه، وفاطمة علاقته والأئمة من بعدهم يزنون المحبين والمبغضين. (ص ١٥٦).

٣٦- سمعت الملائكة يوم عرجت إلى السماء يقولون الحمد لله الذي صدقنا وعده ثم قالوا يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالىٰ خلقنا أشباه نورك وعرض علينا ولايتكم فقبلناها وشكرنا الله على ما من به علينا من محبتكم. وقال «ﷺ» لما خلق الله السماوات والأرض وعاهن فأجبنه فعرض عليهن نبوتي وولاية علي فقبلنها. ثم خلق العالم ففوض إلينا أمر الدين، فالسعيد من سعد بنا، والشقي من شقي بنا نحن المحللون لحلاله والمحرمون لحرامه. (ص ١٥٩).

٣٧- إذا كان يوم القيامة يحشر الخلق وينادي الله عز وجل، قفوهم إنهم مسؤولون عن ولاية علي. قيل له: ومحمد يسأل عن ولاية علي، قال نعم ومحمد يسأل عنها. (ص ١٦٠).

٣٨- إن الله أخذ حبك علىٰ البشر والشجر والثمر والبذر فما أجاب إلى حبك عذب وطاب وما لم يجب مر وخبث. (ص ١٦١).

٣٩- لا يحبك إلا من طابت ولادته. (ص ١٦٢).

٤٠- لأعذبن كل رعية في الإسلام ذانت بولاية إمام جائر ليس من الله، وإن كانت الرعية في أعمالها برة تقية، ولأعفون عن كل رعية في الاسلام دانت بولاية امام عادل من الله، وإن كانت الرعية في أنفسها ظالمة سيئة. (ص ١٦٢).

٤١- هل تمارون بالشمس ليس دونها حجا! قالوا: لا. قال: هل تمارون بالقمر ليلة البدر؟ قالوا: لا. قال: فإنكم ترونه كذلك يوم القيامة. (ص ١٦٦).

٤٢- رأيت ربي في أحسن صورة، وإن الله جلت قدرته يتجلىٰ يوم القيامة في

صور متنوعة متعددة ويتحول من صورة أدنى إلى صورة غيرها. (ص١٦٧).

٤٣- لقد أسرى بي ربي فأوحى إليَّ من وراء الحجاب، وكلمني، وقال «ﷺ» خاطبني بلغة علي وألهمني أن قلت يا رب خاطبتني أنت أم علي؟. (ص١٦٩).

٤٤- إذا وصل الكلام إلى الذات فأمسكوا. (ص١٦٩).

٤٥- كنت كنز مخفيًا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف، وبي عرفوني. (ص١٨٣).

٤٦- لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانًا. (ص١٨٦).

٤٧- لكل نفس تكليف. (ص١٨٨).

٤٨- حسنات الأبرار سيئات المقربين. (ص١٩٠).

فهرس الشواهد الشعرية

١ - أبــرزوهــا مثــلَ المهــاةِ تهادىٰ   بين خمسٍ كــواعــبٍ أتــرابِ
وهــي مكنــونــةٌ.. تحيَّــرَ منهــا   في أديمِ الخدينِ مــاءُ الشبــابِ
(ص٨)

٢ - ما السرُّ في شكلِ الجسومِ وحجمها..   السرُّ كُــلُّ الســرِّ في الأرواحِ
(ص١٢)

٣ - قــالَ قــومٌ إنَّ المحبــةَ.. إثمٌ   ويحَ بعضِ النفــوسِ مــا أغبــاهــا
إن نفسًــا لم يثمــرِ الحبُّ.. فيهــا   هــي نفسٌ لم تــدرِ مــا معنــاهــا
أنا بــالحبِّ قــدْ وصلــتُ إلىٰ نفسي   وبــالحبِّ قــد عــرفــتُ اللهَ
(ص١٨)

٤ - يقول أناس لــو وصفــت لنــا الهوىٰ   لعل الذي لا يعــرف الحب يعــرف
فقلــت لقــد ذقــت الهوىٰ ثم ذقتــه   فوالله لا أدري الهوى كيف يوصــف
(ص١٨)

٥ - بلىٰ أنــا مشتــاق وعنــدي لــوعــة   ولكــن مثليْ لا يــذاع لــه سر
ولولاك للأحزان ما كــان مسلــك   إلىٰ القلب لكــن الهوى للبلى جسر
(ص١٨)

٦ - أمــر علىٰ الديــار ديــار ليلىٰ أقبــل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حـب الديـار شغفـن قلبي ولكـن حب مـن سكـن الديـارا
ولـو عبـد أتـىٰ مـن آل ليلىٰ ليركبني لصرت لـــه حمارا
(ص١٩)

٧ - بكـل تـداوينـا فلم يشـف مـا بنـا علىٰ أن قرب الدار خير مـن البعـد
ولكـن قـرب الدار ليس بنـافـع إذا كان مـن تهواه ليس بـذي ود
(ص١٩)

٨ - دواؤك فيــك ولا تشعــر وداؤك منــك وتستنكــر
(ص١٩)

٩ - أنـا مـن أهـوىٰ ومـن أهـوىٰ أنـا نحن روحـان حللنـا بـدنـا
فـإذا أبصرتنـا ... أبصرتـه وإذا أبصرتـه أبصرتنـا
(ص٢٢)

١٠- فخلني ويقيني في أبي حســن فليس حكمك في شأن الهوىٰ شأني
وسمني وادعني في كـل منـزلـة بمسلم.. ويهودي.. ونصراني
(ص٢٢)

١١- أحبــك حبين حــب الهوىٰ وحبًا لأنـك أهـل لـذاكـا
فـأمـا الذي هــو حــب الهوىٰ فشغلي بـذكـرك عمـن سواكـا
وأمـا الذي أنـت أهـل لـه فكشفـك لي الحجب حتىٰ أراكـا
(ص٢٢)

١٢- الوجـه مثـل الصبـح مبيـض والشعـر مثـل الليـل مسـود
ضـدان لما استجمعـا.. حسنـا والضـد يظهـر حسنـه الضـد
(ص٢٦)

١٣- قيــل ذات الالــه نــور مبين قلـت هـذا لكـن بغير شهـود
قيـل غيـب تقـول قلـت ولكـن غيـب سر عـن فهـم غـرٍّ بليـد

قيـل مـاذا تقـول قلـت لهم نــور   لأنس الترجيــــع والترديـــــد
(ص ٢٨)

١٤- واذا المحسَّةُ بين خيـل قــرقعــت   ثبــت السليم وعنفــص المعقــور
(ص ٢٨)

١٥- كـالعيس في الصحـراء يقتلهـا الظمأ   والماء فــوق ظهــورهـــا محمول
(ص ٢٩)

١٦- إذا حمل النضــــار علىٰ نيـــاقٍ   فاي الفضل يحسـب للنيـاق؟!..
(ص ٢٩)

١٧- لـو كنـت تعلم كـل مـا علم الورىٰ   طرًا لكنـت صـديـق كـل العـالم
لكن جهلت فصرت تحسب كل مـن   يهوىٰ بغير هـــواك ليس بعـــالم
(ص ٢٩)

١٨- خـــذ الفــــرار والطلقــــا   وشيئـــا يشبــــه البرقـــا
إذا مـــازجتــــه سحقًـــا   ملكـــت الغـــرب والشرقـــا
(ص ٣٠)

١٩- عن المرء لا تسأل وسـل عـن قـرينـه   فكـل قـريـن بـالمقـارن يقتـدي
(ص ٣٣)

٢٠- ومـا أنـا إلا المسـك في أرض غيركم   أضـوع.. وأمـا بينكـم فـأضيـع
(ص ٣٥)

٢١- بني عمنـا إنـا كـأفنـــان دوحـــة   فلا تتركـوا أن يجتـوىٰ فنـن منـا
إذا مـــا أخ خلىٰ أخـــاه لآكـــل   بـدا بـأخيـه الأكـل.. ثم بـه ثنـا
(ص ٣٥)

٢٢- لبـــانتـــا هـــواك ومـــا لبيني   ســوىٰ إسم بــه عنــه كنينـــا
(ص ٤٢)

٢٣- لعمرك ما الأديان إلا سعادة ... وما الناس لولا الدين إلا بهائم
(ص٤٣)

٢٤- ولكن دنيا قد أردت صلاحه ... أحاذر أن تقضي عليه العمائم
(ص٤٣)

٢٥- قلتم: لنا خالق حكيم ... قلنا: صدقتم هكذا نقول
زعمتموه بلا مكان ... ولا زمان.. ألا فقولوا
هذا كلام له.. خبيء ... معناه: ليست لنا.. عقول
(ص٤٦)

٢٦- أنا لو كنت بالبعير أضحي ... سار بي مرقلًا عليه البعير
(ص٤٨)

٢٧- أنا لو كنت كالإله قديرًا ... لهدمت السماء ركنًا فركنا
ولعمرت من جديد سماء ... هي تعطي الانسان ما يتمنى
(ص٥٠)

٢٨- قالت رجال عقول الشهب واقرة ... لو صح ذلك قلنا مسها خرف
(ص٥٠)

٢٩- لو كان لي قدرة رب مجيد ... خلقت هذا الكون خلقًا جديد
يكون فيه غير دنيا الأسى ... دنيا يعيش الحر فيها سعيد
(ص٥٠)

٣٠- يا من تفلسف كي يؤيد كفرة ... مع أنه لم يدر كنه وجوده
خسرت بسوق الفضل صفقة تاجر ... تخذ العلوم ذريعةً لجحوده
(ص٥١)

٣١- إني لأكتم من علمي جواهره ... كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا ابو حسن ... إلى الحسين وأوصى قبله الحسنا
يا رب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي: أنت ممن يعبد الوثنا

ولا ستحلَّ رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه.. حسنا
(ص ٥٢)

٣٢- أأنثر درًا بين راعية الغنم ... وأنثر منظومًا لراعية النعم
(ص ٥٢)

٣٣- سأكتم علمي عن ذوي الجهل طاقتي ... ولا أنثر الدر النفيس على البهم
فمن منح الجهال علمًا.. أضاعه ... ومن منع المستوجبين.. فقد ظلم
(ص ٥٢)

٣٤- دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكم
(ص ٥٦)

٣٥- يتساءلون وأنت أطهر هيكل ... بالروح أم بالهيكل... الإسراء
بهما سموت.. مطهرين كلاهما ... نور وروحانية... وبهاء
(ص ٨١)

٣٦- من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت و مضغة ولا علق
وردت نار الخليل.. مكتتما ... تجول فيها.. وليس.. تحترق
(ص ٨٣)

٣٧- لمن الشمس في قباب قباها ... شف جسم الدجى بروح ضياها
وسمت باسمه سفينة نوح ... فاستقامت به على مجراها
وبه نال خلة الله ابراهيم ... م والنار باسمه.. أطفاها
وبسرٌّ لهُ سرى في ابن عمرا ... ن أطاعت تلك اليمين عصاها
وبه سخر المقابر.. عيسى ... فأجابت.. نداءه.. موتاها
(ص ٨٤)

٣٨- يا آل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن انزله
يكفيكم من عظيم الشأن أنكم ... من لا يصلي عليكم لا صلاة له
(ص ٩٠)

٣٩- علام أسرار الغيــوب ومــن لــــه   خلــق الزمــان ودارت الأفلاك
(ص ١٠٠)

٤٠- وذو المعجـزات الواضحـات أقلهـا   م الظهور على مستودعـات السرائـر
(ص ١٠٠)

٤١- يـا وارث التــوراة والانجيــل والـ   فـرقـان والحكــم التي لا تعقــل
لولاك ما خلـق الزمـان ولا دجـا   غـبَّ انبلاج الفجـر ليــل أليــل
(ص ١٠١)

٤٢- عللاني فـــإن بيـــض الأمـــاني   فنيـــت والزمـــان ليس بفـــان
(ص ١١٣)

٤٣- يا بـن مستعـرض الصفـوف ببـدرٍ   ومبيـد الجمـــوع مـــن غطفـــان
أحـد الخمسـة الذيـن هـم الألفـا   ظ في كـــلِ منطـــق.. والمعـــاني
والشخـوص التي أضـاء سنـاهـا   قبـل خلـق المريـــخ.. والميـــزان
(ص ١١٣)

٤٤- يقـــــول قلبي.. لطـــــــرفي   أأنــــــت كنــــــت الدليلا
فقـــــال طـــــــرفي.. لقلبي   أأنــــت كنــــت الرســـــولا
فقلـــــت كُفـــــا.. جميعًـــــا   تـــــــــــــركتماني.. قتيلا
(ص ١٢٢)

٤٥- رددت عليـــه الشمس لما فـــاتـــه   وقت الصلاة وقد دنـت للمغـرب
حتى تبلـج نـورهـا مـــن وقتهـــا   للعصر ثم هوت هـوي الكـوكـب
وعليـه قـد ردت ببـابــل مـــرة   أخـرى ومـا درت لخلـقٍ معـرب
(ص ١٣١)

٤٦- إلا ليـــوشـــع أو لــــه ولحبسهـــا   ولـردهـا تـأويـل أمـرٍ معجــب
(ص ١٣١)

٤٧- يـا مـن لـه ردت ذكـاء ولم يفـز ... بنظيرهـا مـن قبـل إلا يـوشـع
تالله لـولا حيـدر مـا كـانـت الد ... نيـا ولا جمع البريـة.. بجمع
(ص ١٣٢)

٤٨- يـا قـوم مـن مثـل علي وقـد ... ردت عليـه الشمس مـن غـائـب
أخـو رسـول الله وصهـره ... والأخ لا يعـدل بـالصـاحـب
(ص ١٣٢)

٤٩- إمام هدى ردت لـه الشمس جهـرة ... فصلىٰ أداءً عصره بعـد مغـرب
ومـن قبلـه أفنىٰ سليمان خيلـه ... رجـاءً فلم يبلـغ بها نيـل مطلـب
(ص ١٣٢)

٥٠- إمامي كليم الشمس راجـع نـورهـا ... فهل لكليم الشمس يا قوم من مثـل
(ص ١٣٣)

٥١- مـن كلمتـه الشمس لمّا سلمـت ... جهرًا عليـه ـ وكـل شيء يسمـع ـ
يا أولًا ، يا أولًا ، يا آخرًا ، يا ظاهـرًا ... يا بـاطنًـا ، في الحجـب سر مـودع
(ص ١٣٣)

٥٢- والشمس حـاسرة القنـاع وودهـا ... لـو تستطيـع الأرض والتقبيلا
وعلىٰ أمير المؤمنين.. غمامـة ... نشـأت تظلـل تـاجـه تظليلا
ومديرها مـن حيـث شـاء وطـالما ... راحـت تحت ظلالـه جبريلا
(ص ١٣٣)

٥٣- إنـا آبـاءنـا الذيـن هـم ... قـد أوقعـونـا في ورطـة التلـف
مـن علم العلم كـان خير أب ... ذاك أبـو الروح لا أبـو النطـف
(ص ١٤٨)

٥٤- كـانـت مـودة سلمان لهم رحمًا ... ولم يكـن بين نـوح وابنـه رحـم
(ص ١٤٨)

٥٥- بئــــر معطلــــة وقصر مشرف مثـــل لآل محمد مستظــــرف
فالقصر مجدهـم الذي لا يـرتقـىٰ والبئـر علمهـم الذي لا ينــزف
(ص ١٥٢)

٥٦- بحب علي تـــزول الشكــــوك ويـزكـوا الولاء ويعلـو النجـار
فـإمـا رأيـت.. محبًّـا لـهُ فثَمَّ العلاء وثَمَّ.. الفخـــار
وإمـا رأيـت.. بغيضًـا لـه ففـي أصلـه.. نسـب مستعـار
فلا تعـــذلـــوه علىٰ بغضـــه فحيطـان دار أبيــه.. قصـــار
(ص ١٦٢)

٥٧- كـلُّ مـن شـكَّ بـه أو شكَّكـا فهو من حيـضٍ نشأ أو مـن زنـا
أو عِتِلٌّ قيلَ فيه أو زنيم
(ص ١٦٢)

٥٨- إنما محكـم الأنـاجيـل والتـو راة طـــرًا ومحكمات الزبــور
ودعــاء الدعـــاة لله والمو جــز بين العصـا وبين السريــر
واصطفـاء الأمين والذكـر والتهـ ديـد يتلى لجانـب.. التبشير
كلهـا كـالمقـدمـات لما كـا ن بيـوم الأيـام يـوم الغـديـر
(ص ١٦٣)

٥٩- لجماعـة سمـوا هـواهـم سنـةً وجماعـة حمر لعمـري مـؤكفـه
قـد شبهـوه بخلقـه وتخوفـوا شنـع الورىٰ فتستروا بـالبلكفـه
(ص ١٦٦)

٦٠- بدت باحتجاب واختفت بمظـاهـر على صبغ التلـويـن في كـل بـرزة
(ص ١٦٨)

٦١- منعتهـا الصفـــات والأسماء أن تـرىٰ دون بــرقـع أسماء
(ص ١٦٨)

٦٢- زدني بفرط الحب فيك تحيّرا — وارحم حشي بلظى هواك تسعرا
وإذا سألتك أن أراك حقيقة — فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترىٰ
(ص ١٦٩)

٦٣- حار الورىٰ كلهم في أمر حيدرةٍ — والعالمون بمعنى أمره تاهوا
فإن أقل بشر فالعقل يمنعني — واتقي الله في قولي هو الله
(ص ١٧٤)

٦٤- لو أن المرتضىٰ أبدىٰ محله — لبات الخلق طرًا سجدًا له
يموت الشافعي وليس يدري — علي ربه أم ربه الله
(ص ١٧٤)

٦٥- هو الآية الكبرىٰ ومستنبط الهدىٰ — وحيرة أرباب الهدىٰ والبصائر
(ص ١٧٤)

٦٦- قيل لي: قل في علي مدحًا — ذكره يخمد نارًا مؤصده
قلت لا أقدم في مدح إمرئ — ضل ذو اللب إلىٰ أن عبده
والنبي المصطفىٰ قال لنا — ليلة المعراج لما.. أصعده
وضع الله بظهري يده — فأحس القلب أن قد برده
وعلي واضع.. أقدامه — في محلٍ وضع الله.. يده
(ص ١٧٦)

٦٧- رقيت باسمىٰ غارب أحدقت به — ملائك يتلون الكتاب المسطرا
بغارب خير المرسلين وأشرف — الأنام وأزكىٰ ناعلٍ وطئ الثرى
فسبّحَ جبريل وقدس هيبة — وهلل إسرافيل رعبًا وكبرا
فيا رتبة لو شئت أن تلمس السها — بها، لم يكن ما رمته.. متعذرا
ويا قدميه أي قدس.. وطئتما — وأي مقام قمتما فيه.. أنورا
بحيث أفاءت سدرة العرش ظلها — بضوجيه فاعتدت بذلك مفخرا
وحيث الوميض الشعشعاني فائض — من المصدر الأعلى تبارك مصدرا
(ص ١٧٧)

٦٨- وشهـاب مـوسى حين أظلم ليلـه   رفعـت لـه لألاؤه تتشعشـع
لولا حدوثك قلت إنك جاعـل الأ   رواح في الأشبـاح والمستنـزع
والله لـولا حيـدر مـا كـانـت الد   نيـا ، ولا جمع البريـة.. مجمع
(ص ١٧٧)

٦٩- يـا أيها النـار التي شـب السنـا   منهـا لموسىٰ والظلام مجلـل
لولاك ما خلـق الزمـان ولا دجـا   غـب انبلاج الفجـر ليـل أليـل
(ص ١٧٧)

٧٠- وهـو النـور على الطـور أضـا   لابـن عمـران لمنهـاج الرضـا
ظنـه نـارًا فلما أن.. مضىٰ   جـاءه يبغـي اقتباسًـا للسنـا
خلع النعل ووافىٰ كالسليم
(ص ١٧٨)

٧١- يـا بني الزهـراء والنـور الذي   ظـن مـوسىٰ أنـه نـار قبس
لا أوالي قـط مـن عـاداكم   إنهم آخـر سطـر في عبس
(ص ١٧٨)

٧٢- فلـولاك لم ينـج بـن متى ولا خبـت   سعيـد لإبـراهيم بعـد تلهـب
ولا فلق البحر ابن عمران بالعصـا   ولا فرت الأحزاب عن أهـل يثرب
ولا قبلـت مـن عـابـد صلـواتـه   ولا غفـر الرحمن زلـة مـذنـب
ولم يغـل فيـك المسلمـون جهـالـة   ولكـن لسرٍّ في علاك مغيـب
(ص ١٧٨)

٧٣- يـا قـالـع البـاب الذي عـن هـزه   عجـزت أكـف أربعـون وأربـع
(ص ١٧٩)

٧٤- وبـاب خيبر لـو كـان مسـامـره   كل الثوابت حتى القطـب لانقلعـا
(ص ١٧٩)

٧٥- وبرى مرحبا بكف اقتدار ‏ أقوياء الأقدار من ضعفاها
ودحا بابها بقوة بأس ‏ لوحته الأفلاك منه دحاها
(ص١٧٩)

٧٦- رمى إلى ذاك عليا في الهوا ‏ بالمنجنيق في أمان المقتدر
فكانت الرمية غير واصل ‏ فمر يمشي في الهوا حتى انحدر
فاستسلموا لما رأوا أفعاله ‏ تجل قدرًا عن أفاعيل البشر
(ص١٧٩)

٧٧- وقلت ما قلت من قول الغلاة وما ‏ على الغلاة إذا قالوا الذي وجبا
(ص١٨٠)

٧٨- قوم غلوا في علي لا ابا لهم ‏ وأجشموا أنفسًا في حبه تعبا
قالوا هو الابن جل الله خالقنا ‏ من أن يكون ابن أم أو يكون ابا
(ص١٨٠)

٧٩- وأنت نقطة باء مع توحدها ‏ بها جميع الذي بالذكر قد جمعا
(ص١٨١)

مراجع الكتاب

١ - **ابن عربي** - حياته ومذهبه - آسين بلاثيوس. ترجمه عن الاسبانية عبد الرحمن بدوي. دار القلم - بيروت. سنة ١٩٧٩.

٢ - **إثبات الوصية** - للمسعودي - المتوفي سنة ٣٤٦ هـ. الطبعة الرابعة. منشورات المطبعة الحيدرية في النجف. سنة ١٩٥٥ م.

٣ - **إخوان الصفا** - عرض وتحليل - الدكتور عمر فروخ - مكتبة منيمنة. بيروت طبعة ١٩٥٣.

٤ - **إرشاد القلوب** - للشيخ أبي محمد الحسن بن محمد الديلمي. مؤسسة الأعلمي. بيروت طبعة رابعة سنة ١٩٧٨.

٥ - **الآداب المعنوية للصلاة** - لسماحة آية الله العظمىٰ الإمام الخميني - عربه وشرحه وعلق عليه - السيد أحمد الفهري. طبعة أولىٰ سنة ١٩٨٤.

٦ - **أعيان الشيعة** - السيد محسن الأمين العاملي الشامي - ط أولىٰ سنة ١٩٣٥.

٧ - **الأصول من الكافي** - ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحق الكليني الرازي المتوفي سنة ٣٢٨ هـ. ط ثالثة سنة ١٣٨٨ هـ.

٨ - **الإحتجاج** - تأليف أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي - تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخرسان. مؤسسة النعمان - بيروت - لبنان.

٩ - **أرسطوطاليس** - تأليف الدكتور ماجد فخري - الأهلية للنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ط ثانية سنة ١٩٨٦ .

١٠- **بيان السعادة في مقامات العبادة** - تأليف الحاج سلطان محمد الجنابذي الملقب بسلطان علي شاه مطبعة دانگاه - طهران - ط ثانية.

١١- **بحار الأنوار** - للشيخ محمد باقر المجلسي - مؤسسة الوفاء - بيروت ط ثانية.

١٢- **البرهان في تفسير القرآن** - للسيد هاشم البحراني - مؤسسة الوفاء - بيروت ط ثالثة سنة ١٩٨٣ .

١٣- **بصائر الدرجات الكبرىٰ في فضائل آل محمد** - للشيخ الخليل أبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ المتوفي سنة ٢٩٠ هـ من أصحاب الإمام الحسن العسكري. تقديم وتصحيح وتعليق العلامة الحجة - الحاج ميرزا حسن « كوجه باغي » منشورات الأعلمي طهران.

١٤- **التعريفات** - تأليف الشريف علي بن محمد الجرجاني - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - ط أولى سنة ١٩٨٣ .

١٥- **التصوف الإسلامي في الآداب والأخلاق** - الدكتور زكي مبارك - ط ثانية - دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٩٥٤ م.

١٦- **التكامل في الاسلام** - أحمد أمين - مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان.

١٧- **تحف العقول** - للشيخ الثقة أبي محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني - منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف سنة ١٣٨٥ هـ.

١٨- **ترجمة الإمام علي بن أبي طالب «ع» من تاريخ دمشق تصنيف العالم الحافظ أبي القاسم علي ابن الحسن بن هبة الله الشافعي - المعروف بابن عساكر** . - تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي - مؤسسة المحمودي للطباعة بيروت - ط ثانية سنة ١٩٨٠ م.

١٩- **حدائق الأنوار ومطالع الأسرار** - تأليف إبن الديبغ الشيباني الشافعي - تحقيق عبدالله الأنصاري.

٢٠- **الحقائق وقرة العيون** - الفيض الكاشاني - دار الكتاب العربي - بيروت - سنة ١٩٧٩ م.

٢١- **ديوان ابن الفارض** - توزيع دار صعب - بيروت - سنة ١٩٦٢ م.

٢٢- **ديوان الشافعي وحكمه** - جمع واعداد محمود بيجو - ط أولىٰ سنة ١٩٨٩.

٢٣- **رباعيات الخيام** - ترجمة أحمد رامي - دار العودة - ط أولىٰ - بيروت سنة ١٩٧٧.

٢٤- **الرسالة القشيرية في علم التصوف** - للإمام عبد الكريم القشيري - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.

٢٥- **الروضة المختارة** - في شرح القصائد الهاشميات للكميت بن زيد الأسدي. والقصائد العلويات لابن أبي الحديد. مؤسسة الأعلمي - بيروت سنة ١٩٧٢ م.

٢٦- **الزمان الوجودي** عبد الرحمن بدوي - مطبعة جرينبزج - القاهرة - ط ثانية.

٢٧- **سلوني قبل أن تفقدوني** - تأليف الشيخ محمد رضا الحكيمي - منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان - ط أولى سنة ١٩٧٩ م.

٢٨- **السراج المنير وبسيرته أستنير** - جمع وترتيب أحمد عبد الجواد - قدم له العماد مصطفى طلاس. دار طلاس للطباعة - دمشق ط أولىٰ سنة ١٤٠٧ هـ.

٢٩- **السيرة النبوية والآثار المحمدية** - تأليف الإمام أحمد زيني المشهور بذحلان - دار المعرفة - بيروت - لبنان - ط ثانية.

٣٠- **شرح جوهرة التوحيد** ـ الشيخ إبراهيم الباجوري ـ راجعه وقدم له الأستاذ عبد الكريم الرفاعي ـ مكتبة الغزالي ـ حماه ـ سنة ١٩٧٢ م.

٣١- **شرح نور اليقين في سيرة سيد المرسلين** ـ تأليف الشيخ محمد الخضري ـ دار الزهراء للتأليف ـ تحقيق صفوة السقا ـ نشر وتوزيع مكتبة زبيع ـ حلب ـ ط أولىٰ سنة ١٩٦٢ م.

٣٢- **صحيفة الأبرار** ـ للعالم ميرزا محمد تقي ـ دار الصراط ـ طبعة ١٩٨٦ م.

٣٣- **صحيح مسلم** ـ شرح النووي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان سنة ١٩٨٧ م.

ونسخة مصورة عن دار الجيل بيروت ط أولىٰ سنة ١٣١٣ هـ.

٣٤- **العلويون بين الأسطورة والحقيقة** ـ تأليف هاشم عثمان ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط أولىٰ سنة ١٩٨٠ م.

٣٥- **عيون أخبار الرضا** ـ تأليف الشيخ الجليل أبي جعفر علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق المتوفي سنة ١٣٨١ هـ. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان سنة ١٩٨٤.

٣٦- **عيون المعجزات** ـ للشيخ حسن بن عبد الوهاب ـ مؤسسة الأعلمي بيروت ـ لبنان ـ ط ثالثة سنة ١٩٨٣.

٣٧- **الغدير في الكتاب والسنة والأدب** ـ تأليف عبد الحسين أحمد الأمين النجفي ـ دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان ـ طبعة رابعة سنة ١٩٧٧ م.

٣٨- **كلمة حول الرؤية ويليها فلسفة الميثاق** ـ بقلم عبد الحسين شرف الدين. طبعة ثانية مطبعة العرفان ـ صيدا سنة ١٩٥٢ م.

٣٩- **الكلام الجلي في ولاية أمير المؤمنين علي** ـ تأليف السيد حيدر الحلي الحسيني. مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ لبنان ـ طبعة أولىٰ سنة ١٩٨٢ م.

٤٠- **الكتاب المقدس** - الأناجيل وأعمال الرسل - منشورات المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٦٦ م.

٤١- **كتاب الملل والنحل للإمام الشهرستاني** - طبعة ثانية - تخريج محمد بن فتح الله بدران أستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف - الناشر مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة.

٤٢- **كتاب سليم بن قيس الكوفي الهلالي العامري** - مؤسسة الأعلمي - بيروت.

٤٣- **لزوم ما لا يلزم** - أبو العلاء المعري - تصحيح أمين عبد العزيز فيصل - طبعة ثانية.

٤٤- **اللمع** - لأبي نصر الطوسي - حققه الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور - دار الكتب الحديثة بمصر سنة ١٩٦٠ م.

٤٥- **المجموعة الكاملة** - مؤلفات مارون عبود - دار مارون عبود - بيروت.

٤٦- **المراجعات** - للإمام عبد الحسين شرف الدين الموسوي - دار إحياء العلوم ط رابعة سنة ١٩٥٨ م.
ونسخة صادرة عن مؤسسة الوفاء - بيروت سنة ١٣٠٤ هـ.

٤٧- **المسلمون العلويون في مواجهة التجني** - أحمد علي حسن - الدار العالمية للطباعة - بيروت طبعة أولى سنة ١٩٨٥ م.

٤٨- **مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية** - لسماحة آية الله العظمى الإمام الخميني قدم له السيد أحمد الفهري - مؤسسة الوفاء - بيروت طبعة أولى سنة ١٩٨٣ م.

٤٩- **المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء** - المولى محسن الكاشاني - منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان - طبعة ثانية.

٥٠- **مدينة المعاجز** ـ السيد هاشم الحسيني البحراني ـ منشورات مكتبة المحمودي ـ طهران.

٥١- **مشكاة الأنوار ومصباح الأسرار** ـ للإمام أبي حامد الغزالي ـ ضبطه وقدم له رياض مصطفى العبد الله ـ منشورات دار الحكمة ـ دمشق وبيروت سنة ١٩٨٦ م.

٥٢- **مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين** ـ تأليف الحافظ رجب البرسي ـ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة العاشرة.

٥٣- **المعجم الصوفي** ـ الدكتورة سعاد الحكيم ـ استاذة التصوف في الجامعة اللبنانية. دار نروة للطباعة والنشر طبعة أولىٰ سنة ١٩٨١ م.

٥٤- **مناقب آل أبي طالب** ـ تأليف أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني ـ دار الأضواء ـ بيروت.

٥٥- **المنقذ من الضلال** ـ لأبي حامد الغزالي ـ تحقيق الشيخ محمد جابر ـ مطبعة عطايا ـ مصر.

٥٦- **معجم لسان العرب**.

٥٧- **نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار** ـ للشيخ مؤمن بن حسن الشبلنجي ـ دار الفكر القاهرة سنة ١٣٨٦ هـ.

٥٨- **النصوص في مصطلحات التصوف** ـ تأليف محمد غازي عرابي ـ دار قتيبة. سنة ١٩٨٥ م.

٥٩- **نهج البلاغة:**

أ ـ شرح ابن أبي الحديد المعتزلي ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان سنة ١٩٦٣ م. تحقيق الشيخ حسن تميم.

ب ـ تحقيق صبحي الصالح ـ دار الهجرة ـ قم ـ إيران ـ طبعة أولىٰ سنة ١٣٩٥ هـ.

جـ ـ شرح الاستاذ الإمام محمد عبده ـ مطبعة كرم ومكتبتها ـ دمشق.

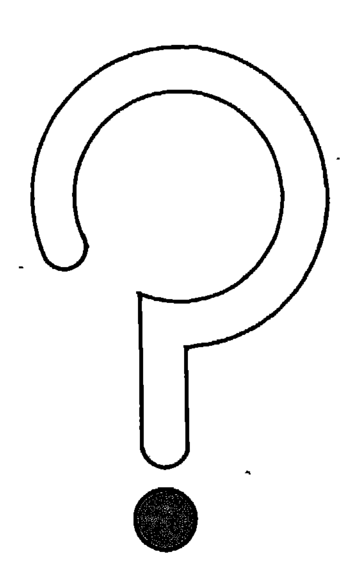
٦٠- **لماذا اخترت مذهب الشيعة** ـ مذهب أهل البيت عليهم السلام ط أولىٰ سنة ١٣٨٠ هـ.
الشيخ محمد مرعي أمين الانطاكي ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

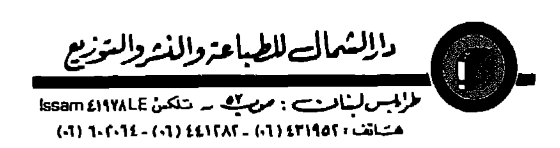
٦١- **ينابيع المودة** ـ الشيخ سليمان الحسيني البلخي القندوزي. منشورات مكتبة العرفان ـ طبعة ثانية.

محتويات الكتاب

الموضوع — الصفحة







دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع
طرابلس لبنان : ص.ب ٥٢ - تلكس Issam ٤١٩٧٨LE
هاتف : ٤٣١٩٥٢ (٠٦) - ٤٤١٢٨٢ (٠٦) - ٦٠٢٠٦٤ (٠٦)